خواطر

بلقاسم بن محمد

صاحب القاف المُثلثة

نادية

في الصعلكة وأشياء أخرى



خواطر

بلقاسم بن محمد
صاحب القاف المُثلثة



في الصعلكة وأشياء أخرى

تونس، دوز
فيفري 2024

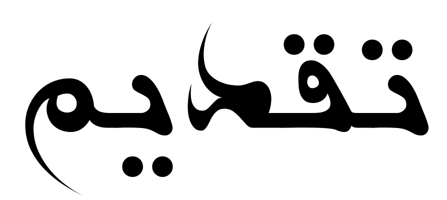


الفهارس

المحتوى	الصفحة
تقديم	01
نادية	04
القاف المثلّثة	40
الحجر الصحي	205
ومضات	225

هذا الجدار من وحي خيال ناميه

وأيُّ تشابه بيني وبينه هو من قبيل الصدفة لا غير!



بطبعي رجل لا يُحب المقدمات، وهذا الكتاب مجموعة خواطر لصاحب القاف المثلّثة، شملت مواضيع عديدة، وحاولت جمعها حتى لا تظل مبعثرة للريح. هي ليست كل النصوص، بل ما حظي منها واستطاعت أن تفلت من قبضة مزاجي ونجت من الاتلاف بأعجوبة. وهي الآن تجد نفسها شبه مرتّبة وموثّقة في كتاب الكتروني.

هذا الكتاب جمعته، وجعلته متاحا لمن أراد أن يطّلع أو يقرأ. ليس ضربا من البطولة أو الزهد ولكنّها نصوص دون النشر الورقي ولا ترتقي لهذا المستوى، وبالتالي هي الكترونية مُتاحة لمن أراد أن يداعب عقله ومشاعره مع القاف المثلّثة.

أغلب النصوص كُتبت سنتين 2020 و2021 وبعضها سبق هذه المدة الزمنية أو تأخر عنها، وتنظيمها كان وفقا لتاريخ كتابتها ونشرها على حسابي الفايسبوكيّ. ووجدُتني كلّما تقدمت في النصوص واقتربت منّي إلا ووجدت النصوص تشبهي أكثر. بعضها رديء في رأيي وبعضها مناسب وبعضها الآخر سُعدت به كثيرا. فقد يجد القارئ نفسه مرتطما بنصّ رديء وبعدها مباشرة بنص مختلف عنه تمام الاختلاف، فالأمر فوضوي كصاحب الكلمات.

الكتاب احتوى شكلين من الكتابة: نصوص نثرية بلغت مائتان وأربعون نصا (240)، والثاني على شكل ومضات بلغت مائة وستة

ومضة (106) ولست أدعي التأليف وصفة الكاتب، ولست أجيد كتابة الومضة كما يتقنها أهلها، ولكنّها مجرد محاولات. أمّا النّصوص النثرية فهي ملاذُ رجل ثرثار كلّما اشتهى الموت كتب نصّا.

هذه النصوص تتوزع على ثلاث فصول: الأول تحت عنوان "نادية" وهي النصوص التي كانت نادية فيها الشخصية البطلة، والثاني تحت عنوان "القاف المثلّثة" وهي النصوص التي تحدّثت فيها عن نفسي في مختلف مراحل المزاجية المتقلّبة والفوضوية والمريضة أحيانا كثيرة، والثالث تحت عنوان "الحجر الصّحي" وهي النصوص التي كتبتها فترة الحجر الصحي أثناء وباء الكورونا.

أخيرا، فإنّ هذا الكتاب صناعة صعلوك لا تعترف نصوصه بالقوانين والشرائع والكتب المقدسة والأعراف والتقاليد، وأيّ تأويل من قبل القارئ فالقاف المثلّثة لا تتحمل مسؤوليته ولا يعنيها. كما أنّ هذا الكتاب لا يستجيب لشروط العربية وقواعدها وعلومها المختلفة ولم يخضع لأيّ تدقيق لغوي.

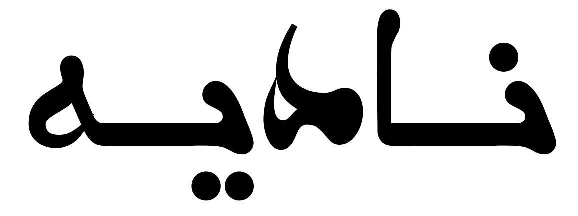
بلقاسم بنــمحمد

صاحب القاف المثلثة

الخميس 05 شعبان 1445 هجري

الموافق لـ: الخميس 15 فيفري 2024 مسيحي

4



-1-

مرحبا أيها العالم،

اسمي بلقاسم بن محمد ونادية هي أمّي وأرجو أنْ لا أضطر لتكرار هذا مجددا.

دوز ليست توزر وتوزر ليست دوز، ويفصل بينهما شط الجريد ويمكنكم أن تحفظوا هذا وتتعلموه منذ الدروس الأولى في مادة الجغرافيا. لا أعلمُ لِمَ نحن نحفظ أسماء مدنكم وقراكم ونعلم تفاصيلها أيضا ولا نخلط، وأرجو أن لا أضطرّ لهذا التوضيح مجددا.

أكتبُ الخواطر، ولا أحفظ الشعر، ولا أقوله. لم أدرس النحو والصرف، ولا علاقة لي بالآداب، ولا بما يتعلق بفنونه، لذلك لا يطلب أحد منكم أن أصلح له ما كتب أو أعطيه رأيا في كلماته. فأنا مجرد مجنون يصيبه الهذيان، وأرجو أن لا تضعوني في هذا الموقف مجددا.

أكتبُ كلماتً بسيطة ولا علاقة لي بالعمق، والثقافة والفن والغموض والفلسفة وبكل الأشياء التي تغريكم. وأرجو أن لا يأتيني أحدكم ليقول لي أنتَ عميق أو غامض.

أنا لا أحمل إليكم أي نص أو رسالة من نادية هذه الليلة. وقبل أن يجتاحني النسيان أردتُ أن أذكّر أولئك الذي يسخرون من نصوصي وهذياني أنّني أملك الكثير من القراء الذين أحبهم وتفشلون أنتم في لفت انتباههم، وأجني إعجابات تظلون لأيام تجمعونها بالتفاهات. وأملك من الشهادات ما لا تملكونه طوال مسيرتكم. واسمي القديم

بقافه المثلثة أثقل وزنا من حروف أسمائكم الثلاثية، ولو أردتم أن تضيفوا لها أوصافكم فافعلوا!

-2-

ربّما أرقى ما يحلم به المرء هو أن يكون نبيّا، الحلمُ الوحيد الذي لم يغادرني رغم أنّني لستُ بالشخص الحالم. اخترتُ تونس بحثا عن النبوّة. ظننتُ أنّني سأكون نبيّا صغيرا هناك، وسأكبر في شوارعها، وبين سكانها الذين جاءوا من كل صوب وحدب. حدثتني نفسي أنّ تونس أفضل مكان ليكون لي فيه أتباع كُثرٌ. اخترتُ الزيتونة لأدرس النبوّات ولأدافع بكل قوتي عن الأنبياء الذين امتهنوا حلمي من قبل.

«مرحبا، أنا اسمي بلقاسم، عمري ثلاثة عشرة سنة، أحبُّ النادي الإفريقي وأحلم أن أكون نبيّا».

هكذا تخيّلتُني أجيبُ عن سؤال طرح عليّ في زمن مضى مضمونه «من أنت؟».

كبرتُ واخترتُ تونس، واكتشفتُ أنّني شخص سيءٌ للغاية. في الآونة الأخيرة راودتني أسئلة بداخلي كيف لشخص سيءٍ مثلي أن يكون نبيّا؟

«مرحبا، أنا اسمي بلقاسم، عمري ثلاث وعشرون سنة، أحلم أن أكون نبيّا، ومن سوء حظي اكتشفتُ مؤخرا أن نادية لا تنجبُ الأنبياء وحلمي انتهى وقريبا سأنتهي معه أيضا»

- من تكون نادية؟

- أمّي.

-3-

كل النصوص لا تُقرأ. في أي وقت، وفي أي ظرف كان هي لن تقرأ. سيمرُّ البعض ويضع لاسمك بضع إعجابات وجادورات، ويمر بعض آخر وقد اعتاد تنزيلاتك ولم تعد تثير اهتمامه. ولا ريب أن بعضا ثالثا سيسخر منك ومن نصوصك ويمرُّ هو أيضا. وجامع الثلاثة أنهم يمرّون ولا يعودون أبدا.

قد نتوهّم أنفسنا أننا نجلبُ إعجاب البعض أو متابعتهم ولكننّا في الحقيقة مساكين أعيانا وهم الافتراضي ولم نحقق شيئا يُذكر.

لا شيء فينا محل للإثارة أوالاهتمام. أسماؤنا وألقابنا، مظاهرنا وأشكالنا، تخصصنا الأكاديمي لا يثير الاهتمام هو الآخر. حتى رسائلنا معلّقة لا تجلب اهتمام أصحابها.

نصي هذا مثلا، أعلم جيّدا أنه لن يجلب قراء. فقط من باب الصدف قد يمر عليه أحد ويقرأه لأنّه لم يجد شيئا يملأ به وقت فراغه. أو يمرّ عليه شخص آخر قيل له بلقاسم يملك قلما يستحق المتابعة. فيتطفّل على جداري ويعرضه هذا النص الأخيرُ فيجرّب القراءة للمرة الأولى ومن ثم يغادر ولا يعود أبدا.

لا وجود لنصوص آخر الليل فقد استوى الليل بالنهار منذ ثلاث سنوات خلت. ونادية أصابها اليأس. أنام على استيقاظها وأستيقظ على

نومها. وحدها تعلم أنها أنجبتني على غفلة منها واحتواني هامش صفحاتها وأنا قد أدركتُ ذلك جيّدا.
تُسعِدُها عودتي إلى تونس ومكوثي هناك. فإذا ما عدتُ للبيت تركتني نائما طوال النهار دون أن توقظني، لأنّه منذ أن أدركتُ حقيقتي وهي لا تجرؤ على مقابلتي وجها لوجه ولا حتى أن تتقابل نظرتنا!

-4-

ظللتُ الساعات الطوال وأنا ملقى على السرير لا أقدر على الحركة بسبب ارتفاع درجة الحرارة، وقد انهالت عليّ الكثير من الكلمات والنصوص وكنت أتلفّظ ببعضها.
مرّت أمامي بعض النصوص التي يتحدث أصحابها عن طريقة موتهم بمناسبة موت لينا. تذكرتُ أنّني كتبت منذ سنوات نصوصا على هذا الشكل تماما.
مثلا، ناديـه إلى الآن لم تقتنع أن باب غرفتي المغلق هو في الحقيقة باب قلبي. كلما أرادت أن تفتح الغرفة إلا ومنعها خشب الباب.
أنا بلقاسم بن محمد، أعلم أنّني سأموت على غفلة من ناديه والسبب مرض سيلزمني الفراش وقد أضطر في آخر ساعات عمري لإملاء نصوصي وكلماتي الأخيرة.
يمكن للمرء أن يرسم المشهد الذي يحّبه لموته وأن يتفنن في ذلك، فيجعل له عنوان ما. بالنسبة لي ستزول القاف المثلثة التي تتوسّط اسمي، وسأعبّر عن حبي للكثيرين في لحظة صفاء. سأوصي بأن لا يُرفع

خبر موتي في المآذن، وسأترك لهم ألفاظ الدعاء الذي يُلقونه عند دفني. سأخبرهم كيف يُصلّى عليّ ومن يتولّى ذلك. سأجعل من موتى مشهدا عظيم الإخراج.
أما ناديه فلن تبرح مكانها. ستستقبل العزاء، وفي كل مرة تذهب نحو غرفتي. حتى إذا فتحتْ بابها فتحتْهُ دون أي عناء يُذكر على عكس المرات السابقة.
في تلك اللحظة ستُدرك ناديــه أن باب غرفتي هو في الحقيقة باب قلبي وأنَّ الأوان قد فات، فقلبي مات ودُفن حقيقة لا وهما!

-5-

في الحقيقة لا يبلغ معدّل مهاتفة نادية المرتين في الأسبوع. تسأل عن الدراسة كما أنّ كل همّها إرسال بعض البسكويت الذي أعدته في مطبخها الصغير.
لقد كنتُ مصرّا على اختيار تونس هروبا من حديثها عن الزواج بإحدى فتيات بلدتي، ولِمَ لا تكون يحيوحيّة (نسبة لجدنا يحي). كانت دائما ما تحذّرني من الوقوع في حبّ فتاة ليست من بلدتنا، وتخيفني من هكذا حب.
كلّما اتَّصلَتْ إلا وكررتْ نفس الأسئلة حتى تطمئن على حالي وأنّني إذا ما كنتُ أهتم بدارستي أم لا. وأنا كذلك أكرّر نفس الإجابة خلاصتها أن الدراسة بخير.

في الحقيقة البدينات كثرٌ هنا وكل ما يهمّني هو أن أقول فيهنّ كلمات جميلة، ونادية تعلم هذا ولا يخفى عنها، لأنّني كلّما عدت للديار قالتْ لي: «ضيِّعَـنَّـكْ البناويت، أقرى على روحك!»

-6-

لا أذكر آخر اتصال لنادية متى كان، حوالي أسبوع تقريبا. الليلة مرّر لها أبي الهاتف وكانت فرصتها لتسأل عني وعن الصحب والرفاق.
ناديه تلك المرأة البسيطة جدا، تملُّ نومي إذا ما كنت في عطلة، وتشتاقُنِي كلما كنت في تونس. لا شغل لها غير البيت والانصات للمذياع. هاتفها معطّل تقريبا ولا تعرف أي شيء عن مواقع التواصل الاجتماعي. كل ما يحزنني أنّني أكتبها وهي لا تعلم ذلك ولا تقرأ ما أكتب. لا يوجد اسمها، ولا تعلّق لي كباقي الأمهات اللواتي يعلّقن لأبنائهنّ بتعاليق فيها الكثير من الحب والدعاء.
ناديه يُمرر لها أبي الهاتف مرة بعد وقت طويل يدوم لأيام. تسأل عن حالي وإذا ما كنتُ في حاجة لشيء ما. أطلب منها الدعاء والسلامة. من ثم تنتهي المكالمة.
بعد المكالمة ناديه تذهب للنوم، وتحلم بالتميّز لابنها وبالعمل. تحلم باليوم الذي سأشتري لها فيه أثاث غرفة نومها.
أما أنا بعدما تنتهي مكالمتها أنطلق مباشرة لأكتب عنها، وأخلّدها في نصوصي كما أفعل للتو فلربما لا يتحقق ما تحلم به فتجد نصوصي وكلماتي وأنّي أحبها كثيرا!

-7-

قضيتُ صغري وأنا ولد عاقّ لنادية، لا أستجيب لطلباتها وأخالف جلّ أقوالها. كانت شديدة معي، كثيرة الضرب، لم تترك مكانا من جسدي إلا ونال حظه من ضربها القاتل.

كبرتُ وصرتُ بلقاسم كبير الاسم والحجم. أثقلتني القاف المثلثة التي تتوسط اسمي. وصرت رصينا في كل شيء من دون نادية. كبرتُ واتسعت بيننا الهوة والمسافة وتضخّم الحاجز بيني وبينها.

نادية، ذلك الاسم الصغير هو أمي. لم تعد تقدر على ضربي الآن، وأنا في كل مرة يمنعني صغري لأقول لها أنا آسف على كل ما وجدته مني. حقيقة ما زلتُ فخورا بذلك الماضي رغم عقوقي. وضريبة فخري أنّني أستحي ولا يمكنني أن أقول لنادية مباشرة أنّني أحبّها.

الفايسبوك كان فسحة لأعبر لها عن حبَي وأسفي، لذلك أنا كثير الكتابة.

أقسم لكم أن جلّ نصوصي وعلى الرغم من طولها هي مقدمة لأقول لنادية في آخرها «أنا آسف على كل ما مر، فأنا أحبك كثيرا!»

-8-

في الحقيقة أنا أنتظر اتصال ناديه مجددا لأخبرها أنّ الجميع يسأل عنها ويبلّغها السلام والكثير من الحب والإعجاب. ربما سيطول الأمر لا

أعلم. آخر اتصال لوالدي كان منذ ليلتين. ومن سوء حظها أنّه لم يمرر لها الهاتف لأخبرها.

أعلم أنها ستكون سعيدة بذلك، ستفرح لأنّها صارت محور حديثٍ خارج البيت، وبعيدا عن المطبخ والراديو. سيذكرها أحد ما بعد ما كانت منسية تقضي يومها بين الطبخ والتنظيف والانصات للراديو ومشاهدة التلفاز والحلم بامتلاك سيارة وزيارة الكثير من المناطق.

حسنا هذا يكفي، في كل مرة أحدّثُ نفسي أنّني لن أكتب لكن في لحظة ما أجدني أخط وأنشر دون وعي.

ناديه بطلة نصوصي وكلماتي وأنا بطلها الأول والأخير!

-9-

في اليوم العالمي للمرأة تستيقظ ناديه وتفتح مذياعها لتجد الكثير من تحايا الصباح. الإذاعات تبث خبر هذا العيد وترسل الورود والحب لكل النساء الكادحات.

ناديه تشرع في إعداد الفطور، ورائحة القهوة سرعان ما تغطي جو مطبخها الصغير جدا. تلتفتُ فلا تجد من يحمل لها ورودا ولا من يهنّئُها بعيدها كبقية النساء. هاتفها غير ذكي ما زال يحمل الكثير من الأزرار ومع ذلك معطّل. تفكر لوكان في حالة جيّدة فتتصل بي وتخبرني أن| اليوم عيد عالمي للمرأة. تتخيل ماذا لو كانت تملك هاتفا ذكيا وحسابا فايسبوكيا وتنشرُ بعض التدوينات من قبيل "تحية إليّ وإلى كل النساء الكادحات مثلي". لكن سرعان ما تعود لرشدها وتجد أنّ القهوة

قد نضجت وأنّ أبي يطلب الفطور وعليها أن توقظ أخي الأصغر إبراهيم وتعدّ فطور جدتي أيضا، ومن ثم تشرع في تنظيف المنزل.
أخبرتني سرين أخيرا أن ناديه تتصفح الفايسبوك مع أبي عبر هاتفه وهما يتابعان ما أكتب سرّا. لا أعلم إن كانت ستقرأ هذه الكلمات أم لا. فقط كتبتُ لأقول لكَ أمام الملأ أنكِ امرأة جدّا قوية وصارمة. كبرتُ على يديكِ وصرتُ بلقاسم بالقاف المثلثة. يصفني الجميع داخل الجامعة وخارجها بأنّني غامض وغريب الأطوار، وكل ما سألني أحدهم أخبره أن نادية هي من نحتتني ورسمتني.
نادية التي أنجبتني أعظم النساء بالنسبة لي، ولا يمكن لأي أنثى أن تبلغ مقامها أو تعلوه يوما ما.
ناديه أيتها العظيمة أنا أحبك كثيرا وأكون فخورا كلما اعترضني أحدهم وسألني عنك. حتى أنّه يوجد من الأساتذة كلّما دخلت محاضرته سألني كيف حال نادية؟
أنا حقا فخور بكِ لأنكِ أمي باسمها الصغير والفاتن ولأنكِ بطلة كلماتي ونصوصي!

-10-

ناديه لا تكاد تصدّق أنّ ابنها على بُعد بضع أشهر من الأستاذية وإكمال مرحلة الإجازة. تذكرُ دموعها التي انسابتْ منها لمّا عدتُ من المنستير وقد تركتُ ورائي المعهد التحضيري وقررتُ أن أنام لسنة

لكاملة. لا تكاد تُصدّق أنّ تلك السنة مرت وأنّني الآن على بعد خطوات من التخرّج.

مؤخرا اجتاحتها مخاوف أن تمرّ هذه السنة بيضاء أيضا بسبب طاعون هذا الزمان الكورونا. ربما لن نتمكّن من إكمال ما تبقى من هذه السنة الدراسية، ويؤجّل كل شيء للسنة القادمة. سنة ثانية ستكون في عمر ابنها بياضا!

نادية امرأة نبيهة رغم الصمت الطويل بيننا. تعلم أن بلقاسم قبل تلك السنة يختلف كثيرا عن بلقاسم بعدها. الكثير من النوم والركود والموت. كانت معجزة لمّا استطاعتْ إيقاظي قبل سويعات قليلة من انطلاق الحافلة واقناعي بالسفر لخوض مناظرة إعادة التوجيه. ربما كاد يصيبها الجنون. تلك اللحظة الوحيد التي أذكر فيها أنّني فعلتُ شيئا من أجلها رغم كرهي له. وسافرتُ لا لشيء استجابة لطلبها.

تدركُ ما حل بي. والأمراض التي اجتاحتني. لكنّها لم تفهم سبب تلك السرعة وتلك التقلبات.

أذكر أنّني استيقظتُ ذات مساء بعد يوم كامل من النوم وهي تغسل الثياب كعادتها وقد بلغت حيرتها من أمري حدّ الجنون واشتّد الحديث بيني وبينها حتى نطقت: «لاه يا وليدي شبيك؟ كنت نُوارة وطفيتْ!»

أعلم أنّني قد انطفأتُ يا ناديـهْ، لكنني سأكون "نُوّارتك" كلّما اشتد الظلام!

-11-

البارحة علمت نادية أنّ المنحة في مرحلة الماجستير ستزداد، مباشرة زادت في سقف طلباتها وقالت لي «اشريلي تلفون!»
كل ما في الأمر أنّها تريد أن تلاحقني هنا أيضا وتتابع كماتي وحروفي. فاتتها الكثير من النصوص التي أتلفتها وتريد أن تلحق قبل أن يفوتها الحديث منها.
كانت تملك هاتفا قديما يشبهها لكنه تعطّل، وفي كل مرة تلجأ لهاتف الوالد أو الأخوات. لكنّها لا تطلبني في هاتفي أبدا، تتغاضى عن ذلك. تخشى أن تجد أسماء الكثير من الفتيات ولا تجد اسمها بينهم مسجّلا، فأنا لا أحفظ رقمها القديم ولا أعلم عنه شيئا.
تريد أن تملك هاتفا بمئات الدنانير وتلاحق نصوصا هي بطلتها لا تجني إلا العشرات من الإعجابات. حتى وإن وضعتُ تحديّا إعجاب واحد مقابل دينار من المليمات فلن تتمكن من شرائه.
نادية تريد أن تتابع تعاليقكم وتضع لكم الكثير من القلوب وتخبركم أنها أمه وأنها المقصودة والبطلة في كل مرة. تريد أن تسألني عن الفتيات، من هذه؟ ومن تكون؟ ومتى عرفتها؟ ولم تتحدث معك هكذا؟ وهل التقيتها من قبل؟ أم معرفة افتراضية فقط؟
نادية قررت أن تخسر مئات الدنانير من أجل أن تلاحق الفتيات اللاتي قالت لي فيهن يوما ما «أقرا على روحكْ ضيِّعنَّـكْ البناويت!»

-12-

البارحة على غفلة منها دخلتُ الغرفة فوجدت هاتف أبي بين يديها وتقرأُ شيء ما. اقتربتُ فإذا هي تقرأ نصي. غادرتُ مسرعا خوفا من تعليقها على ما أكتبُ. ومنذ ذلك الوقت وأنا أهرب منها خوفا مما ستفعله بي.

أتمنى لو تمنعني من الكتابة وتعاتبني عن ذكر اسمها في نصوصي. وقتها سأجد سببا مقنعا للحد من هذياني.

لكل أولئك الذين انضموا لهذا الجدار في لحظاته الأخيرة ولكلّ أولئك الذين ملّوا أمره:

الكل يعرفني، أنا بلقاسم بن محمد صاحب القاف المثلثة، رأسي أثقل الأشياء وزنا. مؤخرا صار الكل يُفاجأُ من البياض الذي يغزوا رأسي، فقط نادية لم تهتم لذلك أبدا.

سيرتي الذاتية رسمها جدي منذ القدم وأنا ألعب الدور الأن. لا شيء يجلب للانتباه، فقط تحيط بي الكثير من الأوهام. لذة البدايات لا تدوم، هكذا أنتم حين تقرؤون كلماتي وتكتشفون جداري. وعند النهايات ستكتشفون صدقي وصراحتي.

ربما ستقضي عليّ نادية ولن تجدوا نصوصي مستقبلا. كل ما أردتُ قوله لكم أنّني آسف. فقط أرجو أن لا تذكروني بأي شيء. وإن تقاطعت طرقكم يوما بنصوصي فوصيّتي أن تتلفوها فهي امتداد لي وأنا أتقلّص مع الأيام ولا أمْتَدُ!

-13-

أذكرني صغيرا في لحظة وِحْدة أخبرتني نادية أن كل ما عليّ فعله هو أن أغمض عيناي ثم أفكر في شيء يؤنسني وبعد فتحها سأجده أمامي.
أمّي امرأة مسكينة تظنني ولدها البريء الذي ستنطلي عليه هذه الحيلة وسيصدّقها من لحظاته الأولى. الحقيقة كانت عكس ذلك.
بدل التفكير في شيء يؤنسني فكرتُ ماذا لوكنتُ حقا من أولئك الذين سيقضون كامل حياتهم وحيدين. ولمّا فتحتُ عيناي لم أجد أي شيء قد تغيّر. عندها أدركتُ أنّني على حق وأن نادية كانت تُخادعني.
تذكرتُ هذا الأمر لأنّني اليوم وأنا ابن ثلاث وعشرين سنة ما زلتُ أفتح عيناي في كل مرة لأجِدَنِي وحيدا.
لكي لا أطيل عليكم، أنا بلقاسم بن محمد بالقاف المثلثة، لا تخدُعني كثرة الصحب والرفاق والأحباب من حولي، ولا كثرة تعاليقكم وإعجاباتكم، ولا ملازمتكم ومراسلتكم والقدر الذي تبلغونه قربا مني. منذ الصغر أعلم حقيقة أمري جيّدا وأُدركها، وأحمل معي الكثير من الحُجج التي تدعّم فكرة الوحدة هذه.
فقط كلّما اشتدّتْ عليّ وحدتي وضيّقت الخناق أُغمض عيناي، فإنْ تمكنتُ من فتحها بعد ذلك، أدركتُ أنّني نجوتُ من الموت ومن ثمة أشرعُ في كتابة نص.
لذلك نصوصي التي أنشرها في الحقيقة هي لحظات توثيق لنجاتي المتكررة من الموت في كل مرة!

-14-

ها أنا ذا، أطلُّ عليكم في كلّ مرة وأحملُ إليكم حروفا جديدة. هذه المرة أنا أحملُ إليكم ابتسامة أمي ورائحة ثيابها. رأيتُ الفرح يغمر هذا العالم فجئتكم وأنا أحمل كل دموعها الرمادية وآلامها الأبدية لعلّكم تحزنون. ها أنا أطلُّ عليكم في كل مرة بالورود الذابلة وبالمساء المُتعِب وبالأزرق الذي مللتموه.

كلّ الصور التي أحببتها ولم ألتقطها في الحقيقة أنا أحفظها في قلبي. أنا لوحة رسمتُ عليها بالطبشور الكثير من الوجوه والأحلام، رسمتُ السماء السابعة ورفعت اللوحة للمعلم كثيرا. في كلّ مرة يستغرقُ ثوان لينظر في ما نرسم قبل أن يطلب مسحها بسرعة. كنت أتألم حين يطلب ذلك. أقضي الكثير من الوقت في رسم السماء والأحلام والملائكة وعالم الميتافيزيقا الذي سأصل إليه، لكنّه لا يهتم لذلك. يقضي على كل هذا بأمر واحد وبكلمة واحدة. حتى أنّني في يوم من الأيام وعلى غفلة مني مسحتُ أناي. ومنذ ذلك الحين لم يعد إصبع الطبشور يتركُ أيّ أثر على اللوحة.

ها أنا ذا، قد تركتُ اللوحة والقاعة وصرتُ أكتبُ هنا وعلى الجدران وبجانب وشم جدتي وعلى كتب القرآن وعلى ثدي عاهرة الحي. صرتُ أكتبُ فوق أسماء أعضاء الحكومة، على مقرّات الأحزاب، على شهر أكتوبر، وعلى صور لينين. صرتُ أكتب في كل مكان حتى أخبرَ المعلم أنّني قد تجاوزتُ اللّوحة وأصبحتُ صعلوكا لا تقدر على محو ما أكتبُ!

-15-

عندما كنتُ صغيرا تنبّأت أمي بأنّني سأكون نبي، توهّمت أنّ عصا موسى هي التي تنال مني في كل مرة. تضربني وتصرخ في وجهي كلما أردتُ الهروب من قبضتها «لا تخف فالأنبياء لا يخافون».

قالت لي: «سيزداد ذقنك طولا وستكون خساراتك المتكررة بعدد الشعرات التي ستغطّيه، ومع كل خسارة سيأخذ أحدهم بلحيتك»

كبرتُ، وازداد طول ذقني وارتفع عدد خساراتي. أهملتُ شاربي استعدادا لكل شيء، وفي اللحظة التي ستختفي فيها لحيتي سيبقى شاربي المهمل يعوّض القليل.

كبرتُ ولم أدرك من النبوّة غير السراب، والأصابع التي كانت تنكسر عليها العصا صنعتُ منها قلما ظننته سيكون إحدى المعجزات.

خسرتُ كل شيء، حتى حاسوبي الذي أُطل به من خلاله عليكم صارت شاشته تتعطل شيئا فشيئا. مع كل يوم تزداد ضيقا وأختنق حد الموت مع كل نص أكتبه. لم يعد المجال فيه يتسّع لنصوص طويلة. ظننته سيرافقني حتى في مرحلة الدراسات القادمة وهولا يزال صغيرا. ربما كبر بسرعة شديدة بسبب النصوص التي أكتبها عليه، وأصابعي ثقيلة عليه هي الأخرى.

أوهمتني أمّي أنّني سأكون نبيا، كبرتُ ولم يكن لي من النبوة نصيب غير الوحدة.

هكذا أنا وحيد في قومي. أُبعث لوحدي. ويُنادى عليّ «بلقاسم بن محمد، صاحب القاف المثلثة». فآتي لوحدي باسمي المجرّد حاملا معي كل خساراتي!

-16-

- هل هنّأت نادية بعيدها؟
- في الحقيقة سؤال جدا مضحك أن يوجّه لشخص مثلي.
يا صديقي، نشأتُ في صراع دائم بيني وبين نادية، لم أعتد تقبيلها ولا النوم عندها، لا أستطيع حتى التفكير في الوقوف لجانبها والتقاط صورة ما.
حقا، ليست لي صورة مع نادية مثلكم، حتى في الأعياد والمناسبات أنسى أن ألتقط معها صورة. آخر صورة ونحن نقف جنبا لجنب كانت في حفل توزيع الجوائز سنة السادسة ابتدائي.
بعدها لم أر نادية قطّ، كبرتُ وتمرّدتُ عليها ولم تعد كما في عهدها. تلك المرأة المسيطرة والقوية، والقاهرة. الآن أصبحت تنظر إليّ بوقار وهيبة، تخجل مني كثيرا، وتفكر جيّدا قبل أن تقول لي شيئا ما أو تحدثني عن شيء ما، صارت تخاف ردّة فعلي ولا مبالاتي.
صحيح أنكم تنشرون صورا مع أمهاتكم وتكتبون بعض التهاني لكن جلّكم يعلم أنه سيفشل في كتابة نص واحد ليوم واحد دون صورة، ولن ينجح في إخراجها. فكيف له أن يكتب عن أمه كل يوم على مدار سنوات دون أي صورة مثلي؟ منكم من ينشر صورة بجودة

عالية وببعض كلمات ينسخها من هنا أوهناك، ورغم كل هذا لن يرسم أمه كما يفعل صاحب القاف المثلثة في فقرة من فقرات نص من نصوصه!

-17-

أنا أشبه نادية كثيرا،
كلانا لا يقرأ لهيجل، ولا نعلم ما الذي يريد قوله، ونحب جمال عبد الناصر. كل في الأمر أرادتني أن أكون مثل والدها زيتونيا، فملأتْ حقيبتي وأرسلتني إلى هناك. لم أطالع الفلسفة، ولم أحفظ القرآن، ولا الأحاديث، ولا فهمت في حياتي منهجية تحليل المقال، ولا نجحت يوما في صندقة جملة عربية. أرسلتني خاليا من كل شيء.
قدمتُ للجامعة وسمعت بأسماء فلاسفة وأدباء وعلماء لأول مرة في حياتي، والغريب أن الأستاذ يتحدث عن أفكارهم وكأن الأمر معلوم مسبقا، حتى فاجأني الطلبة وهم يناقشونه ويتفاعلون. وأنا في داخلي أتساءل يـا الله أي| موضع وضعتني فيه نادية؟ كنتُ سعيدا ألعب كرة القدم في الشارع، حتى وجدتني في مدرج الجامعة أسمع بأشياء غريبة لأول مرة في حياتي!
عندما تخصصنا اخترتُ أصول الدين، سألتني نادية عن سبب اختياري لهذا الاختصاص فأخبرتها بالحقيقة: «أرسلتني لمكان ليس بمكاني، ووضعتني بين أناس لم أفهم قولهم، ولم أستطع الإجابة بالشكل الذي يطلبونه. سمعتهم يتحدثون عن قوم يُقال لهم المعتزلة فجذبني

هذا الاسم، فسألت: «أين يمكنني ملاحقة هؤلاء القوم». فقالوا لي: «تلاحقهم في هذه الشعبة»، فاخترتُ أصول الدين»
ومنذ ذلك الوقت كلّما عدتُ إليها من تونس تسألني مَن الأول في القسم؟ فأخبرها أنه صاحب القاف المثلثة!

-18-

هذه الليلة، اتصال من رقم مجهول ظننت أنه للعائلة وأجبت «ألو».
- ألو، هل عرفتني؟
- نعم، عرفتك.
وكيف لا يعرف صاحب القاف المثلثة نادية؟ أخبرتْنِي أنه هاتف جديد ورقم جديد أيضا، وطلبت مني تسجيله. أظنها استغنت عن طلباتي التي تأخرت، وطال عليها الأمر. كيف لها أن تنتظر أول منحة في مرحلة الماجستير لأشتري لها هاتفا؟
ربما أدركتْ أن ابنها لا يمكن الوثوق فيه، تخاف أن تنتظر كل هذا الوقت دون أي نتيجة. لذلك تناست أمري وكانت سعيدة بهاتف يأتيها من أبي.
أردتُ أن أتأكدت من كل هذا فسألتها:
- هل هو ذكي أم هاتف عاديّ؟
- أجابتني عاديّ.
وقتها أدركت أن نادية ذكية مثلي، ولا تترك طلباتها أبدا، هي الآن تنتظر أول منحة لي في الماجستير لتخبرني أنها قد ملّت هذا الهاتف

العادي، وعليها أن تشتري هاتفا ذكيا لتستطيع التعليق على ما أكتب كبقية النساء!

-19-

نادية،

لا تحفظ تاريخ عيد المرأة، ولا تتفطن لذلك إلا عبر راديو المطبخ عند استيقاظها صباحا. لا استدعاءات تصلها من الجمعيات والمنظمات تُذكّرها بأن العيد على الأبواب وتدعوها لحضور الاحتفالات التي تُنظُّم بمناسبة هذا اليوم. لا تملك أي صفة غير أنها ربّة بيت، لذلك يجهلها المجتمع المدني ولا يعلم بوجودها أصلا.

أمي، امرأة بسيطة تنتمي لبلدة صغيرة، تتمنى دائما لو أتمت دراستها وتعلمت العزف على آلة الأورغ. تحلم عن طريق أبنائها: السيارة، السفر، السياحة، الترفيه، المتعة، اللباس، مواد التجميل، أثاث جديد للمنزل، غرف جديدة، الهواتف، مذياع حديث، وغيرها. تحلم بتحقيقها عن طريقنا.

نادية الآن تعتقد أنّني مشهور على الفايسبوك، وتدفعني لهذا، تريد أن تحقق شهرتها من خلالي، حتى إذا ما سُئِلَتْ من أنتِ؟ أجابت: «أنا والدة بلقاسم، صاحب القاف المثلثة»

-20-

رغم كل شيء،
تسعد نادية ببعض الأشياء التي تخصني وإن كانت هذه اللحظات قليلة ولا تتكرر دائما، إلا أنها تُجبر خاطرها وتنسيها الهامش الذي أعيشه.
تسعد كلما مدحتني بعض النسوة أمامها مثلا، عندما أكتب نصا يحقق نجاحا، عند لحظات نجاحي، عندما ما تتصل بي وأُخبرها ببعض الوقائع التي تحصل معي وكيف نجوت منها، عندما يأتيها سلام من أشخاص لا تعرفهم، كل هذه التفاصيل تجعلها سعيدة وتنسيها بؤس الواقع وتفخر بي ولو للحظات.
أنا أيضا تسعدني سعادتها، وأعمل على ذلك كثيرا. وجدت الكتابة وسيلة لإسعادها، وها أنا ذا لا أكف عن ذلك. أنا أيضا أسعد عندما تصلني التهاني قبل أن أعلم أي شيء عن نفسي، مثلا تصلني بعض الرسائل تخبرني بنجاحي وأنا لم أعلم بالأمر بعد، يسعدني أن أجد كمّا لا بأس به من التهاني في التعليقات من بعض الأصدقاء الذين عثروا على اسمي هنا أوهناك خلافا لأقراني.
تسعدني هذه الأشياء فقط لأنّني صناعة نادية، هذه القاف المثلثة، هذا القلم، هذا الحائط، هذه الكلمات، الصور التي تشاهدونها، قلبي المقدس، وكل شيء جميل هو إخراج امرأة اسمها نادية ودور البطولة لشخصه اسمه بلقاسم.
نادية تعبث بي وبكم كيف ما شاءت، والحقيقة خلاف هذا تماما!

-21-

رغم استيقاظها مبكرا دائما لا أظنها تذكر أن اليوم هو ذكرى ميلادها،

نادية امرأة من الزمن القديم، لن يخبرها الراديو الذي تسارع لفتحه كل صباح بأن لهذا اليوم ذكرى تخصّها.

امرأة صغيرة تعيش على تفاصيل الأشياء وذكرياتها، وكل ما شعرت بخسارة شيء ما إلا وكان أملها فينا أن نعوضها خسارتها تلك.

كلما اختفيت عنها إلا وكشفتني، تخبرني دائما أن أمثالي لا يمكن لأحد أن يستمر معهم إلى الأبد. تقولها عندما تصرخ في وجهي، تقولها عند أكثر لحظات صفائها وأنا أعلم أنّ ما تقوله نادية صحيح لأنّها الوحيدة التي تعرف من أكون.

آخر شخص صاح في وجهي كان يقول: «أنت شخص مريض، وأنا لست نادية لأكون مجبرا على تحمل كامل تفاصيلك»

في النهاية، لا أحد سيبقى في حياتي إلا نادية، وأنتم أيضا لا أحد سيبقى حياتكم إلا أشخاص مثل نادية!

-22-

نادية تطيب عصيدة الزقوقو؟

هذا السؤال اعترضني أكثر من مرة.

نادية لا أذكرها يوما أعدت هكذا شيء، لا تملك ثمنه ولا تعرف كيفية إعداده. منذ الصغر أذكرها تُعِدً عصيدة بالزيت والسكر وكنت لا أهتم لذلك كثيرا. أحبّ الزقوقو الذي يأتينا من أفراد العائلة هنا وهناك، لكنني لا أهتم لعصيدة نادية.

لا أعلم ما الذي يعنيه المولد الذي تبدأ جدّتي بالحديث عنه منذ دخول الشهر الذي لا أعلم أيضا أي شهر هو. لا أذكرني دخلت للمسجد في ذلك اليومّ ولا ينتابني التفكير في ذلك. لا يعنيني مولد من؟ ولم يطرح بذهني هكذا سؤال، لا أعلم أيضا إن كان هذا عيدا دينيا أم لا؟ أو أنهم يحدثون الربّ في هذا اليوم، أو أنه ينزل إليهم ويزورهم، كل هذا حقيقة لا يعنيني. حتى عندما التحقت بتونس زرت جامع الزيتونة والبلاد العربي في ذلك اليوم مرة واحد لأحدّث أهلي بعد ذلك عن كل ما يحصل هناك. بعدها تكرّر ذلك اليوم وأنا في تونس ولم أهتم لذلك مجددا.

فقط المولد بالنسبة لطفل صغير وصعلوك مثلي هو يوم عطلة أتخلّص فيه من التزامات الدراسة وأنطلق نحو اللعب والصعلكة، الأمر الذي خُلقت من أجله!

-23-

لم تكن نادية محض صدفة أو خيال، بل كانت حقيقة.
أنا من كنتُ صدفتها الوحيدة، لم تحفظ ذكرى ميلادي ولم تتجرأ يوما على تذكره. اعتدتُ سماع عبارة تُقال لي هنا وهناك «محظوظة نادية بولد مثلك»، لكن في الحقيقة أنا من كنتُ محظوظا بها.
كان اسمها فاتنٌ وصغير كشكلها، جعلْتُها حبيبتي الدائمة وفتاتي الاستثنائية في كل شيء. كتبتها كثيرا وأحسنت إخراجها إليكم حتى ارتبط اسمها بي، وصارت الفتيات يحسدن وجودها في نصوصي. تقول إحداهنّ ماذا لوكنتُ مكان نادية؟
قلت لن يكون ذلك أبدا، فمن حسن حظي أنّني خرجتُ من رحم امرأة واحدة اسمها نادية، تلك الفتاة الحقيقية التي لم تكن محض خيال ولو لحظة من حياتي!

-24-

مؤخرا اعتدتُ أن أترك قلبي عند نادية كلما هممتُ بالسفر. كانت سعيدة بذلك ومطمئنة لهكذا فعل، فجميلات تونس مهما فعلن لن تستطيع إحداهن أن تحيط قلبي، ولا أن تُسمعه حتى صدى صوتها.
أنا أيضا سعيد بهذا، فأثمنُ الأشياء عندي أتركها في حفظها. لا أوجاع ولا هموم، أقضي أيامي البعيدة عنها بقسوتي التي لا تلين لنظرات أي كان، ولا للكلمات العذبة أو اللهجات الفاتنة. توصيني نادية بنظراتها

كلما قبّلتها استعدادا للسفر: «لا تقع في حب الفتيات، ولا تجعل أي واحد منهن تلهيك عن دراستك». مباشرة بعد تلك الوصية أترك قلبي عندها وأمضي.

بعيدا عنها، صرتُ أمشي ولا أنتهي من الحديث. تعجبهم لهجتي فيسألني الكثيرون من أي البلاد أنت؟ أجيب تارة وأتفادى تارة أخرى. أما عن القلب، فذلك تحرسه امرأة واحدة اسمها ناديه!

-25-

لطالما علمتْ نادية أنّني من الأشخاص العابثين بمستقبلهم. كانت تَحُفُّني بدعواتها وبرضاها الذي لا ينتهي.

كلّما صرتُ بعيدا عنها، رافقها القلق تجاهي، توصيني أن أهتم لدراستي بعيدا عن الفتيات والنصوص والفايسبوك.

تطور الأمر وصارت تهاتفني عبر الفيديو، تتأكد من ملامحي وتطمئن إن كنت أكلت ونمت جيّدا. تسأل عن الدراسة فذلك منتهى القلق عندها.

أرهقتني الجامعة كثيرا، وتقتلني تفاصيلها التي لا حد لها، في كل مرة أجدني أمام وضع مفترقٍ نهائي لكثير من الأشخاص. الأشياء التي تأخذ من وقتي وجهدي عليّ أن أتخلص منها، لا وقت لدي لتقبّلها.

وأنا في كل هذا ترتسم أمامي صورة نادية تسألني: «ماذا لو كانت الجامعة هي أيضا من ضمن هذه الأشياء؟»

-26-

"سيبوني يا ناس* بحالي بحالي* أروح مطرح ما روح"

الحواجز التي تحول بيني وبين الأشياء التي أحبها لا دخل لي فيها، نادية فقط تتحملها. وحدها أنجبتها معي منذ المخاض الأول، ولدتني في لحظة نسيان وغفلة عن الزمن، في مكان قصي ومهجور.

كنتُ ولا زلت غريبا عن كل الأشياء التي تحيط بي، أحببتُ حد الجنون، وكرهتُ حد المرض. آمنت بالموت، ورسمته من كل الزوايا، أعجبتني الكلمات التي قيلت في، وحفظتها عن ظهر قلب.

لم تشغلنِ الآلهة، وشغلتني أجساد الإناث. تصالحت مع كل غريب، وكنت مسالما تجاه الجميع، كرهتُ من يشوّه أذواقي ويحرف ملذاتي وإن كانت نصوصا مقدسة. لم أترك ثقبا جميلا إلا وسددته، حذفت أكثر الناس حبا لي، تفوهت بالكلام البذيء تجاه كل من ابتسم في وجهي، ولم أترك مكانة في قلبي لأحد إلا وهدمتها.

وحده ثقب قلبي ما زال يتمدد ويتسع، يتساقط منه كل شيء دون استثناء، إلى أن تسقط منه قافي المثلثة فتلك اللحظة التي من أجلها ما زلت أتواجد بينكم لحد الآن!

-27-

ما زلت حبيب نادية وظلّها الذي يستظل به كل من طاف حولي.

أنا، سفيرها حيث ما حللتُ، ولسانها كلما تكلّمتُ، وضحكتها أينما ضحكتُ.

أنا، بقافي المثلثة والثقيلة، وُجِدْتُ لأحمل همومها وأحلامها. كل ما أنا فاعله من إخراجها، أفعالي، تصرفاتي، كلماتي، مزاجي، حركاتي، سكناتي...

ما كنتُ يوما حقيقة، فأنا مجرد سراب، كدُمْيَةٍ يُحرّكني الشوق لنادية كيف ما شاء!

-28-

نادية تطور أمرها كثيرا،

صارت تُطلُّ عليّ من وراء الشاشة. هذه الليلة أطلّت بغطاء وردي، هي لا تعرف عيد الحب، ولا تحفظ تاريخه، لم تقرأ قصصه، ولم تحدثني يوما عنه. طلّتها من وراء الشاشة تلخص كل شيء، تتقنه بنظراتها وملامح وجهها وأسئلتها.

فقط، هي لا تملك حسابا على الفايسبوك لتقول في وجوهكم أنها الوحيدة التي تستحق الحب. أنجبتني لأنوبها في كل هذا ولأقول لكم بكل وقاحة أنّ نادية هي الوحيدة التي تستحق الحب!

-29-

نادية تخلصت مني وأخيرا،
سعيدة لأنّني بعيد عنها ولن تجد منْ يتذمر من الأكل في اليوم الأول. لن تضطر للصياح والصراخ والدفاع عن طبخها، لن تحدّق فِي ولن ترفع من صوتها بعد يوم طويل من الإرهاق والتعب.
أعلم أنها عند الفطور ستشكو ضيق مطبخها كالعادة، وتتذمر من الحرارة المرتفعة فيه، ستشكو نقص أواني المطبخ وفي النهاية ستصرخ في وجه الجميع: «ألي عِجبه كلي وألي عجبه قَعَد».
بينما أنا بعيد عنها، تتناول فطورها وتُقهقه في داخلها: «أرسلته لتونس وليتذمر هناك كما شاء فلا أحد سينصتُ إليه!»

-30-

نادية امرأة من الزمن الجميل، طموحة رغم أنها لا تملك أي شيء. وحدها الصبورة على شخصيتي المزاجية والمعقدة في كثير من الأحيان. منذ الصغر، تركتُ بيني وبينها هوة كبيرة عمدا حتى لا أُدخلها في مشاكلي وما يترتب عن صعلكتي التي لا حدّ لها. أجعلها بعيدة عن كل أوجاعي حتى تظلّ مطمئنة ولا تقلق أبدا. لا أحدّثها عن حياتي الخاصة ولا عن علاقاتي ولا عن صحبتي. قليل الكلام معها، لا أخبرها عن وجهتي كلّما غادرتُ المنزل، لا تعرف من أرافق ولا طبيعة علاقاتي ولا تعلم أي شيء عن تفاصيل يومي.

عندما أكون في تونس لا أسمع صوتها ولا تهاتفني إلا مرّة أو مرّتين في الأسبوع، تغمرني بأسئلتها الكلاسيكية التي تطرحها كل أمّ لابنها وتنتهي بسرعة.

علاقتي بنادية جدا بسيطة، علاقة واجب وحق بين ابن وأمّه رغم تقصيري في واجباتي تجاهها. ومع كل هذا فإنّها امرأة عظيمة لا تعرف طعم الاستسلام ولا الهزيمة وتنتصر في كل مرة!

-31-

نادية،

الأنثى الدائمة في قلبي، فوق المزاج، ولستُ أعاملها كبقية الإناث.

أنجبتني حلما، وتجلّيْتُ من رحمها إيمانا. باركتني آلهة الشعوب القديمة وهنّأتها بقدومي.

نادية، سليلة الآلهة عندما كانت الآلهة أنثى. ومع الديانات السماوية لم تفقد مكانتها. ففي أي مكان تلامس جسدي أزهر.

آخر مرة ربتت على رأسي وداعبت شعري، ومنذ تلك اللحظة أصبح البياض ينال منه بشكل ملاحظ.

سعيد به كثيرا لأنّه امتداد لشعراتها البيض، ولأنّه النور الوحيد في حياتي المظلمة والداكنة!

-32-

نادية امرأة جميلة،

امبراطوريتي التي لا تغيب عنها الشمس، وحبيبتي التي لا تخذلني مهما اشتدت رياحي.

عرفتُ الكثيرات، ولا أحد منهنّ يمكن أن تكون سندا صلبا يعادل صلابة خصلة من خصال شعرها الذي أمشطه وأنا طفل صغير.

نادية لا أذكرُ أنّني رأيتها يوما، أو تحدثت إليها. يمكنني تذكّر كل القبل التي أهدتنيها لقلّة عددهن.

نادية أرسمها من آثار ضربها على جسدي، أجيد تقليد صوتها من صياحها الذي لا يغادر أذني وأنا طفل عاق. ومع ذلك أرسمها رسما يطابق الحقيقة دون أي زيادة أو تشويه.

نادية، لا يمكنكم الولوج إليها، ولا سماع حديثها. لا تبيح بأسرارها وتكتم كلماتها للحظات الحاسمة.

نادية امرأة صارمة، لا تتدخل في ذوقي، ولا في علاقاتي، ولا يثيرها الفضول تجاه ذلك. تحب جمهورها الذي صنَعْتُهُ لها بقلمي، وحين تكشف عن حجابها لا تريد لأحد أن يعكّر لحظة صفائها حتى لوكان نصا من نصوصي الذي يثير إعجاب العشرات!

-33-

الشاشة تتوسط الجدار، وطرفة على الواجهة: لوكاكو يسجل أول ركلة جزاء بالقدم اليسرى لتشلسي عبر تاريخها بالدوري الإنجليزي الممتاز.

«المجانين تنساب منهم الأفكار بكل سهولة ودون توقف!» عبارة انفجر بها أحد الجالسين بالمقهى بعد ما حبس أنفاسه لوقوف أحد المتسكعين بجانب طاولته حتى لا يستنشق رائحة الأرصفة الكريهة التي تنبعث منه.

الموتى عادة لا يخافون الموت لأنّهم موتى، ولستُ أعلم لِمَ يخاف المتحزّبون حلّ سعيّد لأحزابهم وهم موتى؟

مدريد يكفيك أن تسقط الراء لتتحول إلى مدّ لليد، حيث رجل السياسة يتحدث عن السلام، والشاعر يتغنّاه والرياضي يمارسه وثلاثتهم متصهينٌ.

نادية، لا تعرف لوكاكو، ولا تشلسي، ولا تعلم معنى أن يكون المرء متحزّبا، لم تسمع عن مدريد ولا تميّز بين مصطلحات السياسة. ولكنها تنتمي لله وللوطن وللحياة!

-34-

نادية،

صورتي معها ستنشر في زمان ومكان محددين، ستكون خارج سياق الأعياد والمناسبات الكلاسيكية، ستكون شاهدة على انتصاراتي التي لم تأت بعد.

أدرك جيّدا أن صورتها هنا ستكون نهاية لكل النصوص التي عنوانها نادية. لطالما كانت شخصية مثيرة يجهلها أغلب من أحبها. كنتُ ولا زلتُ صِناعَتَها وإبداعها، كلماتها التي لا يمكن أن تنطق بها، وأحلامها التي لم تتحقق بعد.

أنا بقافي المثلثة أحمل همومها النسوية، وأؤمن أن دائرة الأنثى وجع وألم خارِج مقامات الأمومة. نادية باسمها الفاتن والصغير لا تعرف معنى الكبر والعجز. بصوتها الجميل المُنبعث من المطبخ لا تعرف معنى الظلام واليأس. نادية ببعض خصلات شعرها البيضاء سَلِم الناس من يدها ولسانها.

إنجازاتي التي حققتها لحدّ اللحظة هي كلماتي ونصوصي المُعنونة باسمها، تلك النصوص التي تجاوزت الأعياد والمواعيد والمناسبات والهدايا.

نادية تعلم أنّني فقير، ولا رصيد عندي غير منشورات أرسمها من خلالها، أرسمها كما لو أنها خيال.

ما رأيكم أيها الحمقى لوقلتُ لكم بأنها حقيقة؟

-35-

نادية لا تؤمن بعودة المسيح خلافا لكثير من المؤمنين، وتؤمن أنّ الإنسان عليه أن يبحث عن خلاصه الخاص في هذه الحياة. لذلك أنجبتني بحثا عن خلاصها وعلّقت كل آمالها في، وهي لحد اللحظة تتحدث وتنتظرني دون ملل.

ركضت حافيا مئات الأميال، وحلقت شعري آلاف المرات، وبدا الشيب يداعب رأسي، وذقني تجتاحه الفوضى. ومع ذلك هي تنتظر.

التحقت بالمدرسة، وأنجزت عدد لا يحصى من الامتحانات، تخرّجْتُ، وقفزت للدراسات العليا فجأة كما يقفز الساسة إلى السلطة، وهي ما زالت تنتظر.

حتى عند موتي، ستظل تنتظر عودتي، لأنّها منذ أنجبتني كنت بمثابة المسيح في نظرها!

-36-

يحدثُ أن تجتاحني رغبة في مراسلة الجميلات، فقط ليتأكّد الجانب العاطفي منّي أن لا شيء مغري في الأمر غير جمالهنّ الجسدي.

جلّ الفتيات اللاتي راسلتهنّ كان الدافع وراء ذلك هو هذا الشعور، والحق أنّني كنتُ صريحا معهنّ منذ البداية ودون خدع كلامية. لأنّني لا شيء سأخسره في النهاية ومكسبي الوحيد هو صراحتي ووضوحي.

أؤمن أن الحياة الخالية من الإناث والجميلات لا يمكن أن تنتج شخصا سويّا شريطة أن يكون في الأمر مبدأ ومستوى من الإنسانية، لا أنْ يعبث المرء في عالمهنّ كالحيوان. وفترة الشباب الخالية من وجود الأنثى لا يمكن أن تجعل منك كهلا متشبعا من الجنس الآخر ومتصالحا معه مستقبلا.

لذلك في الجامعة اخترت العاصمة والصعلكة ولاحقتهنّ بكل وضوح، كنت بدويّا في ذوقي لأنّني وفيّ لثقافتي البدوية، وتصالحت معهنّ فكريا ودينيا لأنّ نادية كانت سويّة في تربيتها تجاه الجنس الآخر ولم تمنعنِ منهنّ.

أثناء الفترة التي قضيتها في تونس كانت تخاف هذا الأمر كثيرا وتوصيني بالدراسة والكف عن ملاحقة الجميلات رغم ما يأتيها منهنّ من رسائل سلام.

بعد خمس سنوات في العاصمة، عدتُ إليها بقناعة راسخة أن شخصا مثلي بطلة نصوصه امرأة تُدعى نادية ليس في حاجة للحب والعلاقات من الإناث!

-37-

مساء الخير،

آسف إن كنتُ أخذت مكان من يستحق، أعلم أنه زمن يحتل فيه من لا يستحق مكان الذي يستحق وأعلم أن لكل زمن مثقفوه.

تتخيلني أمّي كاتبا كلّما رأتني أكتبُ عنها الكثير من النصوص التي لا تنتهي، ويتكرر اسمها أيضا. تظنني مثقفا إذا ما قرأتْ تعاليق المتابعين، وتتوهمني شخصا مشهورا إذا ما بلغها سلام من أحدهم. هكذا أنا في عين أمي، ذلك المثقف، والكاتب، والشخص المشهور، وربما تظنني مدونا وناشطا اجتماعيا كلّما اعترضتها هذه الكلمات في التلفاز.

أنا آسف يا أمي الحقيقة فأنا خلاف ذلك، أكتبُ ولا أعلم هل هذه الكلمة منصوبة أم مرفوعة، أكتبُ لأنّه زمن الحمقى وزمن الذين لا قيمة لهم. إنه زماننا حيث أتاحت لنا هذه المواقع أن نكتب وجعلت لنا متابعين وقراء وهميين، امتلكنا معجبين لا يمتلكونهم كتاب وأدباء حقيقيون. أنا آسف لأنّني خدعتكِ وخدعت الكثيرين.

أنا آسف لأنّني أخذت مكان من يستحق، كان على الحمقى مثلي أن يُضرَبُوا من أول يوم كتبوا فيه أول حرف هنا لنعلم مكاننا الحقيقي.

أنا بلقاسم بن محمد، أعترف أنّني أخذت مكان كثير من الناس أحقّ مني في كل شيء، وأنّني شخص أوهمه هذا العالم الافتراضي وأوهمه هذا الزمن الأحمق. أخطأت في اللحظة التي أنشأت فيها حسابا لأكون بينكم وكتبتُ لكم أول حرف، أرجو أن تغفروا لي حماقتي وطيشي وأرجو أن تتقبّل نادية حقيقة أمري!

-38-

منذ اللحظة التي أعلنتُ فيها نهاية الشخصية البطلة نادية في نصوصي، تغيرت الكثير من الأمور فجأة!

فقدتُ الكثير من القراء الذين كانوا يستمتعون بحكاياتها. هي نفسها صارتْ تصف ما أكتبه بالتفاهات، تقلّص عدد وصايا السلام التي كانت تصلها، لم أعد أجد موضوعا أكتب فيه، وإن وجدتُ كان نصّا مملا وفاشلا.

الآن نادية انتهت من كل الحكايات، فقط تطلب منّي أن أعود لتونس وأن أتركها وشأنها. تخلّت عن الهاتف، وعن الشهرة، وعن السفر، وعن زيارة تونس، وعن حضور حفل التخرج بعدما تراجع معدلي. لم تعد تسألني عن المتابعين، ومن هذا؟ ومن هذه التي قالت لك كذا وكذا؟ لم يعد يجذبها النظر في الهاتف وهوبين يدي، لم تعد تسرق النظر، لم يعد يعنيها أي شيء.

فقط كل همها الآن أن أتركها وشأنها!

القَافُ المثلّثة

-1-

مرحبا أيها العالم،

للذين يطلبون منّي أن أكتب لهم نصا لغرض ما أو يطلبون منّي تقييما لنص أو قصيدة ما أو انضماما لشيء ما أقول لهم:

في الحقيقة الكتابة عندي إحساس، وهي حديث قلب لقلب، إذ لا يمكن لأحد أن يعيش أحاسيسك تجاه الشخص الذي تكتب من أجله أو إليه. لذلك حين تكون الكتابة نابعة من إحساسك فإنها تصل للآخر وتخاطب وجدانه بالرغم من بساطة القلم على عكس أن تكون كلمات برّاقة وتعبير جاهلية نابعا من الآخر فإنه لا يؤدي الوظيفة.

أنا بلقاسم بن محمد، لست بشاعر، ولا بفيلسوف، ولست بكاتب، ولا أي شيء، ولن أكون. لا أنتمي لأهل اللغة، ولا الصرف ولا البلاغة ولا لأي شيء من هذا. لا أتقن الفرنسية، ولا الإنجليزية ولا أفقه ولا أتكلم أيّا منهما، ولا أي لغة أخرى. أتكلمُ عربية متقطّعة وأكتب من اللاشيء. أذكرُ أنّني في حصص الإنتاج، في بعض المرّات تنقلب القاعة ضحكا على ما أكتبُ. ولا أذكرُ أنّني تحصلت على المعدل في كتابة المقال، والملاحظة الأولى للأستاذة دائما هي "**كلام متقطّع**". فلستُ أهلا للطلب ولا للتقييم ولا لشيء من هذا القبيل.

أنا بلقاسم بن محمد، أكره المسؤوليات وأهرب منها ولا أنضمُّ للمنظمات، ولا للجماعات، ولا أشارك في النشاطات، ولا في الأعمال

الخيرية، ولا أتولّى المناصب، ولا أحبُّ المقدمات بأي شكل من الأشكال، وأكره اللقاءات، وهي عندي أكثر الأشياء التي لا تتحقق ولا تثمر، وأكثر الأشياء كذبا ووهما، ولا أحبُّ المكالمات الهاتفية، وأتجنبها قدر الإمكان، وأُفضِّل التراسل، وأي طلب يُطلبُ مني مضمونه ما ذكرته آنفا فهو طلب عقيم يقابله الرفض وقول «آسف، أعتذر»

أنا بلقاسم بن محمد، أحبُّ النوم والركود كثيرا وأكتبُ عن البدينات وأعشق كرة القدم وفقط.

-2-

جئتُ لتونس قادما من الصحراء وأنا ذلك الشاب البدويّ. لا أعرف "برشكا"، ولا "زارا"، ولا "حمادي عبيد"، ولا غيرها من المحلات المشهورة. لا أذكرُ أنّني اشتريت ملابس تفوق الخمسين دينارا.

في تونس صرتُ أجمع بعض المال لأشتري ملابس جيدة بثمن باهض بالنسبة لي، لدرجة أنّني أكتم ثمنه كلما سألني أبي عن ذلك. حتى العطر، صرتُ أشتري عطرا بثمن باهض وأحدث نفسي: «عليكَ أن تستغل تواجدك في تونس والحياة واحدة لا غير».

في تونس تعجبتُ من الضجيج الذي لا أعرفه، ومن بعض البناءات، ومن الميترو، ومن مشاهدة الطائرات التي تمرُّ فوق رأسي كل لحظة، الكثير من المطر، والشوارع، والأنّهج، والمحلات، والمارة، والمكتبات، الكثير من كل شيء.

في تونس جئتُ وأنا لا أعرف المرَوِّب، ولا اللازانيا، لا أعرف السينما، ولا الحانات، ولا المقاهي المختلطة، وأجهل الكثير الكثير.
تونس جئتها بسروال دجين معتاد، وبمعطف عمره ثلاث سنوات وبعطر بسيط جدا. جئتُها بِبُلغة صحراوية في قدمي وباللفافة على كتفي.
أنا بلقاسم بن محمد صاحب القاف المثلثة، جئت لتونس وأنا شخص بسيط جدا من وسط مهمّش وفقير، صحيح أنّني قدمتُ وأنا لا أملك أي شيء؛ لكنني أملك قلبا بدويّا شاسعا ونقيّا كما الصحراء التي أنتمي إليها!

-3-

لا أملك أي شيء، فقط الكثير من الأحاسيس الصادقة والنقيّة التي أرتّبها على شكل حروف وأعلّقها هنا. يخبرني ويمازحني صالح أنّني صرتُ مشهورا عندما تجاوز منشوري المائة من الإعجابات.
في الحقيقة شخص بسيط يحبُّ الوضوح مثلي لا يمكنه أن يكون كذلك. الشهرة تتطلب الكثير من اللباس والأقنعة، الكثير من المجاملة والنفاق. الشهرة أيضا تتطلب المواعيد والمسؤوليات. الشهرة ستجعلك شخصا معقّدا لا تشارك أصدقاءك منشوراتهم البسيطة والتافهة. ستجعلك تكتب في مقدمة جدارك "المسنجر للخاص والخواص".

أما أنا فعريان، لا يمكنني القيام بكل هذا ولا أقدر عليه. ما زلت أؤمن بالخرافة والكرامة وبركة الأجداد. لم أقدر على الإلمام بالتراث الفكري ولم أستطع اللحاق بالفكر المعاصر. ما زلت في منزلة بين المنزلتين.

لا أملك اسما ولا صفة، ولا حقوق نشر، فقط عندما يقتلني الحزن أكتب. ومن ثم أفكر في إتلاف ما كتبت. أتلفتُ جلّ نصوصي وما زلت سأفعل.

أنا بلقاسم بن محمد، صاحب القاف المثلثة، عريان كصورة المسيح على الصليب. انتظرتُ لحظة ولادتي وقضيتُ كامل حياتي أفكر في طريقة موتي، كيف سأموت؟

لذا خذوا عنّي نصوصي دون إذن وانسبوها لأنفسكم فأنا حقا منشغل بطريقة موتي لدرجة أنّني لا أجد وقتا لأجيب عن رسائلكم التي تحتوي «أهلا بلقاسم، هل يمكنني نشر ما كتبت؟»

-4-

كانت تونس بجميع تناقضاتها شيئا فريدا لشاب بدوي مثلي. كنتُ حالما بها منذ أيام الثانوي، ولم أترك ذلك الحلم حتى قُبِلْتُ في الزيتونة وحملت أمتعتي إليها.

عند عودتي إليها ينتابني نفس الشعور الذي لا يوصف، تشعر وكأنّ كل شيء ثقيل، الاستعداد، البحث عن تذكرة العودة، الأمتعة، الحقائب، كل هذا أمر جدا ثقيل. يتمنى الواحد منا لو ينتهي كله في رمشة عين.

تُخبرني صديقتي أن المرازيق يُعرَفون بحبهم الشديد والمبالغ فيه لأرضهم وبلادهم، ولا أظنّ أنّه ثمة تفسير غيره لهكذا شعور كلما عزمتُ السفر.

كانت تونس المنفذ لكل شيء، النقطة التي لا بدّ لي من المرور عبرها. حيث تترعرِع همومي الفكرية، وكبرت بين أزقتها، وشوارعها، ومكتباتها. كنتُ أبحث عن خطواتي ما بعد الباكالوريا، والآن أصبحتُ أبحث عن خطواتي ما بعد الإجازة.

أصعب الأشياء وأمتعها أن تبحث عن رفقة تبادلك الهموم والأفكار، تخط معها دربا شاقا، وتخوض معك حربا ضروسا قادمة تلمحها أنتَ قبل أقرانك.

ولحدّ هذه اللحظة أجدني في مخاض عسير وطويل بين حبّ الأهل والديار من جهة وتونس وما فيها من جهة أخرى، عسى أن تسعفني بعض كلمات أجمعها لسيرتي الذاتية يوما ما!

-5-

مرحبا،

أنا بلقاسم بن محمد، لا أعلم إن كنت مواطنا أم لا؟ أذكرُني صغيرا في سنّ المراهقة تمتحِننا آنستي إيمان في مادة التربية المدنية بسؤال شفاهي: «هل أنت مواطن؟»، ورغم ذلك لا أعلم الإجابة عن هذا السؤال إلى الآن.

شخص بسيط يفرض عليّ صابر الجلوس على الكرسي كلّما قلت له التقط لي صورة جميلة. أجلسُ مجبرا لأنّني لم أعتد الجلوس من قبل، فأنا ابن رجل قضى عمره عاملا بسيطا لا يعرف المقاعد، ولا الكراسي، ولا المناصب، ولا أي شيء يتعلّق بفعل الجلوس والهدوء، لذلك أفضّل الوقوف دائما.

كبرتُ مع بعض رفاقي في رحاب المسجد، كنّا نقضّي فيه الساعات الطوال، نحفظ القرآن، ونراجعه، ونتبادل الحديث. نتسلّلُ أسواره خلسة كلما ما مُنعنا من ذلك. تعلمنا فيه واحتضنا الكثير من الأطفال الصغار بحب كبير نعلمهم ونحفّظهم أيضا. وقد وجدتُ نفسي أعلّم من هم أكبر مني سنّا وقد كنت تلميذهم في المدارس. واليوم أنا مع من يدعو لمنع الجماعة والجمعات حفظا للأنفس.

عقلي صار لا يهدأ، وكبر حجمه ولم أعد أحتمله، لا طاقة لي بذلك بعد الآن. لا أعلم كيف لي أن أخبر ناديه مثلا أنّني مريض بمرض عقلي أو نفسي وقد يكون سببا في هلاكي!

أنا الآن وحيدٌ أهذي بعد منتصف الليل، وأكتبُ مقدمات طويلة جدا لأقول في آخرها لنادية أنّني أنا ابنك شخص مريض. قريبا سينتهي بي الأمر للجنون وهي تغطّ في نوم عميق وخصلات من شعرها الأبيض يشتد بياضهنّ يوما بعد يوم، وقد لاحظتُ ذلك في أول يوم أعود فيه للبيت بعد شهر من الغياب!

-6-

كتبتْ لي جمعة: "هناك صور نحملها كالإرث فوق قلوبنا تعزينا في وحدتنا وأين ما كنا، وهذه إحدى الصور، هدية الميلاد التي انتظرت أشهرا بين الملفات لتصلك!"

فكتبتُ:

أنا يا جمعة لا أحمل فوق قلبي، بل أفتحه وأضع الأشياء التي أحبها داخله. منذ سنة مضت فتحتُ بابا من أبوابه ووضعتك هناك، لكنكِ فتاة حمقاء كلما قسا قلبي ظنَنْتِنِي طردتُكِ.

القلب أرضي الممتدة التي تحملُ الكثير، حتى هذه الصور لا أحملها فوق قلبي بل أضعها بداخله هناك في الداخل. تمتزج بالدماء وتصبح خليطا ضروريا لا يمكنه أن ينفك عنّا، كنبيذ اعتدنا عليه وأدمنّاه.

أنا يا جمعة يرهقني يوم الميلاد وترهقني الهدايا ويرهقني الحبّ وكل حروفه. فتى مزاجيّ لا يثبتُ على شيء ترهقه أشياء ثابتة كالصور، ونصوص الحبّ، والشَعْر الأشقر، وحمزة الزّيات، والموسيقى، وجمعة. الكثير من الأشياء الثابتة تُرهِقُه.

حيث أطيشُ تُحبّني الكثير من الشوارع والنوافذ، لكنّني أختار التسكّع، والتشرّد، وحبّ الأرض بمن عليها، لأنّني أحمل قلب الأنبياء.

هناك حيث قلبي تكون جمعة.

-7-

دائما ما كانت جمعة تحبّذ اسمها الثلاثي، وتعلّقُ نصوصها بـ: «أنا جمعة محمد بنعلي» ثم تكتبُ نفسها بكل براعة. أخذتُ عنها هذه البدعة الحسنة، وصرتُ أبدأ نصوصي بـ: «أنا بلقاسم بن محمد».

جعلتُ منه اسما فخما، وتوهّمتُ لنفسي مقاما رفيعا، ولم يعلمنِ أبي الرماية والسباحة وركوب الخيل. كنتُ شخصا كلاسيكيا في كل شيء، في لباسي، وتسريحة شعري، وكلامي، ونصوصي التي أنشرها بينكم، حتى الموسيقى عادة ما أفضل الاستماع للموسيقى الكلاسيكية.

أختار القتال مرة، والجلوس على الربوة مرات عدّة، هجرتُ الأماكن التي تتواجد فيها رائحة الرفاق، وشطبتُ اسمي من كل الصفحات، وحذفتُ نفسي من كل الصور التي جمعتني بهم، ووضعتُ مكانها قلبا أزرقا لأقول لهم: «أحببتكم كثيرا، وسأظلّ أحبكم ولا مكان لي بين الجميع بعد الآن».

عرفتُ جمعة، وقد كانت تحتفل بعيد ميلادها بين كثبان الرمل بعيدا عن هذا العالم. أخبرتها أنها ستموت لوحدها، وأنّ الاحتفال بعيد الميلاد لا يناسبُ فتاة بدويّة لا علاقة لها بالعالم. لستِ بدينة، ولستِ مُغْرمَةً بالصور في كل دقيقة، وأي مقاطع للفيديو ستضعينها على حساب الأنستقرام، وأي عدسات فخمة ستلتقطكِ وأنت تحتفلين لوحدك؟

منذ ذلك الوقت، وجمعة تكتب نفسها، وتحدّثُكُم عنها، وتطلبُ مني أن أسير على نهجها، وها أنا الآن أكتبُ نفسي أيضا، وقد صرتُ عريانا.
منذ يومين صار علي يكتب نفسه، ويبدأ نصوصه بـ: «أنا علي بن حمد»، وقد قرأتُ لبعض الأصدقاء نصوصا بهذا شكل من قبل. المهم الآن هو أن تكتبوا أنفسكم، ولتحبّوا أسماءكم، وألقابكم، ولتتحدثّوا عنكم من دون خجل.
فإذا دخلتم قبوركم دخلتموها عراة لا ذنب لكم سوى الحديث عن أنفسكم وجلدها!

-8-

في الحقيقة هذا الجدار يحمل اسمي ولقبي، ونسبي الحقيقي، وصورتي الحقيقية في الظلام كنت قد التقطتها وأنا حزين جدا. أذكر أنّني وقتها في أشد الحزن لدرجة أنّني أتيت لصابر وطلبت منه توثيق لحظة الحزن الشديدة هذه. فكانت سوداء وكأنّني أمرُّ على الصراط.
أنا لا أنافق ولا أعادي ولا أجامل، ما تجدونه على هذا الجدار ستجدونه في حياتي، لست مضطرا لأكون بوجهين، ولا فائدة من ذلك.
أنا لا أحبّ اللقاءات، وكل الذين يتمنون اللقاء بيننا أرجوأن لا نلتقي.
آخر مرة وعدتُ فيها حبيبتي أننا سنلتقي، تزوجتْ وتركتني أنتظر، وأنا مثقّلٌ أحمل في رأسي الكثير من السيناريوهات. منذ تلك اللحظة، لم أعد أحبُّ اللقاءات ولا السيناريوهات، وآمنت بالصدف. في الحقيقة لا فائدة من اللقاء أصلا. كما أنا هنا بشارب ولحية مهملتين، كثير

الصمت، وإن تحدثتُ سأكون كثير السذاجة بلسان بذيء بعض الشيء.

أشرب الماء كثيرا، وأتبوّل على الجماعات، والفرق، والأحزاب، والحُكّام، وعلى الذين يرتدون بدلات فاخرة ويجلسون في المكاتب، ولا يعنيني أي شيء من هؤلاء.

في الحقيقة، لا فائدة من تكرار نفس الكلام. كل ما في الأمر هو أنّني أريد أن أجمع إعجاباتكم لعلّها ترافقني في طريقي إلى القبر إذا ما متّ وحيدا!

-9-

نحن هنا في مكان قصيّ وعصيّ حيث كثبان الرمال وفحيح جهنم، تفصلنا عنكم ثماني ساعات بالحافلة وتذكرة باهظة الثمن. لا تذكروننا إلا إذا تدلّت العراجين بتمرها في الخريف والشتاء، وتذكروننا في أقل من أربع وعشرين ساعة تدعوننا فيها لحضور احتفالاتكم وأفراحكم!

يختلف مقام الاحتفال والفرح عندي عن مقام احتفالاتكم وأفراحكم، ولا تعنيني الصورة والجائزة ولا أذكر أنّني تسلّمتُ جائزة منذ السنة السادسة ابتدائي، حتى سنة البكالوريا لم أتسلمها رغم الحاح نادية عليَّ. يعنيني فقط أن يكون اسمي ضمن قائمة المتفوقين لأهدي لكثير من التفاصيل الجميلة والتي لا أنساها ولو الديّ هذا التفوّق.

لطالما انتظرته لأهدي كل من أحبُّ هذا التفوّق ولا غاية عندي غير هذه!

دائما ما كانت ناديه توصيني بالصمت وبالخلفية السوداء التي تغيب فيها التفاصيل إذا ما أراد أحدهم البحث عنها. توصيني بالصمت، وبعدم مجادلة الأساتذة، وبتجنّب الجميلات اللاتي يردن الحديث معي. توصيني بالعمل، والصمت، ولطالما كانت تودّعني عند كل سفر «برا وليدي راضية عليك»، وقد علمتُ منذ ذلك الحين انتصاري الدائم!

كثيرة هي التفاصيل التي أهديها هذا التفوق، بداية أهديه لكل الذين شاركتهم أيام الاعتصام، لمن رافقني في عشرين ليلة بكل تفاصيلها وبفرحها وتعبها وبلحظات الخطر والانتصار، لكل زميلاتي اللاتي رافقننا في كل التفاصيل والكواليس، لكل من قال أن الدراسة آخر همّنا، وغايتنا من الاعتصام هي الصعلكة ومقاطعة الدروس، لكل من آمن بي من أساتذتي وأخبرني أن هذا القلم عليه أن لا يموت وأن يتجه للبحث والتأليف، لكل من عدتُ إلى الديار أيام العطل فلم أجدهم وقد غيبهم الثرى: عمّي الحسين، خالي ضو، خالتي محبوبة، عمّي عمر الجديدي، رحلوا في صمت دون أي ذكرى! أهديه لربيع وإلى كل تفاصيله الجميلة، أهديه لآنستي الزهرة التي رافقتها في ساعات التدارك في سنوات الأساسي، حيث كانت أكثر الناس إيمانا بي، ودائما ما تخبرني أنّني ابنها المتميّز. أعلم أنها لن تصلها كلماتي ولن تعلم أمري، لكنّني أقول لها أنا كما تركتني بالأمس أساسي، واليوم جامعة،

وأنا دوما تلميذك المتميّز رغم اختصاصي الذي لم تنتظريه مني، أهديه لكل من غاب عن ذاكرتي المثقوبة!

أخيرا، مرّت سنة من دونكِ، اشتقتكِ بغير حدّ ولا قياس، افتقدتكِ فيها، ولم يكن لك أثر يُذكر. تحسّستكِ هنا وهناك، وطال انتظاري وعلمتُ أن أمركِ قد انتهى. طوتكِ الصفحات والأحداث والمشاهد. طواكِ الناس والأصدقاء والأحباب، وأنا لوحدي إلى الآن أتصفحكِ. مرت سنة دون أن نحقق فيها ما نريد، كان سيجمعنا الكثير، لكنني وجدتُني أجذّف لوحدي، وأنتِ في مكان لا أعلمه. رغم كثرة وسائل الاتصال وتعددها، إلا أنّني لا أعلم عنك شيئا. أنا الآن في الضفة الأخرى أبيع كلماتي، أنا آسف أبيعكِ في الكلمات مقابل بعض الجامات والتعليقات. أنا آسف حقّا فلم يبق لي من حلّ غير هذا! [1]

-10-

أعلم أن هذه الجامعة التي نأتيها مبكرا ستُلقي بنا خارج أسوارها قريبا جدا، ولن تذكرنا صفحاتها. فقد قدمنا إليها غرباء وسنظل كذلك. حتى الأساتذة الذين آمنوا بنا يوما وأخبرونا أنّ المستقبل الذي ينتظرنا كبير وأنّ الجامعة تنتظرنا هم أيضا لن يذكروا أسماءنا ولا وجوهنا بمجرد اختفائها.

---

[1] كتبتُ هذا النص بعد إعلان المعهد العالي لأصول الدين عن حفل تسليم جوائز المرتبة الأولى للطلبة المتفوقين، وكان اسمي حاضرا ضمن القائمة خلال اجتيازي السنة الثانية إجازة اختصاص أصول الدين بتفوّق.

في الحقيقة شخص بدويّ الأصل والانتماء مثلي اسمه لا يحمل أي معنى أو ذكرى لا يمكن أن يكون يوما مجاملا ولا منافقا ولا مسلِّما لما قيل أو يقال. لا يمكن لأمثالي الانتظام، والاستجابة لكل ما يُشترط داخل القاعات والمدارج.
أنا بلقاسم؛ بالقاف المثلثة وسط اسمي، أجدني في قلب الرحى ووسطها بسبب انتمائي الأكاديمي، ورغم ذلك لن ترحمنِ الجامعة وستقذف بي خارج حدودها، وسيحتضنني الشارع، وسيمر أساتذتي الذين أخبروني في البداية أنهم في انتظاري على متن سيّاراتهم، وسينظرون إليّ من بلور النافذة ولن يرحموني هم أيضا. وستأكلني الوحدة ويبتلعني النسيان!

-11-

في الفترة الأخيرة يدعوني علي لنشر نصوصي على الأنستقرام، يخبرني أنّ الكثير من القراء والمتابعين سأجدهم هناك بكل سهولة، ولن أجد غير القلوب والمشاركات دون عناء وضحك وسخرية.
قريبا سنصبح كُتّابا مشهورين، وستَلْتَهِمُ الجميلات نصوصنا من دون توقّف، سيتوهّمُ الجميع أننا مثقفون، ومختلفون عن غيرنا من جنس الذكور، ربما يعتقدون أننا نشبه كافكا، أودوستويفسكي، أو سارتر، أو الماغوط. سيرسلون إلينا الرسائل المعتادة ليخبرونا أن الفتاة التي نكتب من أجلها وإليها محظوظة، ونتمنى أن نكون مكانها.
علي سيفكر في شراء كاميرا عالية المواصفات ليلتقط لكلّ نص صورة، وسيحتاج لشراء الكثير من الملابس. أما أنا فسأفكّر في شراء غليون

للتدخين، وسألبس نظارتين بعدما يضعف بصري، وربما قميص طويل يصل إلى ركبتي، وأضع في جيبه صحيفة ما ونحن نجوب المقاهي والحانات للقاء المعجبين.
الأمر مغري جدّا، لكن ما يحيل بيننا وبين الشهرة سؤال واحد، كيف لنا أن ننزف في الفايسبوك والأنستقرام معا؟

-12-

أعلم أنّ النقاط الثلاث فوق اسمي لا يمكن أن تزول، حمل ثقيل جدا كلّفني به جدي. ومنذ ذلك الوقت صرتُ مسكينا.
قلمي هذا أنهكته تلك النقاط الثلاث. لم يكن وليد ثقافة ولا أدب، كان متنطّعا على الكتابة وسال حبره في زمن أتاح له فيه "مارك زوكربيرغ" أن يكتب ويجعل من نفسه وهما كبيرا. قلمي هذا به صار اسمي ثقيلا، وحده سيجعل منّي شابّا بدويّا قريبا ستتشابه أيامه وتقتله صدمة الحقيقة. قلمي هذا أحتفظ به لأكتب إهداء ما في صفحة ما في لحظة ما، أحتفظ به ليذكرني حين أنسى أنّني خريج جامعة ما كنتُ أحسب أنّني سأكون فيها رجلا أكاديميا تحتاج إليَّ الساحات وأقف أمام الناس لأقدم نفسي بأنّني خريج جامعة كذا ومتخصّص في كذا.
اليوم أفكّرُ كيف أجعل من نفسي مثقّفا أحلم أن أكتب أفكاري وأقف أمام لجنة ما أناقشها. أفكر في صراع أخوضه دائما مع عقول الفقهاء والمحدّثين. أفكر كيف يمكن للقاف المثلثة أن تتصدر

الصفحة الأولى من الكتاب. وغدا سيكون كل همّي البحث عن عمل يضمن لي ضروريات الحياة. سأكتب عن البطالة، والفقر، وسأحتسي الآلاف من كؤوس القهوة مع حقيقتي، وسأضحك كثيرا على الشخص الذي توهّمتُه في يوما ما.

ستمضي الحياة، وأعلم مسبقا أنّني هامش فيها لن يذكره التاريخ. شعور يلازمني دائما ولا أظنه يخطئ، لكنني لن أقبل بهذا، ولا يمكن لعقلي الذي يغلب عليه الكثير من الغباء أن يقبل هو الآخر بذلك.

قلمي سأتركه للمتشائمين، والسوداويين من بعدي حتى لا ينقطعوا. سأتركهم يتواجدون في حياتكم حتى لا تنعموا على هذه الأرض بكل أريحية!

-13-

في الحقيقة أنا صعلوك ومخادع،

لا يعنني أمر الذين أحبهم، بل سريعا ما أتخلص منهم عبر الثقب الموجود في قلبي.

أنا هنا أغازلُ البدينات ليضعن لي "جادور" ثقيل أحاربُ به سيئاتي يوم القيامة لأنّني لا أؤمن بالشفاعة للصعاليك أمثالي!

-14-

نصف الورقة التي كان يطلبها المعلم أو الأستاذ أثناء حصة التعارف تُمزّقُ ويُلقى بها في سلة المهملات مع نهاية الحصة بعدما طلب منّا كتابة أسمائنا وألقابنا وأحلامنا.
في كل مرة أكتب حلم ما: مهندس، طبيب، جندي، أستاذ، وكلّها كانت تُمزّق!
كنتُ ذكيّا وقتها، وكتمتُ حلمي الحقيقي، ولو كتبته لما كنتُ صعلوكا اليوم!

-15-

"دائما أعتبركَ هامش مدينة لا حدود لها"
كان هذا تعليق مختار رحمه الله على نص كنتُ قد كتبته في مثل هذا اليوم من السنة الماضية.
أنا الآن يا مختار ما زلتُ على هامش تلك المدينة أكتبُ، وأنت قد غادرتنا وتركت هذا العالم الافتراضي والواقعي وتنعم في عالم لا نعرفه.
ما زلتُ أعتبر نفسي هامشا لكل المدن، والعوالم، والصفحات، والجلسات، والندوات، أنا حقا هامش لكل شيء. أكتب للنّاس حقيقتي، ولا أخجل من ذلك. أناشد عيبي وأفخر بنفسي تارة كما يفعل البدويّ في عادته، وتراني أُذِلُّ نفسي كلّما أعجبتني تارة أخرى.

أنا لا حدود لي، حُبّبَ إليّ قلبي الذي هومن مدينة الله التي لا حدود لها هي أيضا. ها أنا أكتبُ إليك الآن، وأخبركَ أنّني ما زلتُ أكتب بعض الخربشات، وإنْ كنتَ ترغب في إرسال بعض النصوص من عالمك وتطلب مني قراءتها فافعل، فأنا أنتظر ذلك.

حقا أنا آسف، تلك المدينة ضاقت عليّ، وصارت لها حدود تخنقني. وأنتَ تعلم أنّني أبلغ أشد درجات الصفاء والصدق عندما أكتبُ. وها أنا الآن كثير الوجع والآلام، تفشّت في ولا أعلم لها جبرا. أصابني دوران الليل والنهار وصار الزمن يسبقني، حتى قلبي الذي استمددته من ظلّ الله صار يؤذيني.

أنا بلقاسم بن محمد صاحب القاف المثلّثة والثقيلة استقبلتُ الأيام والناس بقلب شاسعٍ، وأهديتُ البدينات حبّا لا حدود له، وها أنـا الآن كالمسكين أناشد الله أن يهديني بدينة على شكل قلب أزرق فإنّي والله لا أحتمل الموت بقلب مريض منتفخ ومثقوب!

-16-

أمثالي بسطاء للغاية، يحملون قلبا كبيرا لا يتّسع للحقد والكراهية. ألسنتهم تترجم ما في قلوبهم، يبحثون عن أسمى الأشياء الحرية والحبّ. نحن مرضى بعض الشيء، وفقراء أيضا، نوافذ الغرف التي نسكنها مثقوبة، لذلك رأس المال استطاع أن يقنع أحلامنا بمغادرتنا واستبدالنا بكل سهولة.

لا نقرأ الكتب، ولا نملك رفوفا في غرفنا، ودليل ذلك أنكم تقرؤون كلمات بسيطة جدا الآن لا تحمل أي طابع أدبي، ولا تدلّ على أي ثقافة ما. لا نتكلم أي لغة أجنبية، لم نفلح في دراستها، ولا نحبها، ولو أنّ العربية لغة الأهل لكبرنا من دون لغة. ربما سنتحدث لغة الإشارات أو سنصمت للأبد.

لسنا من مدمني الأفلام، والمسلسلات، ولا كثيري الاستماع للموسيقى والأغاني، أكثر رياضة نفهمها كرة القدم. في الجامعة نحن أكثر الطلبة بخلا، نحب اللحى والشارب، نشرب القهوة، ولا ندخّن السجائر، لا نشرب الخمر، ولا نهتم كثيرا للباس، وإن لمحني أحدهم ألبس لباسا أنيقا فهو محض صدفة. لا نقرأ الروايات، وأشهر الأدباء والمفكرين لا نعرفهم، ولم نقرأ لهم، أقسم لكم نحن لا نكذب هنا، فقط نقول حقيقتنا.

لا نعلم كثيرا في الدين والأديان، ولسنا رجال دين، ولا نملك أي شيء لنتاجر به. تعجبنا الأهازيج والموسيقى الكنسية وتغرينا زخرفاتها ومعمارها، نحمل الكثير من الحب للرب ورسله وللنصوص المقدسّة.

أمثالي لا شيء يذكر أقسم لكم، فقط نحمل أسماء كباقي الناس ونحمل قلوبا طيّبة وبسيطة للغاية. ذنبا الوحيد هو أنّ هذا العالم الافتراضي أظهرنا بصورة الأدباء والمثقفين، وهي صورة مغلوطة ونحن الآن نصلحها ونكتب لكم حقيقتنا من دون كلل أو ملل عسى الله أن يكفّر عنّا هذا الإثم،

فهل أنتم مثلنا؟

-17-

لك أن تتخيل مثلا أنّ هذه الحافلة عبارة عن مساحة صغيرة تتزحلق بسرعة على طريق طويل وممتد. نفس الحافلة تخرج بنا من الصحراء وتهرب سريعا نحو العمارات، وضجيج القطارات، والسيارات، والطائرات، والاكتظاظ.

نفس الحافلة تعجُّ بأحلام وآمال المسافرين، أحدهم يحلم بلقاء رومنسي في إحدى مقاهي العاصمة مع جميلة، آخر يشتاق ويحب، وآخر في طريق عودته للدراسة ليكمل ما تبقى من أيامه، يحلم بالنجاح والتخرّج، وآخر على موعد مع الطبيب.

في الأثناء سمعتُ أحدهم يقول: "أنا في الباص الآن"، ربما تذكر فجأة قصيدة درويش "لا شيء يعجبني، يقول مسافر في الباص" أو ربما في طريقه للمطار ليغادر البلاد أصلا، تذكّر أنْ يقول الباص بدل الحافلة!

- وأنت يا بلقاسم أين نوع من المسافرين؟
- أنا من أولئك الذين يشتاقون، أركب الحافلة والباص، وأسافر عبر طريق طويلة لا تكاد تنتهي فقط لأنّني مُشتاق!

-18-

حتى لا أقع في إحراجكم مرة أخرى،

أنا بلقاسم بن محمد، هذه النصوص أنا صاحبها، لا أسرقها ولست من محبي الاقتباسات، قلمي له طابعه الخاص. هذه النصوص التي تضحكون عليها لتفاهتها ورغم ذلك تقرؤونها هي من وحي خيال ناديه ومن خرافات العجائز.

أنا لا أستمدها من الكتب، أقسم أنّني نادرا ما أقرأُ. لا علاقة لي بالروايات، لكن مع ذلك أكتب أفضل من أولئك الذين يمتلكون آلافا من الكتب في بيوتهم، ما أعلّقه من صور في غرفتي أكثر مما أملكه كتبا.

أنا كثير النوم، أرفض كل النشاطات، والمشاركات، والعروض التي تأتيني، وما زلت سأرفض، فقط أردتُ أن أختصر المسافات على كل من ينوي ذلك.

أذكر مرة أنّ سيرين أختي جاءها سؤال "كيف يكون شكل بلقاسم مع أحبته؟"، فقط يكون كالطفل الصغير بقلبه الشاسع. أنا لا أهتم لأي شيء، أهملُ لحيتي وشاربي، وأتصفح الفايسبوك. أبدو كشخص غامض في الجامعة بشكلي المهمل، وبصَمْتي الكثير والمبالغ فيه، وبردودي الركيكة.

همّي الوحيد إلى حدّ هذه اللحظة أن أكتب نصوصا يفوت المائة من الإعجابات وأن أكون من المشاهير!

أنا بلقاسم بن محمد، صاحب القاف المثلثة، إنْ كان لجداري الكثير من المتابعين في يوم ما، فلن أقبل أن يصفني أحدهم بأنّني مدوّن أو ناشط بالمجتمع المدني!

-19-

مرحبا أيها العالم،

رأيتُ في ما يرى النائم أنّني كنبيّ صغير بقلب قدّيس، أنجبتني ناديه بمزاج لعين ومتقلّب، حلمتُ بالشهرة وكتبتُ الكثير من النصوص. كشفتُ عن اسمها ورسمتها وها أنا الآن أفضحُني في كل مرة، رمتني في هذا العالم، مرة أضحك ومرة أبكي، وفي أخرى أتحدّث، وفي مرات كثيرة شديد الصمت ويقتلني الحزن.

حلمتُ بالشهرة فكشفت عن نفسي أمام الجميع، وبطريقة حمقاء جدا. شُوِّهت قداسة قلبي كثيرا، واتُهمتُ بسوء النية في كثير من المحطات. لقد أخطأتُ كثيرا، وبشكل متكرر، أعترف بهذا.

هذه النصوص التي تنزل على رأسي بشكل كثيف، وتجدونها كل لحظة أعلم أنها ستنقطع فجأة، وربما سيطول الجفاف لوقت طويل ولن تجدوا لي أثرا. لا شيء يدفع المرء للحديث عن نفسه وجلدها غير الألم والحزن والموت البطيء.

أنا آسف إن أطلتُ أو أكثرت من الكلمات! نصوصي لا تثير الإعجاب، فقط هي تداعب أحاسيسكم ومشاعركم بكل صدق.

فأنا بلقاسم بن محمد صاحب القاف المثلثة، لستُ بكاتب، بل سرّ ذلك هو أنّني أوتيت قلبا مقدّسا قادرا على اختراقكم من الداخل!

-20-

" بلقاسم لماذا قلمك حزين دائما؟ "

لأنّني كلما أردت القضاء على نفسي إلا وكتبت، حروفي هي الرصاصات التي أتمنى أن تخترق رأسي وقلبي. تغريني فكرة أن أكون جثة ملقاة، ويلتقي الأحبة حولي. الكثير من الشفاه ستقبّل رأسي بعد هدوئه الأخير، سأنصت لكل ما سيقولونه، سيمدحني البعض وسيذمني الكثير، ستنتشر نصوصي، وبعض من تسجيلاتي الباليه، والأهم من ذلك ستبكيني ناديه.

أكتبُ كلما شعرت باحتراقي، وأنّ ظلّي صار خفيفا. قلمي حزين لأن الحزن أكثر صدقا من الفرح، أنا أحبه كثيرا وأ تلذذه. لوكان الفرح يغمرنا لما احتجنا للكتابة، ولما تواجدنا في هذه العوالم الافتراضية.

الحزن وحده هو الذي جعلني أكتب، وأشارككم بوحي ونصوصي، وحده الذي جعلني أهمل لحيتي وشاربي، وحده الذي أوهمكم أنّني مثقف، وأن اسمي يمكن أن يكون له شأنٌ ما!

وحده الحزن الذي حال بيني وبين موتي!

-21-

خلافا لكثير من طلبة الزيتونة،
لم تستهوِنِ مساجد تونس وجوامعها المشهورة ولا حلقاتها العلمية، لم أستجب لطلبات الكثيرين ونصائحهم لي قبل قدومي.
في العاصمة يتحدثون عن مشايخ مشهورين ودروس مفيدة في كثير من المساجد تُعينني في دراستي، الجمعيات، والنوادي، وكل شيء.
أهملتُ كل هذا ورميته وراء ظهري، منذ أول يوم انطلقت أبحث عن المقاهي والحانات التي كنت أسمع بها ولا أعرفها. لونيفار كان اكتشافا جميلا، صارت أسماء الأنّهج والأزقة تترسخ بكل سهولة في ذاكرتي، لا أمّرُ من طريق إلا وحفظته من المرة الأولى، الدباغين، الكتب القديمة، الكنائس والمعابد، والبلاد العربي، كنت شغوفا كلّما أراد أحدهم أن يأخذني لمكان لا أعرفه. اتجهت للكثير من الأماكن الجميلة، حلق الواد، سيدي بوسعيد، المرسى، البحيرة، الكرم، معرض الكتاب الدولي، موعد لا يمكنني أن أتخلّف عنه.
صرتُ أحفظ أرقام الحافلات، وأحفظ طريقها، والأماكن التي يجب أن أتجنبها لخطورتها، والأخرى التي يمكنني أن أطمئن فيها، الكثير من المكتبات، وأنا أبحث ولا أمل من المشي. كلما أصابني الإرهاق إلا وتذكرت أنّني ابن الصحراء والمشي أمر معتاد عندنا، كلما سمعت عن أمر ما إلا وسألت عن مكانه. المحلات الكبيرة، والأسماء الفخمة والمشهور.

ثلاث سنوات وأنا أتسكع وأحاول الإلمام بتونس، لكنني ما زلت لم أنته بعد، صرت أفكر في الدكتوراه لعلني أحفظ تونس وأُلِمَّ بها قبل عودتي للبلاد.
أنا أفعل كل هذا حتى إذا عدتُ لناديه حدثتها عن تونس، وكرّرتُ لها وعودي بأخذها لزيارة كل الأماكن، وهي في ذهول عجيب وتتخيل الأمر وكأنه غدا!

-22-

نصوصي التي أكتبها وحروفي الكثيفة ستعود عليّ قريبا، وستستخدمونها سلاحا ضدي!
الحروف كالخناجر التي تخترق جسدي، كل منكم سيختار حرفا يتناسب مع الطريقة التي يفضلها لموتي، ومن حسن حظكم أن خطّي رقيق وحاد. والأبجدية ستبدو سهلة الاختراق، ستخترقون بها جلدي ولحمي، ستقطعون عروقي، وسأنزفُ الكثير من الدماء التي لا نهاية لها، ستخترقون عقلي وروحي، وستقتلعون أنفاسي.
أما ذلك الذي سيجمع الحروف التي تشكل اسم نادية، وحده من ستكون طعنته في قلبي ويقضي عليّ وإلى الأبد!

-23-

أنا شخص مريض احتارت أمّي في علاجي، غمرتني بالأدوية وقد كنت أكرهها. تمررها لي مع الماء والشاي والقهوة، وفي كل مرة تخدعني وتنجح في ذلك.

أخبرتها بعض عجائز الحيّ أن ابنها لا علاج له وسيكون من صنف المجانين والمختالين. وقد صاروا يعتقدون أنّني صاحب بركة واسمي قديم ينتمي للأسلاف الصالحين، وحظيتُ بمكانة عندهنّ أولا لشفقتهنّ وثانيا لاعتقادهنّ في بركتي وصلاحي، وأنّني مجنون أنتمي لمدينة الله وشعبه وعياله.

لم تجد نادية حلّا غير الضرب، تقول في نفسها ربما سيعود لرشده وعقلانيته. نلتُ الكثير من الضرب والعقاب، وأنا لا أعلم سبب كل هذا. لمّا كبرتُ قذفتني في وجه هذا العالم بكامل أمراضي وعُقدي.

مع الوقت أدركتُ أنّني مريض، وأنّ أمثالي سيموتون بحمقاتهم وسوء أعمالهم. أدركتُ كذلك السبب وراء عذابي وأنا صغير، عفوت عن نادية وعذرتها.

فقط سؤال واحد ما زال يشغلني، لماذا فتحتْ نادية باب المنزل وقذفتني بكل أمراضي في وجه هذا العالم؟

-24-

في التوجيه اخترتُ تونس هروبا من الريح،

هناك، لا يعرفون للريح طعم، فقط نسائم قوية وتمضي في حالها.

نضحك كلما قال أحدهم هناك "الطقس رياح قوية" ويتذمّر من ذلك، هم في الحقيقة لا يدركون معنى الريح، حيث تغزونا الرمال ونصبح عبارة عن جثث رملية تتحرك. والأمهات لا ينتهين عن الكنس والتنظيف وإزالة الرمال من البيت. هناك يضطر الجميع لتغطية رؤوسهم ذكورا وإناثا، حتى أنّ الصحراء تصبح مكروهة بعض الشيء. الريح مصدر للفساد وتعكير الأجواء لذلك هربتُ لتونس، حيت لا توجد رمال والمرأة التي لا تغطي رأسها لا تحتاج لتغطيته والرجال أيضا. هناك لا تضطر الأمهات لأن تكنس الغرفة في كل ساعة ولا أن تضع قطعة قماش مبللة بالماء في عتبة البيوت. فقط هناك يختبئ المرء عن تلك النسائم وينتهي كل شيء. أما في الصحراء أينما حللت واختبأت ستلحقك الرمال لا مهرب منها ولا مفر.

ونحن في تونس كلما اتصل بي أبي وأخبرني أنه ثمة ريح، أو مسعود جاءه خبر في الهاتف أن رجيم معتوق تغزوها عواصف رملية من كل اتجاه، وقتها نتخيّل الجميع وهم غارقون فيها ونحن نضحك كثيرا ونقهقه لأننا اخترنا تونس ونجحنا في الاختيار، فقد نجونا وغرق كل من تبقى هناك!

-25-

أنا،

من قديم الزمان، لا يمكن لاسمي أن يكون مثاليا في أي شيء، في المناصب، والمهام، والاحتفالات، حتى التحديات التي تطرحونها لا يُمكن أن يكون اسمي مناسبا لها.

أنا لا تعنيني الكتب التي تتداولونها ولو تركتموني ألف سنة من الفراغ، لن أقرأها ولن أفتحها. أنا لا أشبهكم ولا يُمكن أن أشارككم قراءاتكم واللقاءات الثقافية التي تجمعكم. لا يمكنني أن أحمل معرفتكم وأفكاركم وآراءكم. كل هذا يصبني بالغثيان.

لمْ تُشَاركونِ الضرب الذي تلقيتُه من ناديه، ولا أحد منكم أعانّني على تحمل حرارة الفلفل الذي كان يغمر فمي ووجهي. لمْ يشاركني أحد منكم اللعب كامل الصيف وهو حافي القدمين. فقط أنا أستمد كلماتي من نادية، ومن خرافات العجائز، ولا مصدر عندي غير هذا.

حين أكتبُ أخرج عن السطر ولا ألتزم بقواعد اللغة. لا صور عندي، ولا تشبيه، ولا بلاغة، ولا أي شيء، لأني وببساطة لا أفقهها. حفظتُ رسم الحروف وها أنا أحاول تنظيمها بشكل مختلف مع كل نص.

أنتم أكثر ثقافة، وعلما، ودراية مني، لكنْ لا أحد منكم يستطيع أن يكتب نصا أكثر صدقا مما أكتبه أنا بلقاسم بن محمد!

-26-

حتى صوتي الذي ورثته وكنتُ مجبرا عليه كان سببا في الخصومات وسوء الفهم هو الآخر.
أحملُ صوتا ذا طبقة عالية، يكون مرتفعا كلما تحدثتُ عن أي شيء كان. حتى أولئك الذي يدّعون أنّني مقرب منهم كلّما حدثتهم عن شيء ما يتذمرون بسرعة شديدة ويقاطعونني بسؤال «شبيك تعيّط؟» ليتخلّصوا مني ومن صوتي. نادية هي أيضا كلّما أرادت أن تتجاوزني إلا وقاطعتني «شبيك تعيط على أمك؟»
الخطأ خطأها، لا دخل لي في ذلك، هي التي أنجبتني بكل هذا السوء. في الحقيقة أنا لا أصيح، أنا أتكلم بشكل طبيعي، فقط صوتي مرتفع، لأنّني أتكلّم نيابة عن كل الذين كُمِّمتْ أفواههم في هذا العالم!

-27-

عندما تكونُ قادما من الصحراء وتحلّ بإحدى الجامعات، قد يراك بعض من زملائك وأساتذتكَ بأنكَ محلّ للجاذبية ولفت الانتباه. ربما سيعيشون عمق المشاهد التي كان يرويها لهم الكوني في رواياته. هكذا يُخيّل إليهم، فشابّ أسمر وبدويّ وبلهجة فريدة عادة ما تبرز شخصيته بين الجميع، ويكون له طعم فريد. كيف ذلك والكثير يسمع عن البدو وما يحملونه من قيم وخصال وهم يتابعونك ليلحظوا ذلك الآن أمامهم. يُخبرهم أستاذهم أن البدوي يغلب عليه الصمت وإذا تكلّم

لخّص وأجاز. فيأتونك مسرعين ليسألوا «لماذا أنتَ قليل الكلام دائما؟» ثم تجد نفسكَ محلّ اهتمام الكثير وربما في مقدمة القوم.

في المقابل، يراك أهل بلدك بأنك ما زلت لا تفقه أي شيء عن البداوة، وعن الصحراء، وتُطالبَ بتعلّم المزيد. وأن تتحلى فيك وتتجسد قيم البدو، وأن تحفظ ثقافتهم، وشعرهم، وأن يكون لك إلمام بتاريخهم، وأن تجتهد دائما في سبيل ذلك، ورغم كل هذا قد ينظر إليك في المقام الأدنى، وأنك محلّ عار وسخرية!

هكذا تصفعني جدتي من أبي اليوم لمّا قدمتُ عليها متسائلا وهي تفترش الرمال «عِجْبِكِ البرّ؟» فابتسمت ابتسامة ساخرة حتى تمددتْ تجاعيد وجهها وبان وشمها واتضحت تفاصيله وأجابت: «البر هذا نخبره مِنْ قدام لتجيبك أمك»

هنا علمتُ أنّني قد هزمتُ ولا ملجأ لي غير الصمت والخضوع. وساد السكون، وأمسكت بيدي لتستند عليها، وأعينها على النهوض والمشي!

-28-

أما عنّي،

فلا أحد يتذكرني، حتى أساتذتي لا يتذكّرون أي شيء بخصوصي، فقط جلّهم عرفني عن طريق هذا الجدار، وعلموا أنّني كنت في القديم تلميذهم لمّا كتبتُ لهم في التعاليق "أستاذي، أستاذتي، سيدي، آنستي".

لا يذكرونني بشيء، كنت صامتا واسمي لا يذكر إلا عند المناداة للحضور أو لاسترجاع ورقة الامتحان.
نادية كل ما كانت تفعله هو أن تخبر من يدرسني أنّني ابن عاق، لا أستجيب لطلباتها، ولا علاقة لي بالدروس والمراجعة، والمدرسة آخر اهتماماتي. أذكرني واقفا أمام السبورة ويحدّثهم المعلم عنّي ويصفني بالابن العاق ويذكّرني بآية "وقضى ربك" ويضرب بي المثل في العقوق أمام كامل القسم، فقط لأن نادية أخبرته بذلك!
صحيح أني منذ الصغر كنتُ غريب الأطوار، ومزاجي، وصامت ومتمرّد، وأمقت الدراسة كثيرا، وألعنها كلمّا لاحقتني للاستحمام مساء الأحد استعدادا لأسبوع جديد.
كنت كذلك حقا، لكنني أنا ابنها الوحيد الذي يأتيها باستدعاء الجائزة عند آخر كل سنة دراسية!

-29-

في التوجيه الجامعي اخترتُ تونس،
الكثير من أبناء بلدتي عندما يسألني عن مكان الدراسة أخبره أنّني اخترت تونس، مباشرة يجيبني: «وكْ يا وخي شلزّك على تونس البعد وكثرة المصروف»
حقا لا تهتموا لهؤلاء، ولا تستحوا من أي شيء.
أنا اخترتُ تونس هروبا من نادية، ومن الريح أيضا. هناك لا يعرفون أي طعم للرمال، فقط نسائم قويّة.

اخترتُ تونس لأنّها أكبر المدن، ولا توجد مدينة أكبر منها على هذه الرقعة للتعرف عليها، اخترتها لأكتشف أرقام الحافلات وأحفظ طريقها، لأركب عربات الميترو، ولأحفظ كل الأسماء المعروفة والمشهورة هناك في العاصمة. وعند عودتي أحدّثُ نادية عن أشياء تسمع بها عن طريق التلفاز، أنتصبُ كبطل للحكاية وأحدثها عن ذلك المكان، وأصف دون انتهاء لأنّني عايشته وزرته، وكلمّا رأت شيخا زيتونيا تساءلت «هذا زعم ميقريش في بلقاسم؟»

اختاروا تونس لتكونوا أبطال للكثير من القصص والروايات، لتتسكّعوا، ولتحفظوا الأنّهج والبلاد العربي، وكل التفاصيل. اختاروا تونس لتنعموا بالمطر المتكرر، اختاروا تونس فهناك الكثير من المقاهي، والحانات، والمساجد، والكنائس، الكثير من الجميلات بكل التفاصيل، إن كانت لديكم أمهات مثل نادية لن تجدوهم هناك، ستكونون أحرارا، تمارسون الصعلكة دون أي حد،

هناك الكثير من الرفوف، والمكتبات، والآلاف الآلاف من الكتب، اختاروا تونس دون خوف، الكثير من الأشياء ستفعلونها لأول مرة. الكثير من التجارب، والمسؤوليات، هناك سيتصل بكم كامل الحي ليطلب منكم قضاء بعض الحاجات، لأن تونس بعيدة عنهم وأنت متواجد فيها، سيحتاجك الكل، وسيحفظون اسمك، ورقم هاتفك، فقط إن كانت هذه التفاصيل لا تعنيكم، أوكنتم من الجبناء الذين يخافون هذه الأشياء بدعوى التدين أو انحراف الشخصية، فرجاء

اتركوا تونس واتركوا مكانكم، لعله ثمة من يريد أن يأتيها ولم يسعفه مجموع نقاطه!

-30-

مرحبا أيها العالم،
كيف لنا أن نتحرر من عبودية الوقت؟ أنا شخص يكره أن يكون عبدا للوقت، أجدني شديد الاضطراب كلّما ارتبط جزء من حياتي العادية بزمن محدد، مثلا في رمضان أكره أي يكون للأكل والشرب بداية ونهاية رغم أنّني كثيرا ما أنسى أن آكل أو أشرب!
الحقيقة أنّني لا أحبه، عادة ما يشتدّ فيه مزاجي وتزداد تقلباتي إلى ما لا نهاية.
في رمضان لا شيء يتغير مع نادية، الكثير من الصمت، أستيقظ عصرا ولا أقابلها إلا على مائدة الإفطار. كعادتي أتذمّر من طبخها وسريعا ما أغادر البيت.
كيف لكم أن تتذكروا كل هذا الكم من التهاني؟ دخول رمضان، والمنشورات اليومية بعد الإفطار، والعدّادات التي تنتظر خروجه، ثم العودة سريعا للتهاني التي تخص العيد!
وأنا أكتب هذه الكلمات أصابني الإرهاق، كيف لكم أن تتذكروا كل هذا؟ ألهذا الحدّ ذاكرتكم خالية من الأحداث حتى تجدوا مكانا لكمٍّ هائل من التهاني والرسائل؟
أنا حقا أنسى تهنئة نفسي فكيف لي بتهنئتكم وأنتم بالمئات!

-31-

أنا؛

صحاب القاف المثلثة التي تتوسّط اسمي، بلقاسم بن محمد، أنتمي لأولئك المهووسون بالتفاصيل، هناك حيث تكمن قمّة الإيمان ودعوى الصعلكة.

ليس بالأمر السهل أن يكتب المرء عن نفسه ويفضحها، أنا أفعل ذلك دائما، لا وقت لديّ لأتحدث عن الآخر، يكفيني هذا الصراع الممتد بيني وبين كينونتي.

أحدّثكم عن نفسي لكي أختصر المسافات، ولا يضطرّ أحدكم ليأتيني على الخاص ويخبرني بأنّني شخص غامض ويثير الحيرة والعديد من الأسئلة.

لم أختر طريقة ولادتي ولم أفكر فيها، لذلك أنا أريد اختيار طريقة موتي على الأقل، هذا الأمر جدا يفتنني ويأخذ مني الوقت الطويل. لا يمكن لهكذا تفاصيل أن تفلت مني. ها أنا أكتبها في كل مرة وسأنجح في إخراج مشهد كهذا، وإن كانت نهاية سريعة جدا تستغرق بضع ثواني!

أنا أنتمي للمزاجيين وللسوداويين، نجحت كثيرا في إخراج شخصية اسمها نادية بكل رصانة، وفشلتُ في الكثير الكثير من النصوص.

تأثرت بي الكثير من الأقلام كما تأثرتُ أنا بمن هم قبلي، لكنني أنا بلقاسم بن محمد استطعتُ أن أنحت أسلوبا خاصا بي يمكنكم معرفته من اللحظة التي تمتلئ فيها شاشاتكم بالألوان القاتمة!

-32-

أين الله؟ يسألني أحدهم وأنا فوق السطح أنظر لصومعة الجامع الكبير "جامع الغوث" بعد أذان المغرب مباشرة.
أتعلم أن هذا السؤال حال بين الكثير من الأساتذة ووظيفتهم، فشلوا في الإجابة عنه وحُرموا من الوظيفة والتدريس لا لشيء إلا أنهم لم يحسنوا الإجابة عن الله أين هو!
لا أعلم هل يمكن للناس أن يؤمنوا بنفس الإله، وأن يتساوى الجميع في هذا الإيمان وتصورهم لما يعبدون أم لا؟
أنا عن نفسي خُلقتُ مريضا بالتفاصيل، لم تفهم نادية هذا المرض ولا الأطباء أمكنهم معرفة السبب أو الحكمة من ذلك، مع الوقت أدركتُ أن هذه التفاصيل سؤالها أين الله؟
أجده في ابتسامة نادية، وفي نصوصي التي أتلفتها ونسيتها، في الأصفار الأربعة التي تظهر على شاشة الهاتف والحاسوب عند منتصف الليل، يتمدد في النسائم الغربية الموحشة مع غروب الشمس، يسكن كل الخدوش والجروح التي تصيب أجسادنا، لذلك نحن نلمسها بلطف ونربّتُ عليها، يمكن أن يتسلل لجسد أنثى عارية في إحدى اللوحات، يمكن أن يكون عُربا في إحدى المقامات الموسيقية.

في الحقيقة أنا صعلوك، ألاحق هذه التفاصيل بحثا عن الله، وإذا ما وقفتُ أمام لجنة وسألوني عن الله أخبرهم أنّني أعرف أين أجد نوره. فإنْ سألوني «أين نوره؟» أخبرُهم أنها خُصلة نادية البيضاء!

-33-

مشهد:

طَقْ، طَقْ، طَقْ، طَقْ، يقترب وقع كعبها العالي والقبيح شيئا فشيئا. دخلت القاعة مسرعة بسروالها الشاسع والطويل وفي يدها كومة من الأوراق.

- هذه الوثيقة الأخيرة لهذا الدرس.

ثم طلبت من أحدهم أن يوزعّها. أجلسُ في آخر القاعة متكئا على الجدار وفي يدي قلم رصاص كالعادة. ثم أخذتْ تقرأ الوثيقة بنفسها بعدما لم يستجب لطلبها أحد. تقرأ جملة وتقف.

- خطأ مطبعي، أصلحوها.

- بْلا بْلا بْلا بْلا بْلا بْلا بْلا، خطأ مطبعي، بْلا بْلا بْلا، خطأ مطبعي، والجميع يصلح بقلم حبر جاف وبألوان مختلفة، أما أنا فكنت أصلح بقلم الرصاص.

وكلما عدتُ للمبيت أنظّف الورقة بالممحاة لتعود لأصلها الطبيعي بأخطائها المطبعية.

هكذا الإنسان، ورقة طُبعت على وجه الخطأ، والكل يريد أن يصلحه، كل بلونه الخاص، وبخطه الخاص، وبطريقته الخاصة. لنجده في النهاية

عبارة عن ورقة مشوّهة أول ما ينتابنا تجاهها هو سؤال كيف سنتخلّص منها؟
كتبت هذا لأقول لكم:
أنا ورقة طُبِعت على وجه الخطأ،
شوّهني أولئك الذين أهديتهم قلبي!

-34-

أنا لا يغريني سؤال لماذا تكتب؟ ولا أبحث له عن إجابة. يمكنكم أن تسألوا الكُتّاب والأدباء والشعراء لماذا يكتبون.
أما عنّي فلست معنيا به، أفتح حسابي الفايسبوكي وأرمي أصابعي على لوحة المفاتيح دون أن أنظر فيها، وأكتب عن أي شيء كان.
لم تصنعني الكتب، ولا المكتبات، هكذا جئتكم من الشارع، ومن الهامش، وأعتذر عن تطفّلي. تعلمتُ الكتابة والحديث من الشارع، تعلمتُ كرة القدم وفهمتها من الشارع أيضا، حتى القرآن تعلمته على الهامش، كنّا كاللصوص نتسلق سور المسجد بعدما أغلقوا أبوابه في وجوهنا. احتقرنا الكل ولم يتركوا لنا مجالا لأي شيء نحبه، فتعلّمنا على الهامش وعلى غفلة منهم.
هنا أيضا جئتكم من الشارع، لم آتي من عائلة مثقفة، ولا من جامعة كذا وكذا، ولا بشهادة كذا، ولا أحمل لقب عائلة مشهورة عندكم.
جئتكم بقلمي لأثبت لكم أن الذين ينتمون للشارع مثلي هم أكثر جدارة منكم، كما أننا نحتل أي مكان نقدم إليه بسهولة، وها نحن ذا

نحتل عالمكم الافتراضي بأسماء قصيرة وقديمة لا تحمل أي صفة من صفاتكم!

-35-

كل ما في الأمر أننا مزاجيون، قلوبنا مليئة بالإيمان والحب؛ لكننا وحيدون، وأفعالنا تعاكس قلوبنا.
الآن وقد انتهى كل شيء، التهاني والابتسامات، بكاء العجائز لعجزهنّ، انخفض عدد المكالمات، والصور نُشرت، وككل مرة.
على غفلة من كل هذا نتذكر لبرهة من الزمن أننا مزاجيون، وأننا وحيدون، نعود لواقعنا الحقيقي، ولحياتنا المليئة بالخيبات جرّاء مزاجنا السيء واللامحدود، نتذكر أن أقرب الناس إلينا قد حظرونا وأغلقوا في وجوهنا هواتفهم ولا مجال لنشرح لهم سوء مزاجنا.
نتسلّل من كل الاجتماعات والمحافل العائلية بخيباتنا، ويطول علينا مساء العيد، لآخر لحظة نظن أنه لن ينته، الأمر شبيه بيوم القيامة والبعث ربما.
بعد ما تكررت حماقاتنا، وأُغلقت أمامنا كل الطرق التي تؤدي إلى قلوب من نحب، المخيف والمرعب في الأمر أن تُغلَقَ الطريق المؤدية للإله الذي نعبده ونحبه.
يا الله لسنا نحن من نفعل هذا، نحن المزاجيّون تسكننا أشياء أخرى تتحكم بأفعالنا، تفعل أشياء تسيء إليكم وإلى من نحب من

عبادكم، حقا نحن نملك قلوبا مسكينة، جميلة، يغمرنا الإيمان، والحب، وتغمرنا الكثير من الألحان.
نحن الآن وحيدون، أرهقتنا الخسارات المتكررة لمن نحب. يا إلهي أما آن لصراعاتنا الداخلية أن تنتهي، ألن تقاتلوا معانا فتنتصر قلوبنا المقدسة على تلك الأرواح التي تعبث بأفعالنا؟ لنخسر أنفسنا حالا إن كُتِبَتْ علينا الهزيمة إذا، فقد أنهكتنا خساراتنا المتكررة لمن نحب!

-36-

مساء الخير،
أساتذتي يطالبونني بإنجاز البحوث والتلاخيص، وزملائي يطلبون المساعدة في كل مرة. نادية لا تتركني أقوم بتسجيل في صمت وهدوء، وتصدر ضجيجا احتجاجا على ازدياد خصلاتها البيضاء، ونصوصي لا تُقرأ.
المبيت والجامعة يطلبون ورقة تثبت سلامتي من الكوفيد، ووسام هو الآخر يريد رؤيتي قبل عودتي لتونس، خطيب الجمعة يطلب حضورنا غدا لصلاة الجمعة بعدما فقد مكانته، لا يريدنا أن نخذله ونتركه لوحده. في تونس يطالبني بعض الصحب أن نلتقي على قهوة ما، يظنونني شخصا جذابا ويستحق جلسة في إحدى مقاهي تونس، ونادية تريدني أن أرتب ملابسي قبل العودة، وأن أتفقد ما ينقصني.
وأنا في خضم كل هذا أريد أن أحذف حسابي الفايسبوكي، وأن أترك الكتابة والنصوص وأغادركم للأبد!

-37-

كتبتُ نيابة عن الذين كُممت أفواههم، واليوم عندما أعادوا لهم المقاهي وحساباتهم الفايسبوكية صرخوا في وجهي! كتبتُ عن البدينة؛ ورغم ذلك هي أول من يقوم بحظري ظنّا منها أنّني أحمل عقدة تجاه البدانة! أولئك الذين نضع لهم خاصّية "**voir en premier**"، لا يبادلوننا هذه الميزة ولا يعلمون بوجودنا أصلا! أولئك الذين كتبنا عنهم حزنهم، في لحظة فرحهم حذفونا من قائمة أصدقائهم بحجة أننا سوداويون!

الذين قالوا لنا لا تتوقفوا عن الكتابة، الذين أخبرونا أنهم يحبون أقلامنا، أساتذتنا الذين حاولوا التقرّب منا، أصدقاؤنا الذين أرادوا أن يفتحوا معنا حديثا مطوّلا وفشلوا في ذلك، نادية، الفقراء والمساكين، خطيب الجمعة، الشعراء، الفلاسفة، الأدباء، البدينات، أحلامنا، كل هؤلاء ناموا باكرا ولم يستيقظوا إلى حد هذه اللحظة!

-38-

حبيبتي لم تخبرني أنها تشعر بالارتياح تجاهي منذ البداية، ولم تسألني من أنت؟ ولم تسأل عن أسماء أفراد العائلة، لم تخبرني بقصص حياتها، ولا بما تحب وتكره. فقط كانت تحبني وتتصل لتعبر عن اشتياقها. تسألني إن كنت أخذت فطور الصباح، وعن الأشياء التي تناولتها، وعن صوتي الذي يبدو على غير عادته، تهتم لتفاصيلي الصغيرة، ولم

تسألنِ عن سبب إهمال لحيتي، لم تسألنِ عن مذهبي، وعن عقيدتي، وعن الإيديولو جيا التي أؤمن بها.
مرّ يومان منذ آخر حظر لها، ولم تسألنِ عن أي شيء، فقط أرادت أن تخبرني كم أنا سيء ولا أستحق أي سؤال.
الآن فهمت الأمر، نادية هي أيضا لم تسألنِ سؤالا قط في حياتي!

-39-

في العاصمة،
لن تكون مثقفا، وستفشل في جعل حسابك الفايسبوكي حسابا مشهورا. ولن تحصل على كثير من المتابعين والقراء، ستقضي فيها سنواتك من دون فائدة، وسيقول أهل بلدتك هولا يستحق متابعتنا فقد ذهب لتونس وسيجد هناك الكثير من القراء، وسيستغني عنا بكل سهولة.
لأول مرة ألتقي أنا وجوان في تونس، الكثير من البحوث التي لم أنجز أهمها والأساتذة يلاحقوننا في كل مكان، فقط أنا لا يمكنني أن أجيب عن ما تطرحونه، كما لا يمكنني أن أفتح كل الكتب التي تطلبونها كمراجع للبحث، لن أفهم ما الذي تعنيه العولمة، ولن أستوعب المقصود من الكونية والخصوصية، حقا أنا لا يمكنني أن أفعل هذا. كل ما أعرف من معلومات استمددتها من خرافات العجائز، ومما هو مكتوب على الجدران في الشوارع. الرب موجود، ونحن نلهث من أجل

أن نفرّغ ساعة من يومنا لشرب البيرة والتدخين وممارسة الجنس مع الجميلات، غير هذا لا يعنني.
هنا في تونس، غسل الثياب المتواصل في الحر، والاستحمام الذي لا ينتهي، وطلبات الحمقى، والرب أيضا يوصينا، ويطلب منا أشياء كثيرة، القوانين، والإجراءات التي لا قيمة لها. حتى أنّني لا أجد وقتا لكتابة نص ما إلا في هذا الوقت المتأخر من الليل.
الكثير من الساعات التي أكون منشغلا فيها بأشياء لا أعلمها، وفي النهاية أجدني لم أفعل شيئا.
وبالرغم من كل هذا أعود للهاتف فأجد اتصالات كثيرة من البطة، وقد نامت غاضبة من إهمالي المتواصل من جهة، ومن جهة أخرى نادية تتصل بي وتعاتبي كيف لم تنجز ما طُلب منك رغم كل هذه الساعات، وتوصيني في النهاية أن أبلغ سلامي للبطة التي نامت غاضبة مني!

-40-

مرحبا أيها العالم،
أنا بلقاسم بن محمد، "بن" هذه لا أعلم إن كانت تكتب لاصقة للّقب أم مفصولة عنه. أكتبها أمامكم مفصولة عن كلمة محمد ليزداد اسمي طولا بعض الشيء، وأكتبها للأساتذة على ورقة الامتحان لاصقة كي لا يتعرفوا عليّ إذا ما بحثوا عنّي في هذا العالم الافتراضي.

لا أعلم مكان ولادتي، عون البلدية عند استخراج المضمون سألني عن مكان ولادتي فأجبته بأنّني لا أعلم، ربما دوز، ومع ذلك لم يجده، وغادرت دون أي هوية.

أنا وقبلي متشابهان، كلانا بالقاف المثلثة، ولا نعلم أصل تسميتنا، ولا يمكن لأحد أن يجدنا أثناء البحث إلا إذا كتبنا بالقاف المثلثة.

أمي نسِيَتْ يوم ولادتي، وأنا لا أذكر طعم ثديها، ومنذ أن أرسلتني لتونس لا تعلم عني أي خبر، وتأتيك أستاذة لتقول لك أنا بمثابة أمك!

لا أستطيع التقرّب من أي كان، ولا طرح الأسئلة، ولا الحديث مع أستاذ بعد انتهاء الحصة حتى لا يظن أنّني أريد أن تتجاوز علاقتي به ساعة الدرس.

فقط أنا منذ ولدتني أمي، أورثني جدي اسمه، لأستند على قافه المثلّثة كلما أرهقني هذا الوجود، وأعتلي نقاطه الثلاثة كلما أراد أحد أن يتطاول على شيء يخصّني!

-41-

مرحبا أيها العالم،

نحن من يرى النقطة السوداء ويغفل عن بياض الورقة، ويرى الثلث الفارغ ويُهمل الثلثين من الكأس الممتلئ. نحن أولئك الذين ننبّه الأستاذ لنقصان نقطة ما على حرف ما، ونتساءل عن وجهة مجهولة لقارورة بلاستيكية تسوقها الرياح على قارعة الطريق.

سيُقال سوداويّون لا ينظرون للجانب المشرق والإيجابي من الأشياء. نحن لسنا كذلك، نحن تغرينا التفاصيل وتقتلنا، وتلاحقنا دهشة الطفل الصغير الذي بداخلنا، ورغم كل هذا لا أحد يلحظ علينا أكثر الأشياء وضوحا ناهيك عن تفاصيلنا!

-42-

مرحبا،

أستاذة تسألني، لماذا أنت عبوس دائما؟ أجبتها: «وما ذنبي إن كنتُ أبدأ يومي برؤية من هم أمثالك؟»

وأخرى سألتني، من تقصد بكلامك؟ أجبتها: «ألي يجي ده يلبس!»

أنا صاحب القاف المثلثة، ولدت يوم الأحد لذلك أنا بائس مثله تماما.

استثمرتُ فرصة عدم وجود القراء في هذا الزمان، فكتبتُ النصوص.

لا يوجد قراء، لذلك لن يكتشف أحد جهلي بالعربية وسأنجح في دور المثقف والكاتب.

العالم معقد، وأنا مريض، لذلك أكتب إليكم ببساطة شديدة. أنا سعيد جدا لأولئك الذين يغادرون حساباتنا في كل مرة لأسباب نجهلها. لم أطلب من أحد أن يحتملني أو أن يصبر على أفعالي المزاجية. وحدها نادية تتحمل مسؤولية هذا الفعل لأنّها هي التي أنجبتني. أما أنتم فمجرد أرقام إعجابات على ما أكتبه. تعبث بكم نادية في كل مرة وتَسعد!

-43-

انتهت ثلاث سنوات في تونس،
انتهت مرحلة الإجازة، جئنا للعاصمة ونحن لا نعرف أي شيء، والآن استطعنا أن نحفظ بعض أسماء الأنّهج والشوارع والأماكن.
عرفنا البلمريوم، باب بحر، المدينة العربي، برشكا، زارا، اكزيست، حلق الواد، المرسى، سيدي بوسعيد، اللاك، تونس البحرية، محمد الخامس، مدينة الثقافة، البساج. حفظنا أرقام عربات الميترو، الحافلات واتجاهاتهم، تعلمنا الركوب دون تذاكر، تعلمنا الكذب في المواعيد والأوقات، زرنا معرض الكتاب الدولي، مكتبة الكتاب، والدباغين. تابعنا الكثير من المجلات التي تأتي شهريا وصرنا نسأل عنها، تعلمنا شراء الملابس والتسوّق واقتناء العطور الباهظة نوعا ما، دخلنا السينما، وتبادلنا الكلام مع أناس غرباء. تعلمنا كيف نقف على المصرف وحفظنا الأزرار التي نضغط عليها، اعترضتنا الكثير من اللهجات والطبائع، عرفنا الكثير من الرجال والكثير الكثير من الطحانة. رأينا الكثير من الشخصيات والشعراء والمثقفين والسياسيين. عرفت البمبلوني، المروب، كسكروت عياري، عجة شوشو، ومقهى بانوراما.
انتهت ثلاث سنوات، ولم أستطع اقتناء الأشياء التي أريدها، لم ألتقي بجلّ الذي اتفقت معهم على اللقاء، لم أكن شخصا محبوبا، لم أتقرب من الأساتذة، لم أحفظ أسماء الكثير من الطلبة زملائي، لم أنتمِ لأي

نشاط كان. الجمعيات، والنوادي، والاحتفالات، والمسابقات، كلها لم أنتمي إليها. لم أشارك في تكريم الأساتذة ولم ألتقط معهم أي صور، لا يوجد أي زاد معرفي، الإجازة لم تضف لي أي شيء.

وأما أنتم يا زملائي من طلبة الزيتونة، أنا لست حزينا مثلكم لمرور هذه المرحلة بسرعة شديدة، أنتم بالنسبة لي أرقام إعجابات لما أكتب، مكسبي الوحيد من الإجازة والزيتونة هو بعضكم ممن أُضيفوا لقائمة القراء والمتابعين!

-44-

آخر كلمة قيلت لي: «حرقتلي قلبي!»

حقا أنا كذلك، أخذُلُ كلّ الذين آمنوا بي وأحرق قلوبهم، حتى تلك النملة التي اتفقت معها على مرورها بسلام حطمتها في آخر لحظة.

أنا أشبه الكثير من الأشياء،

مثلا أنا ورقة ظنت أنها ستمتلأ حروفا وكتابة عندما وضعوها بين يدي صاحب القاف المثلثة، لكنّ نصيبها كان بضع سطور فقط!

أنا لحظة نزول أحدهم من العمارة وقد لمح الحافلة تُغادر!

أنا باب الميترو لحظة اغلاقه في وجه أحدهم كان يجري بكل جهده ليلحق به!

أنا تلك اللحظة التي يغلقُ فيها الأستاذ باب القاعة في وجهكَ صباحا دون أن يتفطن لقدومك!

أنا لحظة الاستيقاظ متأخرا وقد اكتشف أحدهم أنّه أخطأ الوقت أثناء تعديله للمنبه!

أنا ذلك الهدف على وجه الخطأ في مرمى فريقي في اللحظة التي أنتظر فيها هدفا في مرمى الخصم!

الذنب ليس ذنبي، لم أطلب من نادية أن تنجبني، ولم أطلب من أحد أن يؤمن بي، ولم أطلب من أحد أن يعتقد فيَ الكثير من الأشياء، لم أطلب منكم أن تحلموا بعيد عن الواقع الذي تجهلونه،

في النهاية تنتظرون مني دون أن أطلب منكم ذلك، وتتهمونني بأنّني سبب المحرقة التي تطال قلوبكم!

وأنتَ تتحمل سبب كل هذه الأشياء التي لم تقترفها يأتيك قارئ يقول لك: «أبدعت، أنا في انتظار مؤلفاتك!»

-45-

تخيل مثلا أن تكون بلا ذاكرة ومن ثم تفتح حسابك الفايسبوكي.

ستجد كلّ الأسماء التي تعترضك جديدة، لن تكون في حاجة لإضافة أصدقاء جدد، أو حذف أولئك الذين مللت منهم. ستفاجئك ميولات بعض الأشخاص، وستضع جادور على كثير من الصور وكأنّها لأول مرة تعترضك.

تخيل أنك بلا ذاكرة،

ستنسى كل الواجبات التي كلفت بها، ولن تتذكر عبارة أفلاطون التي مفادها "العلم تذكر والجهل نسيان"، لن تكون في حاجة لدينٍ تتبعه أو إلٰه تعبده، ستسقط عنك كل التكاليف.

تخيل أن تكون بلا ذاكرة،

ستنسى موعد زفافك، ولن يتذكّر أحد كل صفاتك ومستوياتك، لن يذكرك أحد أنك غنيّ أو إذا ما كنت تملك بيت أم لا؟ ستتقدم لخطبة فتاة، ولن تتذكر عائلة حبيبتكَ أنك فقير ولا تملك أي شيء، لن يحفظوا ملامح وجهك وأنك من مكان بعيد قادم من الصحراء.

وقتها سينقلب كل شيء، النسيان سيصبح لعنة نحاول التخلّص منه في كل مرة.

فبدل أن نحاول النسيان سنحاول التذكر!

-46-

مرحبا،

لا أحفظُ من النقاط سوى نقاط قافي المثلثة. هي الوحيدة التي تُميّزني في زمن تشابهت فيه الأشياء. لا أعلم ما الذي تعنيه النقاط أصلا، ولا أعرف كيف تُوضع النقاط على الحروف. لذلك أنا فوضيٌّ في كل شيء. مؤخرا اكتشفتُ أنّ النقاط تشبهني تماما، كلانا يحتل وجودا ما ولا فائدة منه.

لست كاتبا، ومع ذلك كلماتي يقرأها الكثير من الفتيات اللاتي يمتلكن ثديا بحجم قافي المثلّثة، الأمر الذي فشل فيه العديد من الكتّاب والأدباء المشهورين!

-47-

أثناء اجتيازي للبكالوريا كانت قافي المثلثة خفيفة الظلّ، كنتُ حالما ومفعما بالأمل، لم يعترضنِ عارض الخوف حتى أنّني لا أعلم كيف أنهيت المهمة بنجاح. كنتُ أحلم أن أكون زيتونيا حقا، وأن أستردّ حق الأجداد الذي ضاع من قبل، وأن أكسر كل القيود والخرافات.

ها أنا الآن بعد صراع مرير أجدني أنتظر إجازتي لألتحق بالدراسات العليا السنة القادمة، بسرعة شديدة صارت قافي المثلثة ثقيلة، خذلت كل الأشياء التي من حولي، حتى ظلّي خذلته وهو الآن يبحث عن جسد يتبعه.

في اليوم قبل الأخير من انتهاء البكالوريا، كانت في المراقبة أستاذتي التي درستني التقنية سنة الثانية ثانوي، وهي تتفقد بطاقة التعريف قالت لي: «لا أريد رؤيتك السنة القادمة» أجبتها بكل ثقة: «لن يعترضك هذا الوجه السنة القادمة!»، لما رأتني واثقا من إجابتي أضافت: «ولا أريد رؤيتك في دورة التدارك أيضا» فقلت لها: «ولن تجدينِ في دورة المراقبة أيضا، أنا ناجح من الدورة الرئيسية لا شك في ذلك».

بعد ذلك البكالوريا اجتزتها من الدورة الرئيسية بنجاح، وغادرتُ العهد الجديد، ومنذ ذلك الوقت لا أعلم أين أضع قدمي ولا أين أكون!

-48-

من عادتي أنّني لا أفعل أشياء من أجل الآخرين، أفعل ما تمليه عليّ إرادتي وليس إرادة الغير.

لكن لا بأس، بعد موتي اكتبوا من أجلي خواطركم، وترجموا مشاعركم وأحاسيسكم، لا تبخلوا في ذلك، اكتبوها بكلمات بسيطة مثلي. شاهدوا مباريات كرة القدم من أجلي، ولا تمّلوا مشاهدتها.

لتعشقوا البدينات، ولتستغلوا فرصة وجودهنّ فهن لا يدمن طويلا. مشكلة البدينة أنّها لا تدوم، سريعا ما تغادر دون عودة. لاحقوا البدينات وتفاصيل أجسادهن، ولتنحتوهن على الحجارة والرخام عراة وضعوهن على رفوف مكتباتكم الخاصة.

لا شيء يدوم، حتى نصوصنا هذه التي تعترضكم لن تدوم!

-49-

نص الإجازة والتخرّج!

الحقيقة أنّ بعض الطحانة وإن كتبتُ امتحاناتي بأصابع قدمي لن يتجاوزوا مقامي، وإن سنحت لهم الفرصة أن يفعلوا فهنيئا لهم في زمن الفرصة والخديعة.

في الذكرى الثانية لمغادرة جدي من أمّي والمعلم الزيتوني عمر بالأزهر، تمت إجازتي بإجازة أساسية في العلوم الإسلامية اختصاص أصول

الدين، وأنا هنا لأقول له ولجدي من أبي الذي ورثت عنه كل شيء بما في ذلك قافي المثلثة، أنّني على العهد. حملتُ الأمانة وواصلت الطريق الذي سلكتماه، وأنا حفيدكما ما زلت أصارع أهل الخرافة والدجل والتجارة بالدين لأسترجع حق الأجداد والمضطهدين هناك وأنزع الخرافة التي نُسبت للدين وأُلبست لعقول العوام من الناس.

أقول لنادية وللوالد عمر، أن إجازتي هذه وتميزي هو ثمار الرضا الذي كنتما تمدانّني به في كل لحظة. الإهداء الأول لأجدادي ولو الديّ.

كما أنّني لا أنسى أستاذي الذي درسني الرياضيات سنة الباكالوريا علي بن عبد الله، ومنذ أن غادرنا في رمضان 2018، كنت حريصا على أن أهدي له تخرجي هذا، وها أنا وفيٌّ لوعدي.

أقول للنظّام المعتزلي أنّني تحصلت على الإجازة بمعدل متميز أظنك ترضاه (13.81/13.21/13.51)، وأقول للنيهوم أنّني سأدافع عن نبوّتك وستصدق يوما ما.

أنا سعيد وفخور بإيمان بعض أستاذتي بي، وما نلته منهم من الثناء والمدح والتزكية التي لا يحظى بها إلا قلة من الطلبة، ومع ذلك أنا جدا حزين وخجول لأنّني لم أكن في المراتب التي كنت تنتظرونها مني، وأشعر أنّني خَذلتُ بعضكم رغم دفعه ومساندته المتواصلة. أعلم أن كمية الركود والسواد والتشاؤم وتعكّر المزاج الذي يحيط بي كان جدا صعبا عليكم أن تخرجوني منه رغم جهدكم المتواصل، لكنني ما أؤكده لكم أنّني مؤمن بما تؤمنون به، وأنا جدا نبيه وعلى وعي بما

تريدون إيصاله، ولن أترك مكاني لأي كان ما دام في داخلي نفس، وقريبا جدا ستبدأ مرحلة البحث وأرجو أن تنصفني نفسي أولا، وتنصفني الظروف ثانيا لأحقق ما لم أحققه في الإجازة.

-50-

مرحبا،

اسمي بلقاسم، أملك قافا مثلثة تتوسط اسمي، ورمز الاسم واللقب بحساب الجُمّل اثنان وأربعون. وجدت الرقم ثقيلا فلم أتبع ابن سبعين في طريقة تسميته لنفسه.

اسمي قديم كنتُ أكتب منذ زمن أولئك الحمقى الذين تتابعون نصوصهم وتشاركونها في كل مرة، كنا في نفس المقام وبنفس الخطوات الأولى نتبادل ما نكتب؛ لكنني اليوم لا أستطيع اللحاق بهم أبدا. صارت لهم حسابات كبيرة ومشهورة ولهم جمهور غفير، وأنا تلاحقني نادية إلى حد هذه اللحظة ولا تتركني أفعل أي شيء بحريّة.

كتبت عن الفتيات فظنّ الجميع أنّني أصطاد بنصوصي الجميلات، كتبت عن البدينات فاحتج أهل التدين بأن نصوصي لا أخلاقية وغير مفيدة، واحتجت النحيفات بأنّني أحمل عقدة تجاههن وأهضم حقوقهن، واحتج أولئك الذين لهم مستوى رفيع وشهادات عليا ويعتقدون أنهم أرقام وشخصيات في بلادهم على اللاشيء، فقط يحملون تجاهي حسدا وحقدا كبيرين لا لشيء، إلا أنّني أملك حركية

وفاعلية في حسابي متواضعة لا يقدرون على امتلاكها رغم صغر سني وقلّة علمي وتدنّي مستواي التعليمي والمعرفي.
ولما تركتُ كل شيء، وكتبت عن نفسي وعن نادية، لكي لا يحتج أحد، صاح في وجهي الجميع: «اترك أمك، لماذا تكتب عنها وعن نفسك دائما!»

-51-

اسمي بلقاسم، صاحب القاف المثلثة.
قد يسأل بعضكم لماذا أكرر التعريف بنفسي؟ أفعل ذلك لأن ذاكرتي ضعيفة، وأخاف أن أنسى نصوصي مستقبلا، لذا التعريف كاف ليجعلني أتفطن أن هذا النص لي.
المهم، أنا لا أومن بأعياد الميلاد، ولا بالتهاني والحفلات، حقا ليس لدي الوقت والمال لأُنظم كل سنة حفلة عيد ميلاد في إحدى المقاهي الفخمة، ولا أن يتم استدعائي فألبي الدعوة.
أنا عكسكم، تواريخ موتي كثيرة، لكنني أنجو منها في كل مرة. هذه النصوص هي لحظات توثيق لنجاتي من الموت كلما داهمني. فجأة أجدني نجوت فأقفز هنا كطفل صغير لأكتب لكم نصا لا تقرؤونه، حتى إذا غابت عنكم نصوصي أدركتم أنّني قد مت، على الأقل ستكون إشارة ودليلا على موتي لأنّني سأوصي بأن لا يُذاع خبر موتي في المآذن!

-52-

إلى الذين أدركوا أنهم فاشلون وأحبوا ذلك، أنا أشبهكم تماما.
يمكنني الكتابة والتعبير عن فشلنا، مثلا أنا لا أحد سيذكرني لو لم تكن لي نصوص تُنشر، أولئك الذين يذكرونني أو يتبادر إلى مسامعهم اسمي لم يكن الأمر لجمال نصوصي أو لخصوصية أسلوبي، الأمر كان فضولا فقط.
سيكتب إليك البعض في أسفل النص تعاليقا تؤكد أنك متميز ونصوصك جميلة رغم أنك لا تؤمن بهذا ولا تراه. وستكتب عن نفسك حقيقتك التي تراها لوحدك في لحظة صفاء، سترى أنك شرذمة لا يذكرها الناس في لحظة انشغالهم، ستراك هامشا كما أيامك الأولى، وستخسر كل الذين أهديتهم قلبكَ عند كشفٍ تُبْصِرُ فيه أنك كنت توهم نفسك، وترسم لك معنى عندهم. ستَصْفى بصيرتك وتقتنع أن لا شيء يمكنك أن تملأه باسمك أو ذكرك أو كلماتك سوى حائط فايسبوكي ترك لك تحت اسمك مساحة قدرها مائة حرف. مائة حرف تعجز سيرتك الذاتية كاملة أن تبلغه! لحظتها ستستفيق من وهمك وتدرك أنك شرذمة لا يمكن إلا أن تكون هامشا لنفسك!

-53-

لا شيء أملكه غير حسابي على الفايسبوك، لم يكن لي نصيب من أنصاف الفرص، ولا حتى من نصوصي. كل المواضيع التي تحدثت

عنها، قافي المثلثة، نادية، الحب، الرفاق، المقاهي، الجلسات، اللقاءات، الأنّهج، الشوارع، كل هذا لم يكن لي منه نصيب.
نصوصي التي أكتبها لحظة كشف وصفاء في ليل متأخر مثل نص البارحة ترهق بعضكم صباحا وأغلبكم لا تعنيه.
المشكلة أن سيرتي الذاتية لا تستطيع أن تملأ مساحة قدرها مائة حرف، والذين أكتب إليهم لا يقرؤون، وإن قرأوا لا يفهمون ويضعون لك "هاها"، ورغم كل هذا يأتيك من يقول لك: «أحسنت واصل الكتابة!»

-54-

حسنا في الحقيقة لديّ حبيبات كثر؛
بكل بساطة، الأولى صارت مثقّفة جدا وحديثها معقّد تمزج كلامها بالفلسفة، لم تعد تهتم لأي شيء، طوال الوقت في المنزل بملابسها الداخلية لا شغل لها غير التهام الكتب. في كل مرة تغيّرُ مكان جلوسها ملتزمة الصمت وطيّ الصفحات وقريبا ستصل للنهاية وتطوي صفحتي الأخيرة.
الثانية، لا شغل لها غير التقاط الصور، تتأنّق وتلتقط الصور، ثم ترسلها إليّ على غفلة من الجميع. لم أراسلها منذ مدة، اتصلتْ مؤخرا تخبرني أن إلهها الذي تعبده تاب عليها وهي الآن منتقبة وتطالبني بحذف كل الصور أيام غفلتها.

الثالثة، امرأة عادية في أشيائها غريبة في تفاصيلها تستمع للموسيقى الكلاسيكية، ودائما ما تحاول فهم مزاجي وتحليل تقلّباتي. وتهتم لكل التفاصيل، مثلا لا تترك صباحا إلا وتعبث بلحيتي، أو تمرر شعرها على شاربي لتثبت أنه أكثر كثافة منه. مؤخرا تزوجتْ ولم يبق من أثرها غير أقراص سمفونيات بيتهوفن!

بعد كل هذا أدركتُ أنّني شخص فاشل، لم أستطع أن أكون شاعرا في أرض تقول الشعر من صغيرها إلى كبيرها. ولم أستطع أن أحافظ على حبيباتي.

أنا الآن لا شغل لي غير الاستماع للموسيقى ومرافقة وحدتي بينما الأرقام الأخرى تحاول العبث بقلبي رغم فشلها المتكرر!

-55-

مساء الخير،

أنا بلقاسم بن محمد، ليلة نجاحي في البكالوريا قضيتها نائما من الإرهاق. الفتاة التي أصرت على إيقاظي لم يعد لها وجود يُذكر الآن، وأصدقائي الذين أنهكتُ كل قواي من أجل زيارتهم واحدا واحدا ومشاركتهم فرحة النجاح لم يعد لهم وجود يُذكر أيضا.

رغم أنّني كنت أكتب؛ إلا أنّني لم أكتب أي شيء مثل أقراني، "**admis**"،"ناجح" إلخ من الكلمات. حتى النص لم أدوّن نص نجاحي، كنت أعيش اللحظة واقعا بعيدا عن الافتراضي.

بسرعة شديدة صرت وحيدا، وصار هذا العالم ملجأي الوحيد، غادرني الصحب والرفاق كل نحو جامعته ودراسته، وأما أنا فظللت وحيدا أنتظر الزيتونة.

هكذا صرت أكتب وأهذي كثيرا، وتعرفت على الكثير من الأصدقاء الافتراضيين وبدأ البعض يعجب بنصوصي ويعبر عن ذلك. الوحدة جعلتني أصنعُ من قافي المثلثة اسما افتراضيا.

فقط، عند الإعلان عن نتائج البكالوريا من كل سنة يراودني سؤال واحد: ماذا لو ظللتُ نائما دون أي يوقظني أحد في مثل هذه الليلة؟

-56-

حسنا،

من أي لي القدرة على إيقاد التبغ مستقبلا بعد أن خمدت نار قلبي؟ أتساءل وأنا أقلّب غليونا جديدا في إحدى المحلات.

من القديم لست أملك أي شيء، لم تعلمنِ نادية كيفية الدفاع عن نفسي، ولا حتى كيف أتجنب كل الأشياء التي تعترضني. كانت تحذرني من الفتيات، وتوصيني بأن لا أتأخر عن العودة للبيت، وأنه يتوجب عليّ ترك كرة القدم.

لأعترف، ضعفي الذي أعيشه تجاه كل شيء أحوّله لقوة في كلماتي ونصوصي، كثيرة هي الأشياء التي أعجز عن فعلها في الواقع وأترجمها كتابة.

الخوف، الجبن، الحزن، الوحدة، الفراغ، نادية، النوم، الاكتئاب، الفشل، الحقيقة، الصراحة، القباحة، البؤس، العزلة، السواد، المزاج، الغباء، السذاجة، الحماقة، العلاقات، الجنس، المقاهي، اللقاءات والمواعيد. كل هذه أحولها إلى نقيضها في كلماتي وأُحسن إخراجها وأكذب عليكم بكل رصانة.
ورغم كل هذا يأتيك أحدهم على الخاص ليقول لك: «أنت فريد ومختلف بقلمك!»

-57-

ليلة جميلة،
اسمي بلقاسم، ألقّب نفسي بصاحب القاف المثلثة، ويناديني بعض زملائي بصعلوك الزيتونة.
أكتب عن البدينات، فتعتقد بعض الفتيات أنّني أحمل عقدة تجاههنّ، وتتوهم أخريات أنّني زير نساء ألهث وراءهنّ. ماذا لو علمتْ الأولى أنّني أعرف من البدينات بعدد شعر رأسها؟ وماذا لو علمت الأخريات ما يفعله قلمي بأجمل منهن بأضعاف؟ كل هذا ببعض هذيان أجدني أرسم عن نفسي شخصا فريدا وجذابا. أتساءل كيف يصنع الأدباء والمثقفون الحقيقيون مع كل هذا الحمق.
لا بأس، ليتوهم الجميع أنّني أحمل عقدا تجاه البدينات، وأنّني زير نساء كل همّي أن تضع الجميلات جادور.

المهم أن تكتبوا مثلما أفعل، وأن تتركوا الآخر، وتتحدثوا عن أنفسكم صراحة أمام الجميع دون تزييف!

-58-

لست مثلكم،
لا أحد يفرض عليّ صيام عرفة، كما أنّني لا أشارككم الدعاء والابتهال الذي تنشرونه على حساباتكم. وأنا سعيد لذلك.
قريبا أصاب بالملل عندما ينقلب الفايسبوك إلى تهاني مكررة دون نهاية.
حاسوبي يتجمد فجأة، ولا يمكنني إعداد الفيديو، والمخرج يصارحني: «وجهك قبيح لا يمكنك أن تظهر أمام الشاشات أبدا!»
المرأة التي تجلس قبالتي غطت ركبتها الطازجة عندما لمحتني قبيح المنظر خوفا من ذكوريتي، والشرطي حينما أوقف الحافلة وصعد على متنها، انقضّ عليَّ دون الجميع: «بطاقة التعريف!»، خلفي عجوز تهمس لأخرى «شِبَحَهْ بلحيته هذاكا علاش!»
ونادية تسألني لماذا لم تكتب عن الماء الساخن الذي أحرق جنبك الأيمن؟ هي لا تعلم أنّني كتبت لهم عشرات النصوص عن الحرائق التي بداخلي ومع ذلك يضعون لي "هاها".
حاسوبي، المرأة ذات الركبة الطازجة، الشرطي، العجوز، نادية، أنتم، الماء الساخن، كل هؤلاء لم يفهموا!

-59-

طبعا،

قائمة المعايدات تختلف عن السنة التي مضت، سقطت أسماء ووجدت أسماء أخرى جديدة، وأنا وأنتَ سقطنا من بعض القائمات وتواجدنا في أخرى.

مواليد الألفينات أصبحن جميلات وبأحجام ضخمة، جارتي التي درست معها في الابتدائي والإعدادي والثانوي حذفتي من قائمة الأصدقاء، وأولئك الذين آمنّا بهم كانوا أشد الناس كفرا بنا.

أما عني، ليست عندي قائمة معايدات، وأسعد كلما غفل أحد ما عن ذلك، ولا تعنيني جارتي التي حذفتني من قائمة أصدقائها لأن أحدهم تقدم لخطبتها. أولئك الذين وعدتهم باللقاء كنت أكذب عليهم وبكل رصانة كي أتخلص منهم، وليس لدي ما أخسره فقد اعتدت الخسارات المتواصلة.

كل ما يعنيني في هذه المساءات هو كيف أنجو من هذه المسرحيات والأدوار المتكررة؟

-60-

فشلتُ في أن أكون أي شيء، غير هذه النصوص التي أكتبها وأفشل في جلّها أيضا. وأنا أبحث عن أسلوب خاص بي أحقق به شهرتي، يقطع

صمتي سائق الأجرة بالحديث عن الطقس واكتظاظ المحطات قبيل العيد.

لمن لا يعرفني، أنا بلقاسم بن محمد، هذه النصوص التي أكتبها هي ملجأي الوحيد، وحدها التي تُعرّفُني وتسبقني أينما ذهبتُ، يتابعني البعض بكل وضوح، ويلاحقني الكثيرون بصمت ودون أي أثر يُذكر.

شخص نحيف، يسألني البعض عن طولي ووزني، في الحقيقة لا أعلم، آخر مرة قمت بهذا كانت في السنة الثانية ثانوي تقريبا ولا أذكر كم كان كل منهما. أحب السكريات، وطبيب الأسنان يطلب مني أن أقلّل منها خوفا من خسارة أسناني الجميلة. مؤخرا أُصبتُ بحروق جرّاء الماء الساخن وأنا سعيد بالتشوّه الذي انضاف لجانبي الأيمن.

قريبا سيجفّ جرحي، وستكون لي تفاصيل جديدة في جسدي، وحدها آثار الحروق والكدمات هي التي سترافقني إلى النهايات، ووحدها التي ستذكّرني بخساراتي وانهزاماتي المتكررة!

-61-

بعض الفتيات تتمنى أن تكون مكان الأنثى التي تذكرها في نصك، النحيفة تتمنى أن تكون مكان البدينة، والبدينة تتمنى أن تكون هي بذاتها في الكلمات.

الحقيقة خلاف هذا، بالأمس كنتُ صغيرا أكتبُ عن الحب والفتيات عندما دعاني رفاقي لجلساتهم التأسيسية "لنادي إقرأ"، وجدتني حينها

أكتب بإصبع طبشور كلمات مرتعشة بينما هم يكتبون حبرا بكل رصانة، حتى أنّني تساءلتُ في داخلي باحتقار: «ما الذي جعلهم يستدعونني للحضور بينهم؟»

حقا أنتم لا تعرفون أقلامهم، علي، صابر، حامد، بهاء، إلهام، جيهان، لميس، سمية، وغيرهم كثير...

لا أعلم كيف تمدد هذياني وهم فيهم من توقف، وفيهم من يكتب إلا نادرا. ربما هذا زمن الحمقى أمثالي، وحدي حالفني الحظ وتمدد هذياني دون توقف، وصار الكثير يقرأ ما أكتب، وتتمنى المعجبة بقلمي أن تكون مكان الأنثى، ويعبّر البقية عن جمال ما أكتب. حقا أنتم لا تعلمون أي شيء، زمن يسود فيه من لا يستحق.

أردتُ أن أصحح لكل هؤلاء: أنا صاحب القاف المثلثة، صناعة الأسماء التي ذكرتها وأكثر، طفل وتلميذ صغير على طاولاتهم إلى اليوم، هم اختفوا والكل يجهل حجم الخسارة. وحدي أدركُ هذا، ووحدي قذفتني الأمواج لأظهر على شاشاتكم فتظنون أنّني حقا أكتب نصوصا، والحقيقة خلفي ظلال عملاقة وأسماء جدا ثقيلة تدفعني دوما للأمام وأنا أصغرهم ظلا وحجما!

-62-

أوصتني أمي أن لا أقع في حب فتيات من خارج بلدتي عند أول سفر لي للجامعة.

في العاصمة، أحبتني بضع فتيات وأُعجبتْ بي أخريات، لكن لهجتي كانت قاسية وسريعا تنفر مني الواحدة تلو الأخرى. شديد الطباع وسليط اللسان وجاف كجرح القديم.

في بلدتي لا يوجد حب، بعض الفتيات يجدن فن الطبخ وبعضهن يقرأن درويش ويجدن فهمه، والبقية لا ينتظرن إلا الزواج، وأنا لا أتفق مع ثلاثتهن.

أنا بلقاسم بن محمد، بسيط جدا، كما أنا لم أتغير، ولا شيء أملكه كي يصفني من لا يعرفني بالغرور، اخترت تونس بحثا عن شهرة نصوصي بعد ما فشلت في ترويجها بين أهلي.

الفتاة التي من خارج بلدتي لن تفهم طباعي، وسأجد مشكلا لو حدثتها عن الشعر الأخضر الذي هو طريقتنا الوحيدة والأمثل في الغزل. أما الفتاة التي من داخلها لن تهتم لأمرك لأنّها تعلم حقيقتك وكل همّها أن تكتب لك تعليقا مضمونه «العاصمة جعلت منك شخصا آخر والجميلات هناك أخذن كامل وقتك واهتمامك!». وأنا فشلت في أن أجعل من نصوصي محل شهرة ونجاح في الداخل والخارج.

المعادلة جدا بسيطة، لكن نادية لم تدركها إلى حد هذه اللحظة!

-63-

يخبرني بعض أساتذتي بأنّ الوقت قد حان لكتابة بعض المقالات، عندما كنت صغيرا انتابني حلم الكتابة، كنتُ أراني كاتبا لكثير من الصحف الممنوعة، أكتب سرا في الليل وأضع إمضاء باسم مجهول.

كنت أتخيلني كاتبا بغليون باريسي، أجوب الحانات والمقاهي في الظلام، وفي الصباح الباكر تعنون الصحف الاشتراكية مقالاتي بعناوين فاتنة بالأبيض والأسود. ستنشر لي صحيفة الزحف الأخضر أيضا وسأكون أحد ركائزها.

بالاسم المستعار، ستكون الكتابة سهلة، سأكتب عن أحلامكم، سأكون صوتا للمهمشين، للمنسيين، للبدينات، سأنشر وصايا أبناء الحي، سأحدثكم عن أول امرأة رأيتها عارية، سأفضح رجال الدين، سأكشف كل الحقائق. في الصيف أحدثكم عن المايو، وسأكون مراسلا صحفيا في ملعب كوشة الجير، سأكتب بالجبس الأبيض الذي كنا نخطط به كامل الملعب تحت أشعة الشمس الحارقة، سأكتب رسائل حب مشفرة لمعجباتي.

لكنني أنا بينكم الآن، أكتب باسمي الحقيقي، وبقافي المثلثة وأصارحكم بكل شيء، أكتب بوضوح ومن دون خوف ورغم كل هذا لم تُنشر لي ولو كلمة واحدة!

تخيلوا لو كتبتُ لكم باسم مستعار كما كنت أحلم من قبل؟

-64-

لا أعلم لماذا لم يقض "يي"[2] على الشمس العاشرة بقوسه السحري؟ تركها لنا لتقتلنا حرّا، ولتجعل منّا أناسا سمرا تغازلنا الفتيات بهذه الميزة إذا ما التحقنا بالجامعات.

لا شيء جميل في السمرة، يقتلنا الحر، ونتصبب عرقا إلى ما لا نهاية، نختنق، ونموت، وفي الأخير تأتيك أنثى لتقول لك تعجبني بشرتك السمراء.

هي لا تعلم الجحيم الذي مررنا به حتى صرنا بهذه الملامح، السلطة أيضا تتركنا نذوب للشمس، دون كهرباء وماء.

"يي" ترك الشمس العاشرة للصين، لكي تستثمر في صحرائنا مستقبلا، وتمتص ثروتنا الشمسية. حُكّامنا لا يؤمنون بالثروات، فقط يقبضون أموالا جاهزة، ويتركوننا نحن السمر نحترق تحت أشعتها، حتى إذا ما اقترب موعد الانتخابات كتبوا أسماءنا برماد جثثنا وحكموا نيابة عنا باعتبارنا أسلافا سابقين!

---

[2] بطل في الميثولوجيا الصينية. في قديم الزمان كانت هناك عشر شموس مما أدى إلى ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض، فقام البطل "يي" بضرب تسعة منها بقوسه السحري وترك واحدة.

-65-

أمي لما يئست مني صارت تنعتني بالنوادي التي أعشقها، لأنّني لم أحقق لها أي شيء.

رسمنا مستقبلنا لنكون بجوار الإفريقي في العاصمة، تحمّلنا المسافات الطويل، ساعات السفر المملة، وتحملنا مصاريف تونس الباهظة، المهم أن نكون بجانب الإفريقي في العاصمة، ورغم هذا خذلتنا وخسرت ثمانية.

كتالونية التي طالما حلمنا بزيارتها، وآمنا بكل قضاياها كما لو أننا جزء منا، ودافعنا بكل شراسة عن عاصمتها وتغنينا بها، هي أيضا خذلتنا وخسرت بالثمانية.

مؤخرا نادية علمت أن شركة الخطوط الجوية القطرية " qatar airways" تدخلت لتنقذ النادي الإفريقي من أزمته، وأنّ كل صحافة أوروبا تتحدث عن ثورة جديدة في برشلونة. بعد سماعها هذا الخبر جاءتني مسرعة تصرخ في وجهي: «حتى الفشلة الذين تعشقهم وتضيع أوقاتك ودروسك من أجلهم وجدوا من يقف إلى جانبهم وينقذهم من الفشل، وأنت إلى الآن حدّك بضع نصوص وتفاهات على الفايسبوك!»

-66-

من اخترع هذا العالم الافتراضي في الأصل شخص بدين وجبان، لا يمكن أن تكون فكرة رجل آخر. بسبب هذا الفضاء تمكّن الجهلة

أمثالي من كتابة نصوص على نفس الجدران التي يكتب عليها كبار المثقفين والأدباء. بسبب هذا الفضاء يمكن لجبان ما أن يصنع حياة طلابية مليئة بالنضال دون أن يدخل أسوار الجامعة.

أنا عن نفسي، أجلس بجانب نادية وهي تُعد الشاي، وأحدّثكم عن الثقافة، والفن، والسياسة. أكتب الخواطر وأتحدث عن نفسي وكأنما عشت مئات السنين.

يأتيني البعض لاستشارتي، والبعض الآخر يحدثني عن تجاربه الشخصية ويطلب النصح، وآخرون يطلبون إبداء رأيي بخصوص نصوصهم أو قصائدهم، والبقية تتابعني بصمت، حتى أن بعضهم يستعظم مروري على ما ينشر ويسعد بذلك كثيرا.

كل هذا مكنني منه العالم الافتراضي، وأنا في الحقيقة جالس بجانب نادية وبيني وبينكم شاشة هاتف أو حاسوب، دون أن أتجاوز عتبة الغرفة أو أن أعيش أي شيء مما ذكرت!

-67-

في الحقيقة، كل الأشياء من حولي تشعرني بالغثيان. كيف لي أن أتخلص من كل المحيطين بي، من الذين أحبهم بعدما صرت أكرههم، من أولئك الذين لا أطيق وجودهم، من المزاجيين أمثالي، من الذين يحملون أوجه شبه بيني وبينهم، كيف لي أن أتخلص من كل هؤلاء؟

حسنا، لنعد أدراجنا، أنا لا أعرفكم وأنتم كذلك. لنتفق أننا بخير ولا مشكلة بيننا، حبالنا التي تربطنا مهما كان لونها أو نوعها دعنا نوهم أنفسنا بأنها اهترأت ولم تعد تصلح.

وقتها سأعود بلقاسم، دون قاف مثلثة، ومن دون التزامات. سيعود شعري للأسود كما كان، ولن أضطر لسماع أحاديثكم والإجابة عنها. سأعود لعادتي، لا أعلم، لا شيء، لا أدري، أجهل ذلك الأمر.

حسابي سيعود لشكله الأول، باسم فرنسي وصورة ليست لي. سيمتلئ بكرة القدم وأخبارها، سيكون خال من النصوص والبدينات. وسأكتب في نهاية الأمر "عذرا أنا لا أقبل الإناث"!

-68-

خير الأمور أن أكتفي بنشر بوحي، وأن أغلق فاهي عن بقية الأمور. يمكنني أن أجعل من حسابي حسابا فخما، مقتصرا على النصوص، أحذف زر طلبات الصداقة وأكتفي بزر المتابعة. أكتب تحت اسمي "الخاص ممنوع" أو "الخاص للخواص".

أرسمُني كما تحلم نادية تماما، أديبا مشهورا يلبس لباس إفرنجيا بربطة عنق أنيقة وحذاء لماع، يغادر بيته بالسيارة، ويتجه لإلقاء محاضرته أو إلقاء بعض من ورقات بحثه في ندوة ما.

وعند عودتي إلى البيت بعد يوم شاق تعيد نفس كلماتها: «الآن وقد حققت ما تريد، تملك الكثير من الطلبة هنا وهناك، ومرتبا قارّا كل

شهر، وتتابعك الكثير من المعجبات على شاشة الهاتف يوميا، ألا تثير إحداهن اهتمامك؟»

-69-

بطبعي تخنقني الحفلات والاحتفالات، لا أجيد الرقص، لا أحفظ الأغاني، وكل همي أن تنتهي الكوابيس.
لحد هذه اللحظة زملائي بعضهم يتساءل هل سيتم تنظيم حفل تخرج نستلم فيه الشهادات أم سيتم تسليمها كأي وثيقة؟ وبعضهم الآخر يتساءل كيف لي أن أتجاهل احتفالا كهذا في مسيرتي؟
أنا حقا لا أهتم، ليس لدي الوقت لأجوب أنهج العاصمة بحثا عن بدلة مخصوصة لحفل التخرج، كلّما بلغني حديث زملائي عن هكذا أمر أشعر بالشفقة تجاههم.
ظللت ساعات لم أخبر نادية بخبر نجاحي، ولست مستعدا أن أجلبها من قلب الصحراء إلى العاصمة وأوهمها باحتفال من أجل شاهدة لا تسمن ولا تغني من جوع.
في الحقيقة، لم أعمل بكلام إمام الحي الذي يطلب منّا أن نضع أمهاتنا فوق رؤوسنا، لم أفكر يوما أن أضع نادية فوق رأسي، فكيف بقبعة تخرّج أشتريها ببضع دراهم من أنهج العاصمة؟

-70-

رأسي هذا كثير الاعوجاج، لا يمكن أن يظهر بشكله المستقيم كلما التقطتُ صورة ما. مهمة صابر كلما استقبلتُ عدسته أن يشير إلي حتى يستقيم رأسي في الصورة.

تفتنني الأشياء المستقيمة لأن صفتها تنقصني، تراني أتباع سير الحافلة أو السيارة وأنا في سفر لعلها تمر بجانب مطار ما، لعلني أرى استقامة المدرج، طوله، الأضواء المستقيمة التي تحيط به، أسوار الثكنات والمعامل والشركات، صفوف أشجار الزيتون، سكك القطارات، كل هذه تجذبني استقامتها وطولها الذي لا ينتهي.

لا يمكنني برأسي المائل هذا أن أصل للجنّة على صراط مستقيم كما يصوره الفقهاء والمحدثون، لا أملك توازنا يمكّنني من السير على طريق أدق من الشعرة وأكثر حدة من السيف، الذنب ليس ذنبي، نادية تخبرني أنّني ولدت برأس أعوج.

كل هذا مقدمة لأقول لكم أنّني برأس مائل، صارت الأفكار تتزحلق في الاتجاه الخطأ، تهرب مني على عكس ما كانت، لذلك أمسيت لا أجد أي شيء أحدثكم عنه!

-71-

فكرة فاتنة حين ينعكس المشهد فنفترق ثم نلتقي إلى الأبد.

لن تبدأ مراسلاتنا بكلام رومنسي وجميل، لن يقول أحدنا للآخر "أنا سعيد بمحادثتك"، "صدفة جميلة أن نتحدث"، "أشعر بارتياح تجاهك".

منذ البداية ستكون ردودنا كالثلج، لن نجيب بسرعة ولن ننتظر رنة الرسالة أو المكالمة، لن يدخل أحدنا لصفحة الآخر ليتابع الجديد، لينظر في أسماء المعجبين الذين انضافوا، ليقرأ التعاليق على المنشورات، ومن ثمة نتساءل ماذا يمثل هذا بالنسبة له؟ الفتاة ستقول من هذه؟ وما طبيعة علاقتها معه؟ والفتى سيكون المشهد عكسيا تماما.

سنتخاصم، وسيخبر أحدنا الآخر أنّ حياته لا تقف عليه، في كل مرة سنتفق على موعد ما، وسينتظر أحدنا دون قدوم الآخر، ستتلاشى أحلامنا، وسيبحث كل منّا عن علاقات جديدة، سننكر أننا لم نتغير وأنّ الأمور كما هي، سيعبر أحدنا عن برده وعدم مبالاته بالمزاج، وسيتعلّل بالظروف.

وفجأة نلتقي إلى الأبد، نغير لون المحادثة على المسنجر، نبحث عن أسماء وكنى خاصة بنا، ثم نتفق على موعد لأول لقاء، تزداد كلماتنا حرارة، بعدها لن ينتهِ كلامنا وكلّما سئل أحدنا: «ماذا تعني لك فلانة؟» يُجيب: «تلك مخالبي التي أواجه بها هذا العالم!»

-72-

كيف للمرء أن يتخلص من هذه المهزلة؟ لم لا أكون مكان المسيح المعلق على الصليب؟ أتساءل كلما مررتُ أمام الكنيسة التي تتربع شارع الحبيب بورقيبة! أرفع رأسي وأضيف: «أو لماذا لا أكون مكان المسيح المنحوت في قمة هذه الكنيسة أطلّ على القادمين من وراء العاصمة؟»

وقتها أكون قد تخلصت من كل الواجبات، لن أكون مطالبا بفعل أي شيء، لا أخاف الأوبئة ولا المستقبل ولا أحمل هم الذكريات.

لم لا أكون كرسيا في إحدى ملاعب أوروبا الشهيرة أستمتع بالمباريات عند نهاية كل أسبوع، وأتلذذ البيرة المتناثرة من كؤوس المشجعين عند الهتافات؟

لم لا أكون الطائرة العراقية بوينغ 747 المركونة في مطار توزر بعدما انشغل العالم بحرب الخليج ونسي الجميع أمرها؟

سأكون سعيدا لوكنت شيئا مماثلا لهذه الأشياء، المهم أن أتخلص من طلبات الرب، ومن طلباتكم أيها الحمقى!

-73-

أكثر الأشياء التي أفشل فيها هي الوصف، تكفيني الأعداد المتدينة التي تحصلت عليها عندما يطلب منا في الامتحان أن نكتب نصا وصفيا.

كيف لي أن أصف الأشياء التي تحدث داخل رأسي الآن وأريد الفرار منها، كيف لي أن أحدثكم عن ما تفعله الرياح ودرجات الحرارة المرتفعة وأنا بين كثبان الرمل؟ ماذا لو وصفت لكم كل التفاصيل التي خسرتها وضاعت مني؟ لا تكفيني حياتي القصيرة لأتأسّف عليها!

أنا حقا وحيد، خسرتُ كل الأشياء التي راهنتُ عليها. كتبت مئات النصوص لأحدثكم عن ما يحدث بداخلي، ورغم هذا فشلتُ. فقط، لأنّني لا أجيد الوصف!

-74-

لم أكن أعلم أن الصور التي أحتفظ بها في قلبي يمكن لأصحابها أن يخرقوها فجأة!

كنت لا أطمئن للتكنولوجيا الحديثة ولا أثق في ذاكرتها، الأمر الذي يدفعني للهروب من عدسات الهواتف والتظاهر بأنّني نسيت أن أوثق هذا اللقاء. أول رسالة تأتيني عندما أدخل غرفتي هي «نسينا أن نلتقط بعض الصور»، ولم يكن لي أي منفذ غير أن أتظاهر بالنسيان أنا الآخر.

حقيقة أريد أن أستمتع بالمشاهد مباشرة لا عن طريق عدسة تفصل بيني وبين لحظة اللقاء، أريد أن أرى افتتاح ثغرها وتباعد شفتيها عن وبياض أسنانها الناصع، الأمر أشبه بالتناظر في حصة الهندسة.

وهكذا كنت أغوص في المشاهد، وأدرّب قلبي على طول الذاكرة كي يحفظ إلى ما لا نهاية، فأنا شخص أشعر بالاغتراب تجاه كل الأشياء من حولي، ولا يمكنني أبدا أن أثق في آلات حديثة لتخزين لحظاتي الجميلة.

ورغم هذا، كنت أكتشف شيئا فشيئا أنّ الذين أهديتهم قلبي في يوم ما وحفظت لهم لحظاتهم الجميل لا يستحقون ذلك، وأنّ قلبي كان يحمل ما لا طاقة له به دون جدوى.

هكذا وجدتني عريانا الآن بعدما تساقطت مني كل الصورة والأسماء واللقاءات والصفات والذكريات، كشجرة اجتاحها الخريف وتساقطت أوراقها اليابسة لعلها تثمر بثمار أكثر وضوح ومحبة!

-75-

روساريولا يمكن أن تنجب إلا الاستثناءات، ميسي جيفارا كرة القدم، وتشي جيفارا الفكر والسياسة والنضال.

كان من الممكن جدا أن أكون شخصا ساذجا مرتاح البال، لا أهتم لأي شيء، أجلس في المقهى دون أي رصيد، وأردد كما الأغبياء: «أنا أشجع الحكم! وميسي يقبض ملايين الدولارات وأنتم تشجعونه»، أما عن جيفارا فسيقول: «شيوعي رأسماله الإلحاد وثماره النار».

لكن لحسن الحظ، كنت أذكى من هكذا سيناريو، اكتشفت جيفارا كرة القدم، ومن ثم اكتشفت جيفارا الحقيقي.

كان كل منهما بمثابة المفتاح، جيفارا استثناء في كل شيء على أرض الواقع واستثناء لصحاب القاف المثلثة في الوقت ذاته.

التاسع من أكتوبر كان نهاية الألف نار، وامتدادا لفكرة كوب حليب لكل طفل كل صباح. عندها أصبح تشي ليس مجرد شخص حكرا على رقعة جغرافية ما، أو جماعة، ما أو حزب ما. جيفارا ليس حكرا على الشيوعيين ولا الماركسيين ولا اليساريين، جيفارا رمز لكل إنسان باحث عن الحرية، وعن الكرامة، وعن عدالة يحققها.

من هناك امتلكتُ الكثير من المفاتيح، وفتَحتُ على نفسي أبواب عديدة، علّقتُ العديد من صوره على جداري وكان رفيقي أينما حللتُ.

منذ تلك اللحظات كنت جيفاريا في الملاعب أناصر ميسي، وجيفاريا خارج الملاعب أناصر تشي، ولو لا هاذين الرجلين لما كنت بينكم الآن!

-76-

آخر من قال لي «أنت مريض»، صرخ في وجهي بهذه العبارة وأغلق الهاتف، واجتاحه الندم عندما فكر في مهاتفتي منذ اللحظة الأولى.

هكذا أنا، لا أترك الأشياء تمر أمامي، ولا أعتادها أبدا. لا يمكنني أن أتحمل عبارات من قبيل "مش لازم"، "شيء"، "لا علينا"، لا أقبل تمرير جمل تحمل تناقضات عبر أذني، ولا أسمح بأن أكون ضحكة لأي شخص كان ينطلق بمقدمات مغلوطة ظنّا منه أنه سينتصر في نتائجها.

هكذا أنا، شخص ينتمي لعصر الباروك، أشبه غرابته وتداخله، لا شيء في داخلي متناسق، لا شيء مستقيم، مزاجيتي يعزفها باخ بموسيقاه المعقدة. في مثل هذا اليوم كلّكم تمجّدون المجانين، وأنا أنعم بالصحة النفسية وسعيد. أخبروني أيها الحمقى، من المريض الآن، أنا أم أنتم؟

-77-

لا أجيد الكتابة، ولست بحاجة لأكسر كلمة وأرفع أخرى. على أي حال هذه ليست مهمتي، فالرفع والكسر مهمة الزمان. أمامي تحد واحد وهو أن أستمر في كتابة اسمي بقافه المثلثة بعدما عجزت الحكومة عن إيجاد زر لهذا الحرف على لوحة مفاتيحها الرسمية.

المعجبون بك سيذوبون كما تذوب أفكار الليل وقراراته عند الصباح. السلطة تخفي ذيلها كي لا يلاحقها الأطفال منه، تقرر ليلا وتُنجز حينها، السقف الممتلئ بهمومنا الثقيلة وأحلامنا تُسقطه علينا، لا بأس أن نذوب نحن عند الصباح، المهم أن لا تذوب قراراتها!

-78-

نحن القادمون من الأماكن البعيدة نسبب لكم المتاعب. السلطة دائما تتذمر منا لاحتجاجاتنا التي لا تنتهي، وأنتم تتذمرون من علاقاتنا وتواجدنا معكم ومنافستنا لكم في كل شيء.

نحن، القادمون من الولايات الأخرى، لا نملك شركات جهوية للنقل، ولا نعرف كيف تمر القطارات، لا جامعات، لا مستشفيات، لا مطارات. لا نملك أماكن للترفيه، ولا مدينة للثقافة، ولا معرضا للكتاب. لا توجد إدارة مهمة، ولا قاعات للمؤتمرات. لا شركات ولا معامل ولا أي شيء يمكن أن يستوعبنا. كل أشيائنا التي تبقينا على قيد الحياة متصلة بكم.

لسنا نحن السبب، من يحكمنا السبب في ذلك، ركّزوا كل الأشياء قريبة من ديارهم ولم يفكروا في أنّ من يقطنُ وراء الجبال والصحاري سيهجمُ مع الوقت.

صحيح، نسبب لكم المتاعب، حتى في علاقاتنا الشخصية نسبب لكم المشاكل ولو أحببتمونا لجمال لهجتنا في الأخيرة ستتذمرون منا، ستقولون في داخلكم: «تكفينا مشاكلنا لا تنقصنا إلا مشاكل تأتينا من أماكن أخرى!»

لا مشكلة بيننا سوى أن أجدادكم الذين كانوا يحكمون كانوا قبيحين جدا، ومع ذلك تحبونهم. يسرقون أشياءنا ونحن نأتي إليكم في كل مرة نسترد مسروقنا، ولو لا هذا لما نازعناكم في شيء ولما تواجدنا في حياتكم!

-79-

أما جدي من أبي ذلك الذي أورثني اسمه وقافه المثلثة وملامح وجهه وطباعه وحمّلني مسؤولية ذلك وأنا لم أتجاوز الشهر الرابع بعد، فقد

حالت ظروفه المادية بينه وبين الجامع الأعظم واكتفى بالفرع الزيتوني بصفاقس.

وأمّا جدّي من أمي الذي حالفته الظروف ليكون أحد خريجي الزيتونة، فقد كان في آخر أيامه يأتي مبكرا للجامع كعادته دوما، فلا ينتبه لوجودي، فبيت الصلاة خال من كل حركة في ذلك الوقت. حتى أمسك بيده اليمنى لأوصله مكانه المعتاد وأهمس في أذنه «هيا جدي من هني» فيقول مباشرة «بلقاسم؟» لأجيبه: «ايه ولد نادية بنتك» فيسألني عن القرآن والدراسة وكان ذلك سؤاله الرئيسي حتى في آخر أيامه عندما اشتد به المرض والنسيان وضعف بصره.

أظن أن جدي بلقاسم لا يدرك الآن أنّني أواصل الطريق، ولا أظن أيضا أن جدي عمر في آخر أيامه كان يعلم أمر التحاقي بجامعة الزيتونة. ورغم أنهما في مرقدهما الآن إلا أنّني أشعر بسعادتهما وفخرهما لأنّني الوحيد من بين أحفادهما الذي سلك نفس الدرب ليزداد ذلك المجد امتدادا واتساعا.

أنا هنا، سأكون كالشوكة في حلق الكثيرين، ومكاني حيث يجب أن أكون لن يتسع إلا لقافي المثلثة، لأن بعض المقاسات لا تناسب إلا أصحابها.

في الحقيقة: أنا هنا يا أولاد شحيبر!

-80-

لطالما أحببت أن أكون النقطة المضيئة والاستثناء الجميل في حياة الكثيرين منكم، إلا أنّ المثالية التي ننشدها ضرب من الوهم.
كنت عكس ذلك تماما في حياتكم، كنتُ بمثابة العثرة التي تعترضكم أثناء ركضكم، الكبوة التي تتلقونها وأنتم على ظهور أحلامكم، النقطة السوداء التي تشوّه بياض الورقة، الكسر الذي يقسم شاشة هاتفكم إلى نصفين، أثر الحروق التي تفسد صفاء أجسادكم، الحافلة الخطأ التي تركبونها في حين غفلة، رصيدكم الذي ينفذ وقت الحاجة، الكتاب الذي تأبى صفحاته أن تنطوي وتنتهي، كابوسكم الذي يفسد لذة نومكم، حذاءكم الذي يتنصّل من القدم وسط زحمة السير، رحلاتكم الملغية فجأة...
وكلما أدركتُ حقيقتي وانزويت على نفسي جئتموني واحدا تلو الآخر لتقولوا لي: «أنتَ النقطة المضيئة والاستثناء في حياتنا!»

-81-

كما يقول ديكستر يتوهمون أن العلاقات أمر بسيط والحقيقة خلاف ذلك كثيرا.
أمر جدّا معقد أن أكون جزء من حياتكم، سيجعلني أمام متاهة من الواجبات الإنسانية والالتزامات الأخلاقية التي لا مخرج منها، سأفتح أبوابا من العتاب، والأحاديث، والاستفهامات التي لا تنتهي.

الوحدة أقل تكلفة من العلاقات وما سينجرّ عنها من المتاعب التي لا جدوى منها. شخص مثلي ليس مضطرا ليشارككم الحديث عن المجموعات التي يتم إنشاؤها كل يوم. حين أكون وراء شاشة الحاسوب لست مضطرا لأقطع وحدتي وسكينتي وأسايركم في مواضيع لا تعنيني ولا تثير اهتمامي، لست مضطرا لأن أقطع هدوئي بأغانٍ ترسلونها لي، أو فيديوهات لست مضطرا لمتابعتها.

في البداية ستكون ديباجتكم جميلة وسهلة من قبيل: «نحن سعداء لتواجدك بيننا» وبعد وقت قصير ستأتون فرادى لتقول لي قبل الحظر: «أنت شخص مزاجي صعب المراس، أرجو أن لا نلتقي مجددا».

لذلك أنا أختصر عليكم الطريق من البداية دون متاعب، أنا لن أكون في حياتكم، ولا فائدة من إزعاجي!

-82-

لا يزال باب الغرفة كما تركته مفتوحا منذ أن قررتِ المغادرة. أنا ممتن لهذه التقنيات الحديثة التي تجعلني أكتب إليك أمام الجميع ووحدك من سيدرك أنه المقصود بهذه الكلمات. لولاها لما تمكنت من الكتابة إليكِ، أصابتني الحمى وألقت بي على السرير، الأمر الذي لم تقدر على فعله منذ سنوات، هذا العالم الحديث أزاح عني عناء الكتابة بالحبر والورق والبريد وغيرها.

المهم، لم يعد ثمة فرق بيني وبين الساعة المعلقة على الجدار أو الصحف القديمة التي يغطيها الغبار، حتى الرواية التي اقتنيتها لكِ لم

تفتحيها بعد، لا زالت كما هي على حالها. أعلم أن هذه الأشياء لا تلفت انتباهك، ولا تعنيك كثيرا رغم محاولاتي الدائمة لأوقعك في غرامها.

فقط رائحتك ما زالت مبعثرة هنا وهناك، المرآة لا زالت تحمل أثار قلم الشفاه، بالكاد أتذكر ما كتبته وقتها.

استوت الأشياء بما في ذلك جسدي الممتد على السرير، تركته كما لو تركت شعرة سقطت منك دون انتباه. مجرى الهواء الذي يشق غرفتي الآن يشق قلبي كذلك دون رحمة.

اختلطت عليّ أصوات المآذن ولم أعد أميز لأي صلاة تنادي الآن، الأحلام والأهداف نسيتها، لا فرق بين الغرفة ومدرج الكلية، لا شيء بعد الآن يثير اهتمامي.

فقط في المرة القادمة أغلقي الباب بالكامل حتى لا يشقّ الهواء المحمّل بالذكريات قلبي المثقوب!

-83-

كان من الأجدر أن أكون مثلكم، أن أعتني بإنجليزيتي وأرعاها لتنموكما هي نامية عندكم، حتى أتمكّن من فهم اقتباساتكم بهذه اللغة، وأستطيع تذوق الفنون الغربية التي تشاركونها في آخر الليل.

كان عليّ أن أكون كثير الاستماع للأغاني، فيروز، الشيخ إمام، أم كلثوم وغيرهم، أن أقرأ الروايات المشهورة التي تقتبسون منها منشوراتكم

بين الحين والآخر، أن أشاهد الأفلام وأحفظ أسماء المشاهير والفنانين الغربيين، كان عليّ أن أفعل كل هذا وأشبهكم تماما.
وقتها سيكون كل شيء على ما يرام. عندما تسألونني قرأت لفلان؟ تعرف فلان؟ تسمع لفلان؟ حتما سأجيبكم بنعم ونخوض حديثا لا ينتهي.
لكن الحقيقة عكس هذا تماما، أجيبكم مباشرة بكلمة لا أعرف، لم أقرأ له، لم أسمع بهذا الاسم، آسف لا أفهم لغتهم، مباشرة ينتهي الحديث في بدايته، وتختفون من حياتي فجأة، لا لشيء إلا لأنّني لم أستطع مجاراتكم كبقية أقراني!

-84-

هكذا كان من الأفضل أن أقف عند النظرة وأكتفي بلذتي تلك، الشعور والرغبة بمحادثتك، فالوسواس الذي يجتاحني يطيح بي في مآزق لم تكن في الحسبان. تلك اللذة لا تجعلني أكتفي بالنظرة، تفرض عليّ محادثتك ومراسلتك.
حقيقة لا مبرر لفعلي ذاك، ولا غاية عندي، فقط أتلذذ الأمر عندما أُطيح بك وأراسلك لأخبركِ أنّني مختلف حتى في طريقة المراسلة، لست من أولئك الذين يعترضونك كل يوم وفي كل ساعة، أنا من أولئك الذين يعترضونك مرة أو مرتين في العمر ساعة غفلة من الجميع.
لم تكن القناعة كنزي، إذ لا عقل لي وقتها، فقط تسوقني الشهوة لحظة نسيان وسُكر، أتذكر كيف مددتُ إصبعي ولامستُ كتفك

الأيسر، كانت السبابة كما لو أنها امتداد لنظراتي تجاهكِ، أردت أن أقول لك بأن النظرة لا تُشبع حاجتي، وحدها الرسائل قد تعيدني إلى رشدي وأكتشف حقيقة الأشياء. أذكر أنّني نلت ما أريد، وحدك راسلتني، ووحدك اكتشفت أنّني بمثابة فرصة العمر.
أما أنا فقد أدركتُ وقتها أن ما بعد النعمة نقمة!

-85-

كان بإمكاني أن أكون أي شيء، وفي النهاية رضيت بقافي المثلثة.
كان اسمي جدا جاف وفظيع، حتى أنّني أضطر لتكراره مرات عديدة كلما سُئلت عنه. جروحي لا تكاد تلتئم، وأسلافي قدامى لا تذكرهم كتب التاريخ.
شخصٌ وحيد، أظافري مهترئة كأيامي الجامعية، وجسدي نحيف كحقيقتي معكم أيها الحمقى.
ولحد هذه اللحظة كلما عدت من تونس تسألني نادية: «لماذا أصابك الوهن والضعف؟»

-86-

كلما اشتهيتُ الموت صدّرتُ نصي بعبارة "أنا بلقاسم بن محمد"،
أنا بلقاسم بن محمد، نسيت كيف بدأتُ الكتابة، ما أتذكره هو أن الجميع يقولو ن لي لا تكتب نصوصا طويلة لا يقرأها أحد.

كثير من أصدقائي خضعوا لهكذا نصيحة وانتهت أقلامهم، أما عني فقد واصلت الكتابة بدل عنهم، أكتب ما يريدون قوله، أكتب نيابة عن أفواههم التي كممت وأقلامهم التي جفت، أهذي مكانهم وأنزف دماءهم.

بعد كل هذا الكم الهائل من النصوص التي نسيت أكثرها وأتلفت جلّها، صار الجميع كالحمقى يقولو ن لي: «تعجبنا نصوصك» والحقيقة أن نزيفي هو الذي يعجبهم وليست نصوصي!

-87-

أنا شخص مثلكم تماما، فشلتُ في الحب، وأهدرتُ الكثير من الوقت في ذلك. يقولو ن لي: «جدارك الفايسبوكي كثير الحركية وتملك العديد من المعجبين والأتباع والقراء».

لا تغريني هذه الكلمات ولا تعنيني أيضا. ما أحصيه من قُراء يحصيه غيري بكل سهولة، وجداري يشبه قلبي، كلاهما خال من أي حركة. لست قاس كما تظنون، وكلماتي لا تحمل أي عمق، وجلّ أحاديثي بسيطة ومواضيعي التي أتناولها تشبه مواضيعكم، وربما أكثر سطحية وتفاهة.

نادية تتوهم أنّني أنا الذي ألاحق الفتيات، والفتيات تظن أنّني عصبي ولا أؤمن بالحب. كلما بلغتها صوري وأنا في الجامعة أوفي تونس صرخت في وجهي: «سيب عليك من البناويت وتولهى بقرايتك!» وأنا

لحد هذه اللحظة لا أعلم كيف أقنعها أن الفتيات يلاحقنني غيرة منها!

-88-

كل التجارب التي خضتها في الحب فشلتُ فيها، وفي كل مرة كنت أنا السبب.

لا يضرني كوني فاشلا لا أجيد الحب، بل يضرني أنّني أهدرتُ الوقت في أشياء لا أتقنها. نضجتُ مع كل تجربة، وأدركت للكره معنى وفلسفة مع المسكيني خصوصا. فلا مثالية في الحب ولا يمكن لفتاة أن تختزل هذه الثنائية، ثنائية الحب والكره.

نادية لم تتجرأ يوما على السؤال، أنا ابن الأربع والعشرين سنة لم تعرف يوما طبيعة علاقاتي ولا تملك أدنى فكرة عن كل التجارب التي عشتها.

في كل مرة يُفتح فيها باب الحب، حاولتُ السير بقلب قديس والحفاظ عليه من كل الاتهامات والتشويهات، وكما يفعل أحمد بخيت عندما يحبّ سيدة حاولت أنا أيضا تقليده وتحويل السيدات لموسيقى، لكنني لم أستطع.

أدركتُ أن هكذا أشياء هي من أفعال الفنانين وأنا لست كذلك، فالمرأة الوحيدة التي يمكنني تحويلها لموسيقى هي نادية!

-89-

ميلاد مجيد أيها العالم!

المسيح شخصية عظيمة وفاتنة بغض النظر عن قضية تاريخ ميلاده. رغم أنه لم يصلب، ورغم أن الخطيئة التي هي فكرة وهمية فإنّ المسيح حتما سيضحي بنفسه لو كانت الإنسانية حقا ستتخلص من خطيئتها. فكرة الصلب بالنسبة لي فكرة شهية، صورة المسيح وهو مصلوب يصرخ في وجه العالم "نعم! سأضحي من أجلكم ومن أجل خطاياكم أيها الناس، المهم أن تنعموا من بعدي بالحب والسلام!"، صورة عظيمة جدا تعكس عظمة شخصيته.

ميلاده تقريبا يحتفل به 2.2 مليار نسمة، تتزين كل الأراضي العربية التي مرّ منها وحملته وهو في رحم البتول، أوروبا أيضا تعود لأواخر القرون الوسطى وبدايات الموسيقى الكلاسيكية، أمريكا أيضا لا تنام. تتصدر شقراء أوروبا وسمراء أمريكا المشهد أيهما تكون أجمل عندما يطل المسيح، تحفل الكثير من بقاع العالم، وتعزف الآلاف من المقاطع الموسيقية، وتُتلى الكثير من الترانيم، ويتقلب ماراودنا في أول ميلاد له في قبره، حتما سيشرب في قبره حدّ الثمالة، وسيغني للمسيح وفي آخر احتفاله سيرفع الوسطى من يده اليسرى واليمنى في وجه كل الأغنياء، وفي وجه كل متشدد ديني يبغض المسيح!

-90-

وتسألني كلما أمطرت عندهم هل أمطرت عندنا أم لا؟
أما الجنوب يا صغيرتي فمكان جدا بعيد، لا تصل إليه السحب ولا تبلغه الأشياء الدافئة. لا تدركه الثلوج ولا الأمطار. مكان خال تحيط به الرياح والأعاصير الرملية والنسيم الباردة والقاسية.
يظلّ الجنوبي دوما في اشتياق للمياه، يبحث عنها ويطلبها، لكن دون جدوى، حتى آلهة المطر لا تزورنا ولا تعرف أي نحن. كلّما أمطرت عندكم وتساقطت الثلوج يقتلنا البرد في المقابل. مستقبلا لا تسألي عنّا، عليك أن تستمتعي بهذه الأشياء التي تغمركم دفئا وجمالا وأن لا تفكري في الصحراء، فالصحراء يا صغيرتي لا تدركها عقول لم يكن مخاضها بين ظهراني الرّمال!

-91-

إلى اللحظات التي بكت فيها أمي بسببي، إلى أولئك الذين آمنوا بي ودفعوني إلى الأمام، إلى كل الرّفاق الذين هم حولي، إلى الحمقى، إلى المزاجيين، إلى البدينات، إلى كل المقاهي التي زرتها، إلى كل المواعيد التي كنت جزء منها، إلى كل الأماكن التي زرتها، إلى كل الذين راسلتهم وراسلوني، إلى كلّ الذين ناموا ولم يستيقظوا، إلى كل الذين طلبوا مني مددا وعادوا صفر اليدين، إلى المساكين، إلى كل من يحبني، من يبغضني، إلى كل الذين طالعوا نصوصي، إلى كل الذين زاروا حسابي

خلسة، إلى كل من يحمل اسما كإسمي، إلى الذين تركتهم حبيباتهم في هذا البرد، إلى سائقي القطارات، إلى الجبال المثقوبة بالسكك الحديدية، إلى الأذكياء، إلى المرضى أمثالي، إلى الجامعة، إلى القاعات التي تواجدت فيها، إلى الحلقات والمجموعات التي كنت أحد أفرادها، إلى سكان العالم الافتراضي، إلى كل العالم،
أنا آسف لأنّني تواجدتُ في حياتكم.

-92-

بطبعي شخص يميل إلى الأشياء الكلاسيكية، كذلك أميل للتطبيق الكلاسيكي للفايسبوك. أحيانا أضطرُ لفتح تطبيق "فايسبوك لا يت"
تعجبني جودة النصوص قليلا، لكن لا يمكن أن أطمئن لتطبيق لا تستسيغ القاف المثلثة في الكتابة.
كذلك الكثير من الأشخاص لا يستسيغون أسماءنا ولا يستطيعون هضمها، تكون ثقيلة على ألسنتهم، وقد لا يطيب ذكر قاف مثلثة كقافي.
علينا أن لا نطمئن لمن يحرف أسماءنا ولا يحفظها، لمن يلحّنها، لمن يلجأ إلى ألقاب غيرها.
يسألني البعض أي الصيغ تفضلها في المناداة فأجيب مباشرة: "**بلڨاسم**!"

-93-

منذ الصغر نشأتُ على حب المهمشين والانتصار للقضايا الخاسرة. حفيد رجل عاش كامل حياته فقيرا، قضى عمره بين الزوايا والكتاتيب. كبرتُ في جو قرآني وملتزم كبقية عائلات الحي فانتصرتُ لمن هُمِّشُوا باسم الدين، كنت في صف علي ضد معاوية، وآمنت بسلمان الفارسي وبأبي ذر الغفاري.

انتصرت للجماهير فأحببتُ النادي الإفريقي ثم آمنت بحرية الكتالونيين فعشقتُ البرسا. كنت مغرما بأدبيات الاشتراكيين الذين لم ينتصروا لحدّ هذه اللحظة وما زلت مغرما، أحببت شعوب أمريكا الجنوبية الفقيرة فشجعتُ مارادونا ودافعت عن كاسترو وجيفارا.

رفضتُ الاحتكار والاستغلال والتعسف، وكنت ضد كل أشكال الاحتكار للسلطة. أحببت المتبوّلين على حافة الشوارع آخر الليل وقلّدتُ صنعهم في ضوء النهار، أحببتُ العبارات التي تكتب على الجدران فكتبتها في الرسائل للجميلات.

اليوم عندما جاعت الشعوب جعتُ معها، وفي اللحظة التي ستكفر فيها سأكون أول الكافرين معها،

لأنّني تعلمتُ أن كفر الجائع هو قمة الإيمان وعمقه!

-94-

أنا أيضا من وراء البلايك،

من مدينة ما زالت تتشابك تسميتها وتراثها بتوزر عند من هم "أمام البلايك".

هناك وراء البلايك لقّبني أهلي بقافٍ مثلثة ثقيلة كهمومهم. هناك حيث لا يوجد مقهى مختلط للإناث والذكور، لا إشارات ضوئية تنظم فوضانا، لا جامعات، لا مستشفيات، لا طرقات جميلة، لا أشجار، لا ورود، لا أمطار، لا تنمية...

وراء البلايك، لكل منّا نادية تنتظره، تراسله وتطمئن على حاله، تصبر على فراقه وتأمل عودته ليكسر تلك البلايك، وفي النهاية نعود لهنّ كما البدء عراة دون مستقبل، نعود بخيبة أمل نكسر بها قلوبهنّ.

وحين نتبول على النظام والسلطة، يصدّرُ في شاشات التلفاز والصحف: "مجموعة من المخربين قدموا من وراء البلايك لتخريب الدولة القومية!"

-95-

الزيتونة مضيعة للوقت،

هذه السنة الخامسة التي أجعلها في سبيلها. خسرت أثمن الأشياء عندي: الوقت، العمر، الأقارب، الأصدقاء، البدينات، الراحة، وغيرها...

لم أجني أي شيء يذكر، فقط الآلام والمتاعب، لا حاضر ولا مستقبل ينتظرنا. حقا لم تتمكن مني إلا الغربة، وقلقي المعتاد يتمدد من حين لآخر. لا شيء يمكن أن يملأ اللهفة التي قدمت بها. من الحكمة أن لا نركض وراء كل شيء نحبه، بعض الأشياء التي أحببناها من الأفضل أن نكتفي بحبها دون أن نلهث وراءها.

خمس سنوات لم أنته بأي شيء يُذكر، فقط العداوة والكره، الكثير الكثير من الخصومات، ثم اللاشيء والفراغات.

الجامعة مضيعة للوقت، لكن لا بأس اختاروا تونس من أجل الجميلات، من أجل المقاهي والصعلكة، من أجل الميترو والمعارض، من أجل النادي الإفريقي، من أجل الملاعب والأحياء الراقية، من أجل أن تعيشوا ما لم تستطيعوا عيشه في قراكم البعيدة ومدنكم الصغيرة.

غير هذا اهربوا ففي الهروب بعض نجاة!

-96-

أنا لا وجودي لي،

ليست لدي مهمة في هذه الحياة، ولست فاعلا أينما حللت. لا شيء أفعله، أعيش فراغا كامل اليوم ورغم هذا ليس لدي وقت لفعل أي شيء.

أنقذني الافتراضي لأُثبت وجودي من خلاله، أقضي كامل وقتي أوزع الجامات والجادورات على المنشورات، إن لم أكن أقرأ كلماتكم أجدني أكتب إليكم.

ثقافتي أستمدها من الفايسبوك ونصوصي أسرقها من حساباتكم وألفّقها لأشكل نصا خاصّا بي.

رأس مالي حساب فايسبوك، وسقف اهتماماتي قائمة الأصدقاء وأنا أحافظ على العدد الأقصى 5000.

هنا يمنع إزعاجي، لا شيء يمكنني أن أقدمه لكم غير الجامات، أرجو أن تعيدوها لي يوم القيامة لأكون فاعلا أمام الله، يكفيني أن أكون نكرة بينكم في هذه الحياة.

-97-

أنا شخص جدا بسيط،

الهواء الذي أنفثه هو قلقي الدائم وأحلامي المحترقة،

فشلتُ في أن أكون كاتبا فريدا، ونسيت كيف كان شكلي عند البدايات.

لاحقتُ الأشياء التي أحببتها حتى النهاية، ورغم ذلك كانت كالسراب، وتهتُ وراءها وما أدركتُ طريق العودة لحدّ هذه اللحظة.

الأشخاص الذين بادرتهم بالسلام احتقروني، والعيون التي بادرتها بنظراتي التفتت للزوايا الأخرى، حتى عدسات الكاميرا لمّا نظرتُ إليها بابتسامتي الجميلة انطفأتْ في وجهي!

-98-

في عيد الحب،

تشتهي بائعة الورود سلعتها ليوم واحد. للأسف ليس من صديقاتي على الفايسبوك أي بائعة ورد لأهدي لها وردة حمراء كما تشتهي.

أنا صعلوك صغير، أحمل عقدا تجاه الحب، لا أرتدي الأحمر ولا أقترب من بائعي الورود وليس لدي المال لأشتري الهدايا.

أراسل العشرات من الجميلات وألاحقهن كما أفعل منذ كنت صغيرا. على المسنجر لن تضطر للكذب، ولا لأخذ المواعيد، ولا لشراء أي شيء، لن تضطر للباس الأنيق ولا لتسريحات الشعر المختلفة. وراء الشاشة تتحدث كما أنت بأي شكل كان وبأي وضعية تريد أن تتخذها، يمكنك أن تجيب عن رسائلها بأعلى صوتك ومن ثم تكتبها، تضحك على طبيعتك وتصدر أصواتا كما شئت دون أي اعتبار.

ستُحيط بك الجميلات، بلا حد، ودون أن تتفطّن إحداهن للأخرى، كل منهنّ ستتوهم أنها الوحيدة التي تراسلها، وهكذا لن تحتاج لعيد الحب ولا لأي عيد آخر لأنك تراسلهنّ دوما وفي أي زمان ومكان.

نادية لا تدرك كل هذا لحد الآن، لذلك أنا سعيد لأنّها لن تلاحقني هنا أبدا!

-99-

نحن المزاجيون،
عاديّون جدا، لا نملك ثقافة مسبقة، ولا خلفية نستند عليها.
نراجع للامتحانات كغيرنا من الطلبة، لا تخيفنا كثرة الأوراق ونكتب القليل ولا نتباهى بذلك.
يعسر علينا فهم الكثير من المسائل، ونردُّ بضاعة أخذناها داخل القاعة ولا نضيف أي شيء. نكتب بقلم بسيط ونشطب كثيرا دون أن نضع أي شيء يزيل ذلك.
نفرح إذا ما تحصلنا على معدل جيد ونخاف العثرات رغم كثرتها في طريقنا. نشارك الناس أشياءهم الجميلة ونسعد لتحقيق أحلامهم، نحزن لحزنهم ونقف لجانبهم رغم أننا لا نملك ظلا نتكئ عليه.
نحن المزاجيون، لا شيء يميّزنا، مثل غيرنا. فقط لا نعلم متى ستنطفئ النار التي بداخلنا!

-100-

لا أكتب نصوصا للعموم، أكتب وجعي وأشيائي الخاصة. لا أكتب تحت الطلب، بل أكتب لنفسي فقط.
عندما أكون حزينا أجدني بين شيئين، إما أن أصمت أو أن أكتب. لم أفلح في شيء قطّ منذ أنجبتني نادية إلا في بعض النصوص.

كنتُ وجع أمي وحزنها، لا يغادرني القلق تجاه الأشياء التي تحيط بي، سريع الملل من كل شيء، من الأناس الذين هم حولي، من الكلمات التي تقال لي، من الأفعال التي يجب علي فعلها وتكرارها، من كل الأشياء التي تستعبدني، الشحن، الأنترنت، الوقت وغيرها... أنا آسف حين أصارحكم بالحقيقة.

فأنا بلقاسم بن محمد حين أشعر بالملل تجاهكم، أكتب نصا لأقول لكم بكل وضوح دعوني وشأني!

-101-

ظلّي فقط يمكنني أن أتكئ عليه، الأمر الذي لم تعلمنيه نادية، تركتْهُ للتجربة.

المزاجيون ولدوا أيام الراحة، حيث الشوارع فارغة والمتاجر مغلقة والناس نيام. يولدون على الهامش لوحدهم.

هكذا أنا تماما، ولدتُ لوحدي يوم الأحد حيث الناس نيام، والنصارى في الكنيسة، ونادية ربما وقتها نادمة على فعلها.

رغم كثرة الناس من حولي أجدني وحيدا دوما، حضني الشاسع الذي استوعب الجميع لم ينجح أحد يوما في استيعابه. قلب القديس الذي واجهتكم به دنّسه جميع الذين أهديتهم الحبّ.

أنا صاحب القاف المثلثة، خلقتُ لأكون رفيقكم لحظة وجودي لجانبكم ووحيدا حيث ما كنتُ، فالمزاجيون أمثالي ولدوا موتى منذ اللحظة الأولى!

-102-

الفتيات اللاتي وقعن في حبي، أغلبهنّ يتسللن إلى حسابي خلسة لحدّ اللحظة.

أنا لا أذكر ملامح آخر فتاة وقعتْ في حبي، ولا أذكر اللاتي طلبن مني أن أكتب عنهنّ.

أنا لا أعطي أملا لأي كان، ولا أوزع الورود، ولا أقول كلاما جميلا، لا أرضي الخصوم، ولا أحسن التصرف. لا أجيد الاعتذار، ولا يمكنني حلّ المشاكل.

لست مهتما، ولا يمكنني أن أهتم، أهرب بنفسي بعيدا عن الكل، أجيد خلق المشاكل والتخلص من الأشخاص القريبين مني، المسافات التي أحاول الحفاظ عليها بيني وبين الناس أضحي من أجلها بأي كان كلما تجاوزها.

في كل مرة أعيد ترتيب محيطي أكون سعيدا إذا ما تخلصت فيها من أقرب الأشخاص لي. لأنّني في كل مرة أفعلُ ذلك أشعر أنّني تحررتُ مجددا.

فما بالك بفتاة لا أعرفها وليست من محيطي تأتيني لتقول لي أحبك!

-103-

في نهاية الأمر لابد أن أكتب إليكم أيها الحمقى،

نادية انتظرتني كعادتها وكانت سعيدة بعودتي وغير هذا لا شيء جديد.

ليس لي أي دافع لأظهر في الصور والمعلقات، نصوصي التي أكتبها ينتابني البخل لألحق اسمي في أسفلها، رسائلكم الصوتية التي ترسلونها لي أفتحها متثاقلا، وأصواتكم قبيحة أكثر من صوتي.

ليست لي أي مشاكل معكم، ولا أتخذ أيّ موقف من أيّ كان. فقط أنا من كنتُ أحمقا حين عرفتكم وتحدثت معكم، أحمقا وغبيا حين راسلتكم وجالستكم وبادلتكم الضحك والمزاح، مغفلا حين أهديتكم الحبّ، وكلماتي الجميلة.

الأشياء التي أخوضها كلّها مع نفسي، لا دخل لكم في أي شيء. فقط أنا أستحق ما يحدث.

حتى النصوص لم أعد في حاجة إليها ولا لكتابتها اذهبوا أنتم الطلقاء، المهم دعوني وشأني!

-104-

في الحقيقة صرت أتثاقل عن الكتابة لكن لا بأس،

بعض ما يأتي في الصراحة أحيانا مستفز وجميل ويدفعك لأن تكتب.

ربما تركيبتي فيها ما يزعج، وهوما انطبع على قلمي، فلست أتصنّع لأكون مزعجا ولا لأكون ساخرا في نصوصي وإن كنت أؤمن أن السخرية منهج قرآنيّ ناجع إن كان في محله لقوله تعالى: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (هود: 38)

حقيقة لا أتكلّف أي من كل هذا ولا اعتبار له عندي، فكلما شرعتُ في الكتابة إلا وحاولت ترجمة ما أشعر به بكل تلقائية وبساطة.
أخيرا، لا يمكن للبدوي إلا أن يكون فيه شيء من اللامبالاة والقساوة التي قد لا تطاق في كثير من الأحيان، ولا يعني هذا أن يتصنّعها بل هي من السمات التي قد يُجبل عليها وتكون من طبعه، وما يُجبل عليه المرء حتما سيُجبر عليه ويصعب التخلّص منه. فكلّ ما كان من الطبع استحالَ أن يكون وليد تصنّع وتكلّف.

-105-

نسيت كيف كانت ملامح وجهي عند البدايات، لطالما كانت مقدمات الأمور شديدة الصعوبة، إلّا أنني وجدُتني كثير النسيان تجاهها.
هكذا نسيت كيف كانت ملامحي في الصغر، نسيت تفاصيلي الدقيقة مع ناديه وكلما غزاني الشيب أكثر إلا وازداد نسياني!
نسيت آخر حاجب عين رأيته، لا أذكر كيف كان شكله، هل هو مثيل خط عدل إشهاد؟ أم كهلال يطل من تحت الشفق في ليلته الثانية؟ نسيت كيف ارتكز خشمها بتلك الدقة، وبرقة لا متناهية. نسيت كيف استدار خدها كاستدارة الزمان، نسيت حتى كيف كانت شفاهها على قِبْلتها الأولى، جمالها قصي بعيد لا يؤمن بتغير الوجهة والقِبلة، شعرها الكثير والطويل كلفني الكثير، كأحلامها لا نهاية له.
كنتُ ألامسها بلا ذاكرة، وأتساءل هل عندها إله قادر على رسمها بهذه الدقة وبحرفين فقط، "كن".

كل ما أتذكره أنّني بدوي حتى في ذوقي تجاه الأنثى، غير هذا فإنّ ذاكرتي مثقوبة وقاسية لا ترحم أحدا!

-106-

مرحبا أيها العالم،
لنكن على وفاق.
أنا بتركيبتي المختلفة لم أطلب من أحد أن يحتملني أو أن يصبر على وجودي، نادية لوحدها تتحمل هذا لأنّها صاحبة الفعل.
أنا لا أطلب ودّا من أي كان ولا أحد يمسك السماء أن تقع على رأسي.
لا أبحث عن الحب ولا القرب، ولست زير نساء. أحب الأنثى في جانبها الأنثوي الجميل ومنالها سهل بالنسبة لي.
ليست لدي علاقات ولا أؤمن بها، لا أحفظ الأسماء. لا أشقّ الصفوف ولا أحشر نفسي في حلقات مغلقة لا تعنيني. كلامي في أغلبه بذيء، وردود أفعالي كلها مزاجية. لست مثقفا ولا أملك المال ولا شيء أرثه عن أبي. لا أفكر في الزواج ولا لست مغفلا لتطربني الجمل التي من قبيل: "محلاها لهجتك"، "تعجبني شخصيتك"، ليست لدي حبيبة ولا رفيقة ولا خليلة. كل الفتيات سواء وينتهي أمرهن في حلقة مفرغة.
فقط لو أعطاني الرب الصُورَ الذي سيُنفخ فيه يوم القيامة لصرخت في وجهكم أيها الحمقى بكلّ قوة: "لتذهبوا إلى الجحيم!"

-107-

أنا بلا ذاكرة
ورغم هذا كتبت مئات النصوص
دون حضور الجماهير
العشرات من الجميلات وكم هائل من البدينات
الآلاف من الكلمات والحروف
وصفر من الحبيبات
مشاعري أتلفتها مع نصوصي، وأهدافي ركلتها بكل قوتي،
وكلماتي تجاهكم ليس حقيقية
فقط أسايركم
لأنّني بلا ذاكرة ولا أحفظ طريق العودة
أسايركم لتتركوني أمشي حذوكم
فأنا أخاف على نادية ضياعي

-108-

لا بأس، بدل أن تحزنوا افرحوا،
افرحوا كلما أخطأ أحد ما في مناداتكم، فقد أعطاكم فرصة أن لا تلتفتوا إليه وتورّطوا أنفسكم في ما سيطلبه. افرحوا كلما نسي أحد ما رقم هاتفكم، لن يضطر لمكالمتكم وستنعمون بالكثير من الهدوء. افرحوا كلما نسي أحد ما أن يستدعيكم كما استدعى بقية أصدقائه،

عندها سينقص أحد من حياتكم وستتقلص الواجبات والمسؤوليات المطالبين بها تجاه كل صديق. افرحوا كلما تجاوزكم أحد ما، هو أعطاكم فرصة لتقلّلوا الدائرة التي من حولكم دون أي عناء.

افرحوا كلما غاب اسمكم، ذكركم، كلما تجاوزكم الجميع، كلما كانت اللقاءات من دونكم، كلما كانت الحفلات والاجتماعات والأحاديث من دونكم. افرحوا لأنكم ستكونون لوحدكم، دون مشاكل، ودون أي وجع. صحيح أنكم ستبعثون لوحدكم بخيبات أمل متراكمة.

لكن لا بأس بذلك، بعض الأنبياء يبعثون لوحدهم يوما آخر فلربما تجمعكم الوحدة معهم!

-109-

لستُ ملزما لأبرر تقلباتي في كل مرة، أو أن أتحدث حتى تستنتجوا أنّني شخص مريض ومعقد. لست مطالبا لأكون ملتزما بكل ما تعارفتم عليه، ولست مجبرا على لعب أدوار لا أجيدها ولا تقنعني من الأساس.

المزاجي، كالسراب تماما، لا تجده حين تحتاجه، لا يحمل أي مشاعر حقيقية، مشاعره كالسراب هي الأخرى، يحبّ تارة ويكره تارة أخرى، حتى مشاعره لا تستقر على شيء.

كلما اقتربتَ اكتشفت أنك تلاحق سرابا لا يهدأ، ستنطفئ مشاعرك تجاهه وتحترق سريعا، ستُدرك أنك أخطأت وتسرعت في البداية وأن خلاصة الأمر كان حلما سريعا.

الحقيقة هي أننا تحملنا أنفسنا إلى حدّ لا يطاق، ولسنا نقوى على حمل أشياء تفوق حملنا، لا نريد أن تصيب أحد ما خيبة أمل، لا نريد أن نؤذي قلوبكم ولا نطيق.

كلما اكتشفتم شخصا تمكّن منه مزاجه حتى بلغ أفعاله وتصرفاته وأقواله، اهربوا بكل ما أوتيتم من قوة، فالمزاجي خُلق ليتفرّد وحيدا لا ليلتحق بالركب.

-110-

تتوهم بعض الحمقاوات أننا سنلهث وراءهن كلما راسلننا!

عن نفسي لا أطيق وجودي وكما يقول سارتر: «تكفيني ربع ساعة أفكر في نفسي حتى أصاب بالغثيان» فما بالك أن أضع على عاتقي شخصا آخرا هه!

لست ألهث وراء أي شيء، أحب أن أكون عريانا بلا أي شيء. من دون أوصاف، من دون علاقات، من دون التزامات، من دون مسؤوليات، من دون سيرة ذاتية.

هل أبدو كشخص تعجبه أشياؤكم وكلاسكياتكم؟ تخنقني تفاصيلكم المتكررة، واحتفالاتكم المتشابهة، ظهوركم الروتيني، شاشاتكم المشققة، وصوركم المقلّدة.

أنا بلقاسم بن محمد بقافي المثلثة، تزعجني النصوص التي أكتبها وتخنقني كثيرا، لكنها لن تبلغ الاختناق الذي تسببه حياتكم الطُهورية السليمة الخالية من العيوب والأمراض!

-111-

لا أفقه في الصور واللباس والموضة،
لكن أعلم أن صورة بشار المشققة التي تعلقينها لم تعد تناسب هذه الموضة. المقاتلون والسياسيون ورجال الدين والسهم الموجود على الخريطة تجاوزوا كل هذا وأدركوا حقيقة المعارك التي خاضها العرب المسلمون منذ البداية.
وأنا لحد الآن لم أستوعب المعركة التي خضتها معك، المحللون انتصبوا في الشاشات من أجل الكلام والثرثرة، وأهلي بالمدينة تجمهروا أمام مقر المعتمدية للاحتجاج، الفلاحون أهملوا نخيلهم، والعربات توقفت، المستشفيات امتلأت وصافرات الإنذار في كل مكان، والساسة تصدروا المشهد، وأبي صار مشهورا وعائلتي ذاع لقبها.
ولحد اللحظة لم يستوعب الجميع من أنتِ، فتاة أم وطن؟

-112-

الكلاب السائبة في الشوارِع تلاحقنا في النوم وتفسد أحلامنا. تنزيلاتكم المتكررة والمتماثلة تلاحقنا هي أيضا في الفايسبوك وتضيّق علينا الخناق. الطيور التي هاجرت سرقت أحلامنا ونصوصنا ونسبتها لنفسها في أماكن بعيدة. الكتب التي نلنا بها شهائدنا أهديناها لبائعي الفواكه الجافة، القواعد التي حفظناها ألقيناها في أول سلّة قمامة عندما واجهنا الحياة. الحب المعلّق في مؤخرات

السيارات الفاخرة والمنتصب على طاولات المقاهي والمطاعم الفخمة تبولنا عليه سمومنا. الجدران التي كتبنا عليها حروف حبيباتنا أزلناها وكتبناها على أسوار بيوتهن بعد ما تزوجن.
والنصوص التي تأتيكم من المعجبين هي في الحقيقة نحن من نكتبها لكنّهم يكذبون عليكم وينسبونها لأنفسهم!

-113-

هذا الحساب لي، أضع فيه النقاط على الحروف، وأعبّرُ فيه عن كل ما يجول بخاطري.
يجوز للبدينات فيه ما لا يجوز لغيرهن، فقد كان الإله يرسم لوحته بريشة تقطر جمالا وفنا. تتالت تلك القطرات إلى الأرض على شكل بدينات، ومنذ ذلك الوقت ونحن نتلذذ جمالهنّ.
أنا بلقاسم بن محمد، صاحب القاف المثلثة، أحمل قيم البدو، وأكتب بعربية معوجّة ومائلة عن السطر، لا تعنيني الأسماء ومكانتي عند أي شخص، وحدي أعرف نفسي وأحفظ حدودها. ليست لدي حبيبة، فكل الأشياء التي راهنت عنها خسرتها. ومن الآن، الجميلات كلهنّ حبيباتي.
المهم أنّني منذ وقت طويل سخّرتُ جهدي ووقتي لمتابعة كرة القدم واللّحاق بالبدينات، وأنا جد سعيد بهذه الثنائية!

-114-

ماذا لو لم تكن ثمّة أنثى في هذا الوجود؟

عندها، لن نعرف ما الذي ينتظرنا في فالهالا، لن نشعر بأي لذة أو شهوة تجاه أي شيء، ولن ندرك طعم تلك الأشياء.

ستكون الجغرافيا خالية من كلمة تضاريس، ولن تكون ثمة آلهة. لن نعرف ما معنى الخصوبة، ولا ما معنى الولادة. سنجهل ما الذي يعنيه الهلال في ليلته الثانية، ولن ندرك معنى الوطن، ولا ما الذي ترمز إليه ثمرة الرمان وهي تتدلى في الهواء. لن يكون ثمة معنى للحب، وستختفي الكلمات المؤنثة من المعاجم، لن يكون ثمة ضمير: أنتِ، هما مؤنث، هي، هن، ستختفي نون النسوة أيضا.

بلا أنثى، ستختفي الغزليات، وستنتهي الأفلام والمسلسلات. المعلقات الإشهارية أيضا ستتبخر بسرعة جنونية.

بلا أنثى، لن نتلذذ بالشَّعْر الأسود، ولا بالأحمر القصير، لن نضطر لإنشاء حساب على الفايسبوك أو الأنستقرام لملاحقة الجميلات، كذلك ستنعدم الصعلكة واللحاق بالبدينات.

الشيء الإيجابي الوحيد هو أن النسوية لن تكون فلسفة، بل ستكون محض خرافات يتحدث عنها الناس أثناء سُكرهم!

-115-

في الحقيقة نسيت كيف كان شكل النص الأول الذي كتبته هنا. لا شك أن فتاة ما تحركه.

الفتاة التي أحببتها لا ترد على رسائلي، تتكرها للوقت يقتلها. تعلم أنّني سأسحب كل ما كتبت مع الوقت ولن تضطر لأي رد، بعد ذلك ستتعلل بأنّني مزاجي يحذف ما يكتب.

المهم، فكرة أن تكتب للفتاة التي تحبها فكرة سيئة. والاعتقاد الذي كنت تعتقده بأن الكتابة قد تكون مفتاحا للحبّ ومحلا للإعجاب ومجلبة للفتيات اعتقاد خاطئ ومثير للشفقة ومُجلبٌ للضحك.

الكتابة تجعل منك شخصا كثير الهذيان بلا توقف، شخصا ساذجا بلا حد، والأهم من هذا تجعل منك شخصا عريانا يكشف أوراقه مع كل نصّ!

-116-

- مرحبا! تحدث عن نفسك

- مرحبا، أنا بلقاسم بن محمد، عمري عشر سنوات، أحبّ النادي الإفريقي، المدرسة الابتدائية ابن عرفة دوز، وهوايتي كرة القدم.

هكذا كنت بسيطا حتى في أحلامي، بأسنان مفلجة وثغر شاسع، أحلم أن لا يحرمني شيء من ممارسة كرة القدم ومتابعتها. خذلني الحب، الأصدقاء، الرفاق، الجميلات، الدراسة، الوطن، المستقبل، الأحلام،

القبيلة، الفكر، العقيدة، الأعراف، التقاليد، القوانين، الرايات، البحار، القادة، الموسيقى، الأمل، السعادة، الفرح، الحياة...
وحدها كرة القدم لم تخذلني ولو لحظة في حياتي!

-117-

أولئك الذين حدّثونا عن الأمل كانوا يخادعوننا بكل بساطة. نادية أخبرتني أنّ الدراسة وسيلة لتحقيق كل شيء. الأستاذ أخبرني أنّني سأنحت اسمي على رخام ما. جارتي العجوز لا تكف عن قولها بأن أجدادي الموتى معي في كل لحظة وحين، ورذاذها لا يكفّ عن التناثر هو الآخر. إمام المسجد يخبرني أنّني سأنال الجنة لو صلّيت وراءه دون توقف. حبيبتي تعدني بأنها ستكون لجانبي دوما مقابل الحب. الطبيب النفساني يجني المال مقابل ثرثرتي ولا يريدني أن أفقد الأمل. درويش هو الآخر يكذب المهم أن تُعجب به الجميلات. رجال التنمية البشرية، علماء الإعجاز العلمي، الأمهات، الآباء، الحبيبات، المعلمون، الشعراء، الشيوخ، رجال الدين، المفكرون، الفلاسفة، القادة، الفنانون، الكتاب، الكتب، الجرائد، الأموال...
كل هؤلاء يخادعونكم وأنا لوحدي أصارحكم بالحقيقة،
ودليل ذلك أنّ كل هؤلاء لا وجودهم لهم الآن وأنتم في وحدتكم تتجرعون طعم الخديعة!

-118-

أكبر خطأ فادح ارتكبناه هو أنّنا واصلنا الدراسة!
لطالما حلمتُ أن أكون نبيا، أو قديسا يُشيّد تمثاله في إحدى زوايا المعابد والكنائس. كان عليّ أن أجيد القراءة والكتابة وأن أصنع من نفسي شخصا مثقفا. سخّرتُ نفسي لهكذا أمر وأهدرت المال والوقت فيه، لكنني كنت أحمقا بما فيه الكفاية ونسيت أن الأنبياء لا يحملون عقدا ولا يرون الأشياء بالأبيض والأسود مثلي.
أنشأت الكثير من العلاقات حتى لا أبعث وحيدا يوم القيامة، وحاولت قدر المستطاع أن أكون إنسانا حتى في أشد لحظات الغضب.
وبعد كل هذا، وجدتني أجذّف في اللاشيء، بلا لغة، بلا ثقافة، بلا وقت، بلا مال، بلا جهد، بلا روح، بلا علاقات، بلا دعوة، بلا رفقة، بلا ألوان، بلا حب، بلا وفاء، بلا صدق، بلا حياة، بلا مكانة، بلا منصب، بلا صفة، بلا أي شيء!
لذلك لا تضرني خديعة من عرفتُ، لأنّ نادية هي أول من خدعني عندما أخبرتني أنّني سأكون كل شيء إذا ما واصلت دراستي!

-119-

لطالما كان رضاء الوالدين ذخيرة لا تنفذ، لا تعرف المستحيل، وتؤمِّنُ لي طريقي أينما اتجهت. جدّتي هي الأخرى تخبرني أن أجدادي المرازيق دائمي الحضور كلما كنت في مأزق.

"يا غوث يا محجوب كون معانا *** فزّاع في الغصرات يا بابانا"
نادية وعمر كانا أشدّ إيمانا منّي بأحلامي لأنّني وببساطة أمثّل آمالا لا تنتهي وامتدادا لعائلة لا ينبغي أن تتخلّف عن المراتب العليا سواء من ناحية الأب أو الأم.
أنا بلقاسم بن محمد، مزاجي، عنيد، صعلوك، عديم الفائدة، لا أهتم لأي شيء، ولا أبالي. كل ما في الأمر أن آمال العائلة تدفعني لأكون ما أنا عليه الآن.
ولو لا العائلة لما كنت بقاف مثلثة أحتل مكانة في قلوبكم أيها الحمقى!

-120-

لم يسبق أن لاحقنا أي شيء مثلما لاحقنا الإفريقي، في الجامعة أيضا اخترتُ أقرب الجامعات لباب الجديد، ووجدتني في الزيتونة. الكثير من الأشياء قلنا عنها المدرسة الأولى: العائلة، الحي، الصفوف الابتدائية، الأصدقاء، الرفاق، الحبيبات... والحقيقة أن المدرسة الأولى ستبقى دوما ثنائية الأحمر والأبيض.
لاحقنا كل شيء: الحمقى، المجانين، الأحلام، الأهداف، الجميلات، العاهرات، البرجوازية، الصحف، الأغاني، الأفلام، السيارات، الشاحنات، السحب، الرياح، المياه...
لاحقنا كل شيء لأوقات محدودة ولاحقنا الإفريقي كامل الوقت، كل الدهر، جيلا وراء جيل!

-121-

من رحم نادية،
وُجدتُ لأتخذ موقفا تجاه كل شيء، لأحتج، ولأقول: "لا شيء يعجبني".
المكالمات، طريقة العيش، القوانين الإدارية، الواجبات، الأعراف، التقاليد، السيناريوهات الجاهزة مسبقا، تسريحة الشعر، أرقام الحافلات، الرتب، النظام، أسماء الطرق والأنّهج، السياسيون، الأساتذة، الخطوات التي علي اتخاذها، الجامعة، قاعات الدرس، الكراسي، الطاولات، المقررات، رسائلكم التي لا تنتهي، أصواتكم البشعة، كذبكم الذي لا حد له، علاقاتكم المضحكة، أنا بقافي المثلثة.
كل هذا لا يعجبني!

-122-

أولئك الذين يتذكروننا برسائل في موسم جني التمور من الأفضل أن تضعوها في أماكن لست مضطرا للتصريح بها. أبي رجل بسيط لا يملك نخلة واحدة ونحن نشتري التمر مثلكم تماما وهكذا حال جلّ العائلات بعد طغيان رأس المال.
من ناحية أخرى لست مضطرا لأُضيّع وقتي في الاستماع لتسجيلاتكم الصوتية التي لا فائدة منها. ولست مستعدا أيضا لأستمع لمشاعركم وتعبيراتكم عن الحب والاشتياق. حسابي ليس

عيادة نفسية تأتونه حينما يشتد مزاجكم وتغادرونهم عندما يكون وضعكم مستقرا وفي أفضل حالاته. تغازلون الغير في لحظات صفائكم وفي وقت الحاجة تهرولون نحونا.

أمي اسمها نادية، امرأة بسيطة لا تعرف كيف يتم إعداد عصيدة الزقوقو ولا تنتظر وصاياكم بالسلام ولا مكالماتكم ولا يعنيها كل هذا، كما أنّني لا أفعل ذلك إلا نادرا.

حسابي ليس محلا للإعجاب والحب، ولا لعروض الصداقة والتراسل، لست أنيقا ولا وسيما ولا مثقفا. لا أقبل الرأي المخالف، أصرف الكثير من المال لأتواجد هنا ولست مستعدا لمزيد من الصرف لأجيبكم بكل حذاقة وأقبل آراءكم.

غير هذا لتذهبوا إلى الجحيم!

-123-

هواتفنا امتلأت وانتفخت ولم تعد تحتمل حتى مجرد نص نكتبه على المسودة، صرنا نكتب مباشرة على الفايسبوك دون تبييض أو مراجعة. النت ضعيفة جدا حد الغثيان، رسائلنا التي كانت تصلكم بسرعة شديدة ولا تهتمون إليها باتت تصلكم بشق الأنفس. الصور تأبى أن تزهر على شاشة الهاتف المكسورة، الفيديوهات متوقفة، ومنشوراتكم لا تظهر في الوقت.

على كل حال، لا أحد في انتظارنا، ندخل هنا ونخرج دون أن يتفطّن لوجودنا أحد. ولم يعد في مقدورنا مجاراة منشوراتكم اليومية ولا النقاط الخضر التي بجانب أسمائكم طوال الوقت.
أعلم أنكم لا تفكرون في مراسلتنا؛ لكن إن وقع ما لم يكن في الحسبان، لا ترسلوا إلينا رسائل تصل متقطعة، لأنّنا لا نحبّ أنصاف الحوارات، بل لا نحب الحوار من الأصل!

-124-

لم أكن يوما من المهتمين بأعياد الميلاد، ولا مهنئا بهكذا ذكرى، ولست أحب استقبال التهاني ولا إقامة الاحتفالات. لطالما كنت كتوما بتاريخه، لكن لأعترف أنّني من مواليد شهر نوفمبر.
أنجبتني امرأة تسمى نادية، قذفني رحمها على كرها مني عريانا كما هو حالي دوما، لُقِّبتُ باسم قديم ولقبتُ نفسي بصاحب القاف المثلثة، أحببت الشهر الذي ولدت فيه واستعظمته.
كان وجودي لحظة فارقة بالنسبة لوسطي العائلي، وخطأ فادحا بالنسبة لي، حملت إرثا لا بأس به ونسبا مصدر فخر واعتزاز، وأنا سعيد بهكذا أمر، لا أنكر هذا.
كنتُ بمثابة الابن العاق لنادية، متمردا عليها، لا أستجيب لأوامرها رغم صرامتها التي لا حد لها، ورغم ذلك لا زلت حُلمها الأول بامتياز.

لا أعلم بعد كل هذه السنوات كيف أعبر لها عن حبي، وأخبرها أنّني جد آسف. طال انتظارها ولحدّ اللحظة أعود لها صفر اليدين دون أي شيء يذكر.

جئت لتونس حالما ومحبا أحمل معي حقائب ممتلئة بأحلامها التي ترسمها في أحاديثها ومخيلاتها.

والآن، سنوات كلمح البصر مرت، قريبا تقذفني تونس وأعود لحضن نادية أسوء مما غادرتُ، ببدن مشوّه بعد أن أضعتُ كل أحلامها على غفلة مني، وبضربات موجعة حدّ الموت!

حتى أنّني أتساءل كلما حل شهر نوفمبر: بأي ملامح سأواجهها؟

-125-

كنتُ وما زلتُ أستقبلكم بملامح وجهي البائس لأعبر لكم عن حقيقة الحياة بدل الكذب عليكم.

خلافا لما تتوهمون، أنا شخص حزين دائما، ليس لدي ما أفخر به، ولا أي شيء يجعل مني شخصا مغرورا كما ترون. لا أملك المال، ولست أنيقا، ولا أحلام لدي. لا أتقن أي لغة وأتكلم عربية متعثرة. يسألني بعض الصحب والرفاق: «ماذا ستفعل بعد انتهاء الدراسة؟»

أجيبهم دوما أنّني أكثر شخص ينتظره مستقبل ضبابي لا نور فيه، لا أعلم ماذا سأفعل ولا أي شيء يمكنني فعله، لا مهنة، ولا مال يمكّنني من البحث العلمي. فنادية حينما قذفتني لهذا العالم لم تفكر في مثل هذه اللحظات، فعلت فعلها وتورطتُ أنا دون أي ذنب اقترفته!

-126-

مرحبا عزيزتي،

آخر خبر بلغني عنك كان منذ سنة مفاده أنك أنجبتِ ولدا.

إن كان الخبر صحيحا فأنا واثق أنه يحمل ملامحك دون أدنى شك. ستكون ابتسامته فريدة كأمه وبخد مكور يغطي كامل المشهد، ستنغلق عيناه لحظتها وتنكشف أسنانه البيضاء والجميلة. بكل ثقة، يمكنني أن أكشف ملامحك الجميلة من خلاله وأتعرف عليه وسط الضجيج الذي يغطي رأسي.

بعد كل هذه السنوات لست مضطرا لأثبت للجميع أنّني وفي لذكراك ولا يجتاحني النسيان تجاهها. أذكر أنّ الخبر كان في غفلة مني ومن ناقله، دون مقدمات تسرّب بين ثنايا الكلام، تظاهرتُ أن الأمر لا يعنيني وأقسم أنه لم يحرك في ساكننا، لكنني حفظته كما حفظت ملامحك وحركاتك بدقّة شديدة. أفكر كيف ستكونين سعيدة وهو يملأ عينيك فرحا وسعادة بعد كل هذا الحزن الذي عايشتُه معكِ؟ أخيرا بلغني عنك خبر جميل سيكون بمثابة الخلاص من كل المحطات السيئة التي تعترض طريقك.

أنا هنا أكتبكِ بعد كل هذه السنوات التي لم أعد أحصيها، أكتب ليس لأنّني أحن إلى ذكراك، بل أكتبُ لأنّني في لحظة صفاء أفكر في الذين ظلمتهم وكانوا ضحايا مزاجي اللعين وكنت أنتِ في مقدمة هذا الجمع الغفير!

-127-

مساء الخير أيها العالم،
قدمت إليكم من مكان بعيد لست مضطرا للبوح به ما دمتم تخلطونه في أذهانكم وألسنتكم. أنتمي لعائلة متواضعة، لا تقول الشعر وليس لها من جني التمور نصيب.
أمّي امرأة تستمد ثقافتها من حكم العجائز والقدامى، وأبي يتسلّح بفراسة لا حد لها. أما أنا فأنّني أجمع بينهما وأكتب بهما نصوصا قد تستعصي على كثير منكم.
نادية أوصتني أن لا أعامل الناس بمزاجي، أن أكون ضحوكا وأحفظ لساني عن البذاءة ما استطعت، ورغم هذا لا أفلح كثيرا أمامكم.
لا أملك التمر، ولا أتقرّب لأحد بالهدايا. أصدقائي يحبونني لفعلي، والجميلات يلاحقنني تارة لجمال لهجتي وتارة أخرى لأن هوايا جنوبي وثقافتي بدوية. أساتذتي أتقرب إليهم بمواقفي الواضحة وبرصيد خال من أي خوف تجاههم. لا أحمل وعودا لأي منكم، أكره الهدايا ولا أحبها، أكره لقاءات التعارف. لحيتي التي أهملها لا تحمل خلفية دينية، ولا تعنيني عقائدكم ولا مللكم التي تنتمون إليها. أكره الفتاة التي تفوقني قامة، أكره التي تبالغ في وضع مواد التجميل، وتضع عدسات لاصقة. أمقت التي ترتدي لباسا أفغانيا وتحملا عقدا دينية تجاهنا.
فقط،

أنا هنا لأقول لكم أن خلافي معكم إلى الأبد!

-128-

مرّ كثير من الوقت دون أي أثر، قديما كنتِ وفية لذكراي، تزورين جداري الفايسبوكي في بعض حين وتتفقدين ما أنشر، لكن هذه المرة لا أثر لك. حان الوقت لأقول أمام العالم أنك لا تستحقين، لا تستحقين كل هذا الحب، كل هذه الرسائل. لا تستحقين كل هذه الأنفاس التي استنشقتها من أجلك، كل الامتدادات التي تمددتها في سبيلك. لملمتُ كل قواي وصرخت في وجه هذا العالم: "أحبك" ومع هذا أنتِ دون ذلك بكثير!

أنا بلقاسم بن محمد، صعلوك، ألاحقك الجميلات، وأجوب أماكن الله بلا تعب، صادق، ولست وفيّا لأحد، ومع ذلك فتاة مثلك لا تستحق أن تستظل بظلي!

-129-

أنتمي إلى مدينة من مدن الله، تحفها أجنحة الرمال وتطوف حولها شمس حارقة. مليئة بالأساطير وبآثار الآلهة القديمة. ورغم هذا نشأت صعلوكا ولا زلتُ.

السرّ هو أنّني جمعتُ كل المتناقضات واستطعت إيجاد خيط يربطها وأخرجتها في نصوصي بشكل رصين.

ما لم يقدر الكثير على استيعابه هو أنّني صعلوك أجيد الكثير من الأشياء، فإذا حدثني شخص عن اللاهوت أجبته، وإن حدثني عن أجساد النساء أجبته وفي كلا الأمرين لذة لا نهاية لها.
الصعلكة طريق إلى الحياة عبر جهنّم، ومنه نحتُ اسمي وثلّثتُ قافي، وكنت بطل نادية.
نادية أمي، أكتبها بلغة أسطورية الآن لتكون أسطورة لأحفادها ولمن هم قادمون!
بإمكانكم أن لا تصدقوا وجودها في الحقيقة الآن، لكن الشعوب التي ستأتي في المستقبل سيكون إيمانهم بها كما لو أنّهم رأوها، لأنّ الصعاليك وحدهم يجيدون لغة الأسطورة!

-130-

الفتاة التي تريد محادثتي لم تأتِ بعد،
تخاف أن يستقبلها لساني البذيء كما أخبروها مسبقا.
ذاكرتي مليئة بالعاهرات كما الجامعة، ونفسي تهذي بلا حد.
الماركسية في تونس ولدتْ من رحم امرأة عاهرة،
رُجِمتْ في نصوص العهد القديم.
أنا وحيد الآن أجلسُ أمام الله،
في هذا البرد القارص
بلا حبيبة أغازلها، بلا حبّ، ونوافذي مكسورة البلور
ظلّي الذي ينعكس على الدار

يُبرز لحيتي كثيفة
وشعر رأسي دون بياض.
أنا هنا،
أفكر في الفتاة التي أريد محادثتها
كيف ستكون ردّة فعلها
عند أول رسالة!

-131-

إفريقيا،
أرض سوداء بدمائها وثرواتها ونسائها
أرض الانقلابات ومعارك الشياطين والسحرة،
لم يبعث الله منها نبي، ولم تنزل فيه شريعة سماوية
إفريقيا،
أرض الوحوش والثعابين، لا تعرف القراءة والكتابة.
لا تحكمها القوانين ولا الدساتير،
ماتت فيها الآلهة وتركتها لعقول الأمم الأخرى تحكمها كيف ما تشاء.
إفريقيا،
أرض اللهو والرقص والجنس،
لا أثر لها في قائمات الإحصاء، لا وزن، لا جاذبية، ولا ثقل يُذكر.
أرض دخلها الأنبياء بالعصي والسيوف، حتما لن تكون إلا مؤخرة العالم في كل شيء حتى في الرياضة!

-132-

آخر شيء أتذكره هو الكتابة،
عادة ما أكون سعيدا بتأجيل كل شيء، أجلتُ المذاكرة والدروس، الحب، المكالمات، المراسلات، اللقاءات والمواعيد. أجلتُ الكتابة والنشر، القراءة، إعداد الواجبات، التفكير في المستقبل، الاستماع للمحاضرات، الإنصات لرجال الدين. أجلتُ كل هذا دون وجود سبب مقنع. نادية لم تفهم قولي، ورفاقي لم يستطيعوا مسايرة حروفي، وأساتذتي لم يفهموا خطي. من هم حولي لا يفرقون بين اسمي ولقبي، رجل الإدارة لا يحفظ وجهي، ورجل الأمن يرفض تحيين بطاقتي بسبب لحيتي.
أنا آسف،
أجلتُ كل شيء على غفلة مني حتى فاجأتني نهايات الأشياء الجميلة. أنتِ وحدكِ التي كنتُ حريصا على تلبية ندائها كي لا تباغتني نهايتُها ومع ذلك كان رحيلكِ أول بغتة تلقيتها لحد هذه اللحظة!

-133-

أنا بلقاسم بن محمد،
اعتدت كتابة النصوص ليس لأنّني من المثقفين، بل لأن القرآن علمني. أبي لا يملك مكتبة وأمي رصيدها من الثقافة إذاعة تنصت إليها كل صباح. لم أكتب يوما قصد اللحاق بالمثقفين، ولا طمعا في

فاتنة اعترضتني في لحظة ما. كتبتُ لأنّه زمن الحمقى، زمن الرداءة وبساطة القول، كتبت لأجعل من حسابي حسابا مزخرفا بالنصوص، كتبت لأن نادية لا تقرأ، كتبت لتصدّق البدينات أنّني شخص معقد ومختلف، كتبتُ لأقول كل ما لا أستطيع قوله صوت وصورة، كتبت أشياء أريد إخفاءها عن الجميع لأنّهم لا يقرؤون.
أنا بلقاسم بن محمد، لم أنسب لنفسي أي صفة غير أنّني صعلوك، ومع ذلك لم تفهموا لحد اللحظة معنى كوني صعلوكا!

-134-

يوم ميلادي تغنّى جدّي فرحا بقدومي "يا سعدكم يا هناكم بلقاسم بن عمر جاكم" ورغم ذلك حياة عاهرة قُذِفتُ إليها. البلد يُباع علنا والخمر خلسة، ونحن لحدّ اللحظة نتوهم أننا نشكّل حلقة من حلقات الفكر الوحدوي الاشتراكي والحق أننا لا نساوي مكيالا من تاريخ هذه المدرسة.
زمن الأنبياء انتهى، والفقهاء يستحضرون أمواتا بحثا عن حلول للمأزق. زمن المأبونين والشواذ على سواحل ثلاث آلاف سنة حضارة، حيث القطاع العمومي منتهي الصلوحية، وتماثيل البلاد تدير مؤخراتها للأمم الأخرى.
خارج الإحداثيات وُجدت، كبرتُ، تعلمتُ، عشتُ، لعبتُ، نمتُ، أكلتُ، ضحكتُ، هرولتُ، قفزتُ، بكيتُ، وكل هذا بلا موت.
كل هذا، ولا أعلم أي سعادة وهناء قذفتني إليهما نادية؟

-135-

أنا بلقاسم بن محمد، أهلي أرباب شعر وأدب ومع ذلك لستُ كاتبا. قذفتني الأقدار في إحدى الجامعات حيث زمن الحمقى والمأبونين والشواذ. خذلني الحب، وحلم راودني منذ كنت في المرحلة الثانوية.
علمني أبي معادن الناس وأنسابهم وطبائعهم ومع ذلك أحببتُ فتيات كثر لا دين لهنّ غير المكر والغدر، رصيدهن من الثقافة لا يتعدّى صالونات التجميل.
آخر همومي أن أستجيب لواجبات الدراسة وإملاءات الأساتذة. أصحاب المال وحدهم يغرّدون في ساحات البحث العلمي، والفقراء أمثالي تتلاعب بهم الجامعة والعاصمة بحثا عن قهوة يتشاركونها من حين لآخر.
الحمقى صاروا فقهاء ورجال دين، الأغبياء يُسطّرون مصير المئات والآلاف من الطلبة، والمأبونين باتوا أهل سيادة يمتلكون مدراج الكليات وساحاتها.
همّي الوحيد هو الانتقام من كل هؤلاء، قطعت مئات الكيلومترات لأمارس الحقد الطبقي، ولأكون عقبة في وجه كل واحد منهم. جئت من بعيد لأقذف محاضراتكم، لأتبول على ربطات العنق التي تتفاخرون بها علينا، ولأمزق كتبكم المسروقة والمزورة.
أنا هنا بينكم الآن جئتكم من مكان لا تعرفونه حتى في رؤاكم!

-136-

مساء الخير،

حقيقة لم أتجاوز الصفر لحدّ هذه اللحظة، ورغم هذا لا أسقط عنه.
أحبُّ أن أكون محايدا في كل شيء، لا أتدخّل في اختياراتكم ومسائلكم الشخصية، ولا تهمني أذواقكم التي اخترتموها. لا أتطفّل بحثا عن مستجداتكم وأفكر كثيرا قبل مراسلتكم.
أما عن التخلص منكم فلا أحتاج إلى تفكير ورصانة في الأمر، أفعل ذلك مباشرة وأتلذذه بلا حد.
أنا بلقاسم بن محمد، صفر في كل شيء ومحايد، لا أحشر أنفي لأعبّر عن رأيي في القضايا العامة، لا أشارك في الحوارات والملتقيات، ولا أشارك النّاس أحاديثهم في الحافلات والميتروات وفي استراحة القهوة.
لا يهمني ما الذي كُتب، وماذا يكتبُ وماذا يقال، أنا شخص بسيط جدّا، كل ما يهمني هو ملاحقة فتاة جميلة لأقول لها في آخر كل نصّ أنت جميلة وجسدك فاتن!

-137-

الحقيقة،

هي أنّني فقير لا أملك المال الكافي للحب،
لا يمكنني مجاراة مراسم الحبّ وأعرافه في هذا الزمن، لا يمكنني أن أواعد فتاة تتزين وتلبس بمئات الدنانير في الشهر ثم آخذها لمقهى لا

يتجاوز ثمن قهوته الألفين مليم. لا يمكنني أن أواعد فتاة جميلة وأوفر لها الهدايا في عيد الحب وعيد الميلاد والأعياد الدينية ناهيك عن هدايا الأيام العادية. لا يمكنني أن أواعد فتاة وأنا لا أملك ثمن مشروبها عند نهاية كل أسبوع.

أنا بلقاسم بن محمد، بمزاجي المتقلّب وبطبيعتي السيئة وبفقري الدائم لست قادرا على مجاراتكم في الحبّ أيها الناس، ولا على مجاراتكم في أيّ احتفال كان، لذلك أنا آسف.

أنا يا أمي أحبّ الجميلات وألاحقهنّ باستمرار ولا راية لي غير الصعلكة ولكن لا يمكنني مواعدة أيّ منهن لأنّني لا أملك مادة حيوية للحبّ تسمى مالا!

-138-

قدمنا للجامعة زمن التفاهة والسذاجة، زمن المأبونين والفراريزم، حيث الساحات خالية والمدارج مفرغة من مضامينها.

جئنا ولم نجد أجيالا تسبقنا نستمد منها ثقافة ومعرفة، لم نجد اجتماعات عامة تصنع منا طلبة حقيقيين، فقط وجدنا بضع آثار ورماد خلفتها نيران لم نكن شاهدين عليها للأسف.

ورغم هذا، قدمتُ للجامعة من مكان بعيد، ونهلت من مدرسة عظيمة تعتز بعروبتها وإسلامها. تتلمذتُ على يد رجل عظيم اسمه لطفي بوعلي، مهّد لي طريقا وعرة وعلمني أين أضع قدمي في أي ساحة كنتُ، نجحت في كثير من المراحل وسعيد بنفسي.

جئتكم لأقول لكم أنّني لم أدرك لحدّ اللحظة معنى النضال رغم أنّني حاولت التماسه في كل خطوة خطوتها، ومع ذلك أدرك جيدا أنّنا قدمنا للجامعة في وقت باتت فيه الحياة الطلابية لينة وبسيطة لا تعترضها غير عوارض الفراريزم والسراويل الممزّقة!

-139-

كثيرا ما أتساءل ماذا يفعل أولئك الذين لا يستطيعون نظم كلمات لحظة استياء؟ أقلّهم فشلا يورد اقتباسا من هنا أو هناك! أتساءل كلما وجدتُني مضطرا للكتابة ومكرها على معانقة لوحة المفاتيح.

لا أذكر أنّني كتبتُ يوما من باب الترف، أو واجبا أدبيا، أوزينة أستعرضها أمامكم.

أنا في كل مرّة أضطر لأكتب بدلا عن المزاجيين الذين لملموا كلماتهم تحت غطائهم، مكره لأقول: رأسي ثقيل لدرجة لا يمكن احتمالها.

أكتبُ لأنّني لست مضطرا لأشارككم ما أشعر به على الخاص، يصيبني الغثيان وأنا أتخيل نفسي أحدث بعضكم عن ما بداخلي على قنواته الخاصة.

أنا حقا هنا لأنّني ابتليتُ بالكتابة، ومثقل بعدد من الحروف لا أقدر على حملها يا الله!

-140-

مساء الخير،

أنا بلقاسم بن محمد، لا شيء عندي يضاهي انتمائي لقبيلة تسكن باب الصحراء تلّقب بالمرازيق. لا أحد يمكنه تخيّل السعادة والعزّة التي تغمرني كلّما استحضرتُ ذلك.

مقدمة ليس عليك أن تدركها أو تتوقف عندها كثيرا، وحدهم العارفون يؤمنون بذلك جيّدا.

الكثير من الحبال التي ظننتها لن تبيد أدركتُ فجأة أنها بادت ولا وقت لإصلاح الأمر. فالصحب والرفاق مضوا قدما دون عودة.

أنا أيضا تركتُ الكثير من الأماكن فجأة ودون سابق إنذار وبلا أي أثر. أغلقت الكثير من الأبواب عمدا في بعض حين ودون قصد حينا آخر.

لا أُشبِّهُ الوطن بالأنثى، قوامه ليست كقوامها وتضاريسه لا تتحمل انحناءات خصرها. فكفانا ترميزا. أعرف أفلاطون ولا أعرف مدينته الفاضلة، أعرف أوغسطينوس ولا أعرف مدينة الله، لا أعرف أسماءكم ولكنني أعرف جيّدا من أين تستمدون أفكاركم.

كأيّها الناس، حُبِّبَ إلي الكثير من الشهوات في مقدمتها النساء، عرفت الكثير منهنّ بقدر لا يمكن لذاكرتي أن تحفظه، ومع ذلك لا يمكن لأيّ منهن أن تلعب دورا رئيسا في حياتي خلافا لنادية.

بكل بساطة، لا رصيد عندي لأقوله إجابة عن سؤال من أنت؟ غير:
أنا بلقاسم بن محمد!

-141-

«بلقاسم وقتاش راجع؟»
بالنسبة لي،
تونس، وطن بطعم المرارة، أرضها لا ترتفع عن سطح البحر تقريبا ومع ذلك تشعر بضيق شديد وأنت تجوب عاصمتها، وقد ينعدم الأكسجين في بعض أماكنها فيباغتك الموت فجأة.
أنا ابن الجنوب، حيث الجنوب -لمن لا يعرفه- أرض قاحلة تتراكم عليها الرمال بسبب الرياح التي تثور بلا فائدة في زمن الطاقات المتجددة. قيل أثمن الأشياء عند البدوي الأرض، الأرض التي تلازمني فيها مشاعر الغربة والارتهان، تلك التي تسبح فوق بحيرات من النفط والغاز والماء العذب؛ لكنها ملك للغير.
العاصمة، يضيق صدري كلّما جذبتني إليها ضرورة. طرقها مسدودة ولا متسع فيها لصعلوك مثلي. لستُ شجاعا لأجوب شوارعها وحيدا، أخاف كل تفاصيلها ولا أطمئنُّ حتى لرايات السلام إذا ما ارتفعت. ظلّي هو الآخر يرعبني، يلازمني وأستعد لخذلانه بعدد دقات قلبي. يصيبني الغثيان كلّما ارتسمت لي نفس المشاهد، العاصمة ورجال الشرطة في كل مكان:
- بطاقة تعريف! شتعمل هني؟

- نقرا
- فاش تقرى؟
- شريعة، جامعة الزيتونة
- أه؟ تابع الجماعة معناها؟ حل الساك، وين تقرا؟ ووو

أكون محظوظا لو تطلّب الأمر ربع ساعة أو أكثر بقليل من وقتي وأكون أكثر حظا لو تطلّب الأمر بعض دقائق، وأسعد الناس لو لم ينتبه لأمري أحد منهم.

لا شيء أحمله في حقيبتي غير بضع أوراق علقت من محاضرات قديمة، ولا شيء أخبّئه في قلبي غير إيماني بمجد رجل عربي في الأفق. لست مجرما، ولا أحمل أي فكر يسبب ضررا لحيوان فماذا لوكان إنسانا!

- تفضل هاي بطاقتك!

تتثاقل خطواتي، تخنقني العبرة، وتزاحم رأسي أسئلة لا حصر لها، ماذا لو لم أختر هذا الطريق؟ كان من الأفضل أن لا أسير لوحدي؟ كنت غبيّا حين صارحته باختصاصي؟ في المرة القادمة سأخادع، سأجيب بأنّني أدرس المسرح؟ أو الموسيقى أو ربما أختار اختصاص لا يثير الشك! المهم أن أتخلّص من هكذا مواقف، المهم أن لا أُعامل باحتقار! ربما غلبني الوهم وباتت مرحلة البحث وعصارة خمس سنوات من العاصمة بعد البكالوريا جريمة يحاسب عليها المرء! ربما صار من حق مدارس الإعدادية ومعاهد الثانوية أن تحاسب الدارسات العليا

بالجامعة؟ ليس غريبا فالمعايير تنقلب فجأة وبسرعة جنونية في هكذا زمن.

حاولتُ سريعا اخفاء بطاقتي، والاعتدال في مشيتي. وعدت لكل الرسائل التي يسأل أصحابها: «وقتاش راجع لتونس» لأجيبهم بعدما علمتُ موعد العودة.

-142-

بلغة النادي الإفريقي!

الديانات تفرض على من يريد اعتناقها بعض الطقوس أو الكلمات، الإسلام يفرض عليك نطق الشهادة والتطهّر، المسيحية تفرض عليك طقس المعمودية، أم اليهودية فلا نصيب لك منها ما لم تكن سليل أب وأم يهوديين. مناصب الساسة أيضا تفرض عليك أن تقسم ببعض الكلمات قسما شكليا.

أما الإفريقي، فكالسماء شاسعة، لا تفرض على عشاقها أي شيء، لستَ مضطرا لأيّ طقس ولا لأيّ قسم، ستجد نفسكَ محلّقا في رحابه، ومشدودا إلى جذورها ومختصرا كل قيم الجمال في ثنائية الأحمر والأبيض.

الإفريقي عقيدة لا تفرض على معتنقيها أي طقوس لدخولها، وفكر لا يلزمك أي قسم لتعلن انطلاق عشقك وانتسابك لها.

الإفريقي ارتمينا في أحضانها دون شروط أو قيود، آمنا بها دون أن يقنعنا أحد ودون أن ننظر لألقابها وانتصاراتها، هكذا قذفها الله في قلوبنا.

لها كل حروفي، أنفاسي، نصوصي، نجاحاتي، انتصاراتي ولحظات صفائي. كل هذا ولا أحد منّا يمكنه أن يُعبّر عن حقيقة انتمائه لشيء عظيم في هذا الوجود عنوانه النادي الإفريقي!

-143-

على غير العادة،

يمكنني القول أنّني مللتُ كل ما يعترضني، الأشخاص، الوجوه، الأحداث، الاحتفالات، الأوراق، الصحف، الكلمات ...

لم أكن سليل الكتّاب والشعراء، ولستُ نتاج الكتب والأدب والقصص الرومنسية. لا أحفظ حكايات الأسلاف ولا أنتمي إلا لنفسي. قبيح المنظر واللسان، وعدو لكل الحمقى والعقلاء.

لا أطمئن للنساء، وأحفظ كل الكلمات التي تُقال بين السطور. كثير الوقاحة ولا أخاف الجميلات لأنّني ابن امرأة جميلة تُدعى نادية.

واقعيّ ولا أملك للحبّ دروسا، كل ما أعرفه هو معاداة هذه الكلمة وما يتفرّع عنها من معاجم.

عمّي يوصيني أن أحافظ على اتزاني في رسالة الماجستير، ونادية توصيني بالقراءة والكفّ عن الصعلكة،

وأنا هنا في تونس أنفق المال والوقت والجهد وأستيقظ كل صباح لألعن الأقدار التي جمعتني بكم أيها الحمقى في هذا العالم المأبون!

-144-

تخلصتُ من عشرات الجميلات لمجرّد أنهنّ تركن رسالتي مهملة على المسنجر، الفتاة التي خذلتني في الحبّ لن أترك لحظة واحدة من عمرها دون أن تدفع الثمن، وآخر ما يعنيني هو الانصات لفتاة تنفخ هموما وخصوماتها مع فتاة أخرى مثلها.
الفتيات كثيرات السخرية من بعضهن البعض، الله يسخر من وطن للبيع، والشيطان رمزية لكل المخططات التي تدور بداخلك من أجل اغتيال ما تبقى فيك من الفطرة.
تمثيلية الطلبة نقابيا خطة لِلَيِّ عنقك في يد كثير من الحمقى والمغفلين، والجامعة مكان مجبر فيه للتعامل مع الأغبياء.
جيل الألفينات من الإناث رصيدهن من الهموم حمّالة صدر وعدد المتابعين على مواقع التواصل الاجتماعي، الذكور رأس مالهم حيّهم الشعبي ومغني الراب خاصتهم. وكلاهما يملكان من القباحة وسوء الخلق ما يكفي للقضاء على ما تبقى من جسد هذا الوطن المنهك.
هكذا فُتات يستحق أن تُكتب قوانينه في الغرف المظلمة دون استشارته، وأن يظلّ تحت الحديد والنار.

هذا الجيل سعيد جدا طالما الملابس الداخلية متوفرة في الأسواق ومواد التجميل في كل مكان، هذا الجيل سعيد جدا ونحن الذين قدمنا من الماضي وتجرأنا لنكتب مستقبلكم.

نحن آسفون!

-145-

مساء الخير،

أنا بلقاسم بن محمد، كحزين كأيام الله، وكالأرض التي لا تعرف طعم المياه. كحزين بسبب كل البسطاء الذين غادرونا. حزين لأنّني أكتب.

أثقل الأشياء رأسي، وأشد أعدائي مزاجي الذي حرمني لذة النجاحات.

وفيّ لامرأة واحدة. وأكتب بصيغة واحدة أيضا. الكتابة فعل فاحش يترجم كل الفحش الذي بداخلي، والصور التي أحاول ترجمتها منتهية الصلوحية كالوطن والنظام.

أنا أيضا منتهي الصلوحية، الأفكار تطاردني كالكلاب السائبة ومستقبلي أرسمه بقلم أبيض على ورقة بيضاء حتى لا يتسنّى لأحد اتهامي.

ونادية تعايرني بالورقة البيضاء لأنّها راية الاستسلام!

-146-

مساء الخير أيها العالم،

اسمي بلقاسم، صاحب القاف المثلثة، أحبّ البدينات، المثيرات منهن، ونادية حبيبتي الأولى والأخيرة. خارج سياق الأمومة لا أعرف معنى الوفاء، ولست حارسا على أي قيم تُذكر.

أحبّ أن أكون صعلوكا، وسعيد بذلك حقا، لا يهمني ماذا سأخسر ولا يعنيني ما سيقال خلفي. كل ما في الأمر أنّني سعيد بصعلكتي ويغمرني منها قسط كبير من السعادة.

قد يتوهم البعض أنّني ألاحق الجميلات لقلّة نصيبي من الإناث ولست هنا لأعرض بطولاتي ولا لأتحدث عن قائمة الجميلات اللاتي عرفتهن وما زلت. تلذذتُ بهنّ حدّ الزهد ورغم كل هذا ما زلت أحب الأنثى وأفتخر بذلك دون خجل من الله والدين والقانون والعرف.

حسابي هذا لا يمثل أيّ فكر ولا يحمل أي إيديولوجيا، لا يمثل خلفيتي الأكاديمية ولا أصلي القبلي، هذا الحساب يمثلني أنا فقط بقافي المثلثة ومجردا من كل صفة، أكتب ما تمليه علي لحظات صفائي.

آسف أيها الحمقى فلولا الثرثرة لما تعلمنا الكتابة، وكل من يكتب هو في الحقيقة ثرثار اعتاد الثرثرة ولا يستطيع أن يكتم ما في داخله، لأنّ الذي يكتم ما بداخله سيتبلد ذهنه مع الوقت ويكون من الموتى. فالقلم وحده هو دليل على الحياة.

-147-

مساء الخير،

هذا النص ليس لي، سرقته من شخص لا أعرفه على حين غفلة منه. أنا أيضا لصّ مثل بقية لصوص هذا الوطن. كل ما يحاك هنا هو محض صدفة وخيال، لا صلة له بالواقع ولست مسؤولا عن أفلامكم المصطنعة.

أنا بلقاسم بن محمد، أقف وراء هذه الشاشة أصطاد الجميلات على حين غفلة منهن، وأكتب لكل واحدة منهن كلمات لا تشبه الأخرى، الدور الوحيد الذي أتقنه كتابةً. شباكي شاسعة كعقلي وقلبي يزداد ضيقا كالوطن والانتماء.

أحب الله وليست لي معه مشكلة، حتى نادية ليست لي معها أي مشكلة، فقط مشكلتي مع أولئك المتطفلين بأسئلتهم وحماقاتهم يفسدون لذة وقوفي وراء هذه الشاشة!

-148-

مساء الخير أيها العالم،

بلغة واحدة لا أملك غيرها، وعبر نافذة واحدة لا أملك غيرها.

لست مضطرا لأبرر للعالم مصطلحاتي القذرة وتقلبات مزاجي غير المفسّرة. أنا سعيد لأنّني تخلصت من الكثيرين وما زلت، كذلك لست مضطرا لأجيبكم عن أسئلتكم التي لا فائدة منها!

تونس هذه بلدة مُعطّبة، وأنا لا رأي عندي لأقول نعم أولا! ولا يهمّني إن حكم رئيس مدى الحياة أو حاول تطبيق مقاصد الإسلام من عدمه. لا يعنيني إن كانت تونس دولة مدنية أو دينية ولا يهمني

دستور 2014 أو دستور 22. أنا لا يعنيني من سيحكم؟ ولماذا سيحكم؟ وكيف سيحكم؟ كل هذا لا يعنيني.

كل ما يعنيني هو أن أتخلّص مما أنا فيه الآن وأن أنجو كما الأنبياء!

-149-

يا إلهي،

لتدع الحظ يزورني مرة وقد قلتُ قديما زارني. ولتجتثني مما أنا فيه، وليحلّ سلامك في طريقي.

يا إلهي، لتنظر إلي ولتقرأني فأنا مجرد كلمات مبعثرة على جدار فايسبوكيّ مهجور. لم أقرأ كتبك المقدسة وفعلت ما تطلبه مني عن حب ومع ذلك لم ألتفت يوما لنافذة إلا ووجدتها مغلقة أمامي. وما طرقت بابا إلا وكان أسوأ مما قبله.

إلهي، أنفقت الكثير من المال، تحدثت كثيرا، وركضت بلا تعب وكأنّني أرعى وطنا يكبر بداخلي، ومع ذلك ما زلت حدّ هذه اللحظة أرضا صفراء قاحلة.

إلهي، لينل اسمي حظه من تمتمات العجائز وصلوات القديسين، فقد أنفقتُ جل عملي في هجران الأحبة والتلفظ بأسوأ العبارات في وجوه الجميلات. ليذكرني المسيح إن كان مستيقظا الآن، ولتلحقني شفاعة نبي العرب إن كان سيشفع، فأنا مواطن عربيّ لم يشفع لي وطني في أشد لحظات حاجتي له.

-150-

قضيتُ خمس سنوات في تونس

حفظت اتجاهاتها وأحياءها وجلّ خباياها

تجولت في أزقتها ولاحقت العشرات من جميلاتها

خضت الكثير من التجارب

وزرت مقاهيها المشهورة

ركبت حافلاتها وعربات الميترو خلسة

وبعد أشواط طويلة

عدتُ لدوز ولم يتغير أي شيء،

كل شيء كما تركته

نادية ما تزال تستيقظ كل صباح لتقوم بنفس المهام

وأبي للعمل

والفلاحون في مدينتي إلى واحاتهم المريضة

التمور بأبخس الأثمان

والأراضي بملوحتها الشديدة يقتلها العطش

والغيوم التي لا تتوقف عندنا تحمل أحلامنا إلى الأبد

ورغم كل هذا

نفس الإله الذي يعبد لم يتغير هو الآخر

-151-

تغيّبتُ عن تونس بضع أشهر،

ومع ذلك أشعر أنّ الكثير من الخطوات التي خطوتها طيلة خمس سنوات قد اختفت فجأة وبشكل مفزع.

من حين لآخر أشعر أنّني لوعدت إلى هناك سأعود ذلك الطفل البدوي الذي يتحسس معالم المدينة لأول مرة! وربما سأعيد بناء الكثير من العلاقات من جديد كما فعلت أول مرة أيضا.

سأحمل معي بذاءة لساني وحروفي المسمومة وصوتي الجهوري الذي لا يحترم أحدا، سأكون كما لوكنت دوما صريحا حدّ الوقاحة وكلما أتيحت أمامي فرصة لطعن أولئك الذين طعنتهم، سأعيد الكرّة بشكل أكثر دقة واتقان ولن أكون حليما، لأن الحلم انتهى بانتهاء زمن الأنبياء!

-152-

ديسمبر،

عرس مدينة إلهية تحرس بوابة الصحراء الكبرى، من عيد الجمل إلى مهرجان الصحراء بملاحمه الدولية. ديسمبر شهر جني الفلاحين ثمارهم، ولحظة الاستراحة والتلذذ بشمس الجنوب الدافئة.

ديسمبر، الليالي التي لا تنام فيها دوز ولا تهدأ ضجيج محركاتها، بفوضى المحطة وساحة السوق إلى الطريق السياحية التي لا يخلو متر منها من الدرجات والسيارات.
ديسمبر زمن الازدحام، رائحة المطبقة، وأصوات بوقنة والقصبة في كل مكان، وجحافل الحافلات وعشرات الآلاف من أقدام السُّياح.
ديسمبر، موعد حجّ الشعراء، ومنبر العكاظية المُزركش بآثار أقدام أقطاب القوم من مختلف أنحاء الوطن الكبير. ديسمبر كسوة دوز وزينتها.
دوز، مدينة نسي الإنسان ذكرها فخلّدها الله وتغنى بتمرها وإبلها وصحرائها في كتبه المقدّسة.
فتجسّدت كلمته الخالدة لتكون شهر ديسمبر العظيم.

-153-

أنا بلقاسم بن محمد، سيرتي الذاتية أنشرها في ثنايا نصوصي.
نصوصي التي أستمدها من بضع آيات حفظتها خلسة عن الجميع.
الجميع يقولو ن أنّني شخص مغرور لا يكفّ عن إيذاء الناس بلسانه البذي،
البذاءة حِرفة دفعتُ ثمنها منذ الصغر على يد نادية.
نادية بطلة كلماتي وحبيبتي التي لا تطيق أي جميلة من الجميلات اللاتي أُلاحقهنّ.
أُلاحق سراب لا أظنه يكون حقيقة يوما ما.

يوما ما ستنتهي نصوصي وأنفث دخان الحرائق التي بداخلي.
بداخلي وجع لا ينتهي وكوابيس لا تفارق مخيّلتي.
مخيّلتي التي تكتظ عندها جميع الصور.
الصور لحظات من الذاكرة أتمنى لو تُمحى لبرهة واحدة.
واحدة هي لحظة الحبّ!

-154-

للتاريخ يا ميسي،
كبرنا معك، بقميص برشلونة وبرقم 30 وبشعرك الطويل وقامتك القصيرة، من هناك بدأت الحكاية، وانطلقت كتابتك للتاريخ وانطلقت حكاية مجنونة شهدناها كل أسبوع ومع كل مباراة ومع كل لحظة تلامس فيه قدمك اليسرى الكرة.
خضنا معك كلّ الحكايات والتفاصيل السعيدة، خضنا معك كل الأهداف والأرقام التي تكسر واحدة تلو الأخرى. لطالما أمتعتنا قدمك وموهبتك، أسعدتنا كما لم تسعدنا أقرب الأشياء إلينا. شهدنا كل اللحظات التي رافقك فيها ماردونا، وخضنا من أجلك معارك لا تنتهي، وتكلمنا آلاف الآلاف من الكلمات في وجه من وضعك في ميزان المقارنة، صرخنا مع كل هدف، وفي وجه من كرهك، أحببنا من أحبك وكرهنا من كرهك.
تألمنا معك في كل هزيمة، ومع كل انتكاسة، وشهدنا كل اللحظات التي تنبعث فيها روحك من جديد. في كل لقب كنّا معك، ورفعناه معك

بقلوبنا وأرواحنا التي تحلّق في سمائك. لاحقناك تحت أي سماء كنت وعلى أي أرض حللت، وتجاوزنا حقد الحاقدين وشماتة أعدائك لأننا نؤمن بأن لحظاتك قادمة. في كل مرة يزداد إيماننا ونصبر حتى تحين لحظة تحليقك بلقب آخر.

أخيرا طلب الأرجنتينيون الذهب ليعترفوا بك خالدا إلى جانب ماردونا، تحدتك الصحافة، وتحداك المحللون واللاعبون وتحداك كل العالم أن تأتي بالذهب كما فعل ماردونا!

الآن، رافقك القديس الأكبر للأرجنتينيين ولكل كرة القدم، رافقك ماردونا، ورافقناك نحن بقلوبنا ودعائنا، في أشد لحظاتنا توجه كل منا إلى إلهه الذي يعبده، لأنّها اللحظة التاريخية التي ستنصفك فيها كرة القدم.

أنصفك القدر الإلهي، وحفك ماردونا بروحه، وحلقنا معك بأرواحنا وها أنت ذا تقبّلها حقيقة، تقبّلها وهي ملكك، تقبّلها وأنت ملك اللعبة، تقبّلها ونحن نشهد كمالا كرويا لن يتكرر يا ليو!

كل الأشياء خذلتنا؛ إلا أنت يا ليو كنتُ فرحة مع كل لحظة احتجنا فيها للفرح!

-155-

أنا بلقاسم بن محمد، صاحب القاف المثلثة وأحد صعاليك الزيتونة، حسن يلقّبني بجيفارا الزيتونة، وأنا أبحث عن حلّ للتخلّص من أي شيء له علاقة بالزيتون.

ولدتُ في أرض النّخيل، ومن بلدة تخطئ نشرات الأخبار في تحديد موقعها، وتتجنبُ المثقفين والشعراء خلسة فلا داع لذكرها.
حيواني المفضل هو الجمل، وأجمل المشاهد الخالدة في مهرجان الصحراء هو فرق المهاري التابعة للجيش الوطني، وغير هذا لا أعلم.
الكثيرون ممن يتابعون حسابي يظنونني شاعرا لمجرد انتمائي لأرض الشعر والشعراء، وآخرون يظنّونني مثقفا لبعض النصوص التي كتبتها، وآخرون يظنون أنّني أفهم في الإسلاميات لمجرد لعنة الزيتونة التي تلاحقني.
أنا لست زيتونيا يا سادة، أنا من أرض النخيل، ولا صنعة عندي غير التخلّص من هذه الشبهة!

-156-

خبر عاجل لا يعني الحكومة وحقول السنابل الذهبية.
اليوم في بلدتي سقط جدار ومات عامل لا ينتمي لنقابات العمال ولم يصفق لخطابات ماركس لأنّه لا يجيد لغة رأس المال.
سقط الجدار، لأن سماءنا دون أعمدة، وأرضنا على الماء مكشوفة لسيوف الملوك.
مات عامل على هامش الحياة، كان يصفق للريح التي تعينه على قوت أهله، ويصارع أحلاما لم تولد بعد.

أصحاب ربطات العنق، ومسؤولي النقابات لا يعرفون السارق الحقيقي، ولا ينتمون للصراعات الحقيقية. تستقبلهم السلطة ويجلسون قبالة بطنها المنتفخة وصرتها البارزة من القميص.
في بلدتي لا نلوم الحكومة رغم أنّها تسرقنا، ولا نشكك فيها، ولا نهتم لمن سيضمن لنا حياتنا، نوكلها للأقدار ونضيف بطولة جديدة لرصيدنا، وتنتهي حكاياتنا فجأة!

-157-

أما عنّي،
فلا شيء أنجزته ولا شيء أنتظر إنجازه. كل ما في الأمر أنّني أحببتُ القضايا الخاسرة لغباء مني. كما المعتاد أستيقظ وأنام دون هدف، وصوت حاسوبي بدا يزعجني، وقلمي الذي لم يولد بعد تجمّد من الفراغ،
الجيّد في الأمر أنّني استطعت التقاط صور رفقة الغليون، ومع ذلك لازلت أكره السادات.
نادية أمي ولست مضطرا للتذكير بذلك آخر كل سنة، وأبي فلاح عاد من واحته مبّكرا، أغلق طاحونته ودكانه الصغير، ثم باع واحة نخيله للأشباح، واعتزل كل شيء من أجلنا.
نادية لم تتغيّر، لم يعد تشغلها نصوصي ولا رسائل السلام التي تأتيها من جمهورها وانشغلت بتوفير الحليب والسكر. تراجع سقف مطالبها،

لم تعد تأمل في الحكومة أن توظّف ابنها، تتابع الأخبار لعلّها تظفر بكمية جديدة من الأساسيات تؤثث بها مطبخها الصغير.
أما عنّي فأنّني أنفث دخان غليوني عند الشروق، والظهيرة، وعند الغروب، ولا شيء بوسعي أن أفعله غير الاحتراق!

-158-

قلمي وحسابي هذا أشهر من شخصي في الواقع، باتت عائلتي الموسعة تسمع عني وتقرأ نصوصي قبل أن تلتقيني. بالأمس قبّلت خالتي يامنة -خالة نادية- وأخبروها أنّني بلقاسم ابن نادية، فأجابت مباشرة أنّها تعرفني من خلال نصوصي وحائطي الفايسبوكي وأشادت به وعبرت عن افتخارها بي وأخجلتني كلماتها وأنا لجانبها وكأنّني ابن عشر سنوات.
كتبت بالمجان لجمهور فقير لا يملك المال، كتبت وأنا لا أهتم للنحو والإعراب، كتبت بفطرتي، كتبت مكرها لأنّ شخصا برأسي لا يكفّ عن الثرثرة والسؤال، كتبت حتى امتلأت الأوراق، ونفذت مساحة المفكرة بالهاتف.
أضعتُ وقتي لأنّني لا أملك أيّ شيء لأفعله غير الكتابة، كثير من النصوص لم تجلب لي غير المتاعب، وأخرى لحقتني منها سخرية المثقفين والجهلة على جدران المقاهي، وأخرى وضعتي وسط مشاكل الجميلات والفاتنات.

عرفت كل أنواع النصوص؛ إلا تلك التي قد تفتح بابا لفرص العمر، لم أعرف شكلها حد هذه اللحظة!

-159-

أنا آسف،

لستُ ابن الله، ولا أنتمي لشعب مختار حتى أنهال عليكم بالمواعظ والحكم الحسنة.

أنا ابن بلدة منسية، طرقها وعرة، والأحلام فيها لا تتحقق. ولدتُ بلسان بذيء لأتطاول على كل من يقف أمامي، وبوجه قبيح لا يمكن لأحد أن يطمئن لملامحه.

لا أنتمي للبرجوازية، وحبيباتي لمّا اكتشفن ذلك غادرنني وتزوجن.

لستُ محبوبا، فلا مال عندي لأكون كذلك، واسمي حبيس بطاقة التعريف.

أمثالي لا تُعلَّقُ صورهم على الجدران، ولا توضع على المكتبات، ولا تُصدّر في صحف الجرائد المنسية.

اسمي لا تحتمله المجلات ولا أغلفة الكتب، لا تذكره الألسن ولا تحصره الكلمات.

فقط حسابي هذا هو الوحيد الذي يحمل اسمي وصورتي الشخصية ورغم هذا لا يزال صامدا أعبر لكم من خلاله عن مواقفي التي لا تعنيكم أيها الحمقى!

-160-

أنا لا أكتب عن الثورات لأنّني لا أعرفها ولم أمشي يوما في مسيرة مع الجماهير، كنت دائما أصفق للمستبدين وأتلذذ بمشاهد المتعطشين للدماء وهم ينقضون على أجساد المستضعفين.

اعتدتُ أن أكتب في ذكرى الانقلابات برقيات تهنئة لظلال الله في الأرض لأنّهم يسمحون لنا بمشاكسة الفاتنات على هذه المواقع ويعدوننا بأجمل منهنّ في الجنّة.

فأنا عبد ضعيف كما الأنبياء حُببت إلي النساء ولا طاعة عندي إلا لمن سيمكننا من جمالهنّ.

-161-

لم يعلمني السهر غير الكتابة، والفتيات اللاتي ارتطمت بهنّ لم يؤكدن لي غير خيار الوحدة الصائب، والعاصمة لم ترسّخ في غير حبّ الديار وأهلها، والمكتبات لم تغرس في غير كره الكتب والقراءة، والأوبئة لم تدفعني إلى شيء غير كره البروتوكولات، والديمقراطية لم تثر فيَ غير الحنين للمستبدين، والمجتمع المدني لم يقنعنِ إلا بفكرة التبوّل على العملاء، والبحث العلمي لم يضف إلي شيئا غير الفائدة من التواجد بعيدا عن الجامعة، وأداة الجزم "لم" لم تعلمنِ غير العبث بحروف العلة.

-162-

كتبتُ نصوصي دون مخيلة، كتلك التي يمتلكها الأدباء والشعراء والفلاسفة والمثقفون عموما. كتبت دون بسملة لأنّني لا أكتب نصوصا مقدسة، ودون مقدمات لأني لا أجيدها، ودون خلفيات لأني لا أطالع، ودون حسابات لأنّني لا أمتهن الثقافة كـ "قامات" بلدتي، ودون تصحيح لأنّني أؤمن بنقصاني وأخطائي، ودون تدليس لأنّني عريان.

كتبتُ بحثا عن الشهرة والتفاعلات، كتبتُ بحثا عن الإعجابات والمشاركات، كتبتُ بحثا عن الجميلات والفاتنات، كتبتُ لأهرب من قبضة نادية. كتبت لأجمع كل هذا وأغسل به عاري!

-163-

أحببتُ زعماء اليسار كثيرا لأنّهم بُسطاء، وانتصرت لمارادونا لأنّه يساري، وأحببتُ أمريكا اللاتينية لأنّها يسارية هي الأخرى.

أحببت الإسبانية لأنّها اللغة التي يهمس بها كاسترو لجيفارا، وأحببتُ الزعماء العرب لأنّهم كانوا أصدقاء أمريكا اللاتينية ويسارها الاجتماعي.

آمنت بالأدبيات الاشتراكية لأنّها انتصرت للفقراء، وآمنت بالإسلام لأنّه خلصني من الوصاية والوساطة، وأحببت النظّام المعتزلي لأنّه

علمني الشك، واتبعت النيهوم لأنّه علمني الشجاعة، ولاحقت الماغوط لأنّه علمني التمرّد.

ولأن هوايا عروبي أحببت الزيتونة وارتحلت إليها، فكنت زيتونيا صعلوكا يلقبني حسن بـ"جيفارا الزيتونة"، رغم أني لم أدخن السيجارة الكوبية ومع ذلك كان يمازحني بهذه العبارة لأنّه فريد حتى في عبارته كما في شخصه.

لم أتخيل نفسي يوما أنْ أشعل غليونا وأكتب عن من يثيرون سواكني، وعن حسن وهو في الضفة الأخرى من المتوسط.

تمضي بي الأيام سريعا، ويسألني الكل عن رسالة الماجستير إن كنت قد انتهيتُ منها أم لا، وكل ما يشغلني أنّ الوقت يلتهمني وأنا لحد الآن لم أقدم لنادية ما يسرها!

لا تزال تحلم كعادتها، وفي كل يوم يشتدّ حلمها وما يخيفني هو أنّني لا أعلم كيف سأقنعها أنّنا في تونس!

-164-

نحن البدو الغارقون في الرمال لا نعرف الثلج، ولم يكن معجزة لأحد من أنبيائنا.

يشير بعض من كتبَ عن تاريخ نفزاوة إلى احتمالية صلة ما بنفزة لتقارب الاسم. نفزة التي تعانق جبال خمير استفاقت على بياض، ذلك البياض الذي شبّه به الشعراء بياض خد الحبيبة وجبينها عند التغني.

نفزة تشبهنا، صَنعت من الثلج معجزة دون الحاجة للأنبياء وسحرت أعين الكثيرين، وبدت مع جيرانها فجأة يحتلّون مواقع التواصل الاجتماعي ومقاطع الفيديو ونشرات الأخبار.

فجأة ستصبح المناطق الجبلية، ثروة لا تقدر بثمن، وتشدّ إليها الرحال لالتقاط الصورة، مثلنا نحن تماما. تشدّ إلينا الرحال حين يحين موسم الجني وتتزاحم المهرجانات وتكون شمسنا دافئة.

نحن متشابهون، نسكن الدواخل، ونكون ثروة لا تقدر بثمن إلى حين انتهاء موسم الجني، إلى حين ذوبان الثلج...

عندها يفرّ الجميع وتتبخر كلماتهم وينشغل أهل الساسة بمناصبهم، والسياح بمعجبيهم المتابعين لصورهم ورحلاتهم الجديدة. نظل نحن نصارع قدرنا دون معجزات ودون أنبياء.

ألا يكفي هذا دليلا على صلتنا التاريخية؟

-165-

أنا أيضا أحبّ الثلوج التي لا أعرفها إلا في الصور والأفلام، أحب الملابس الكلاسيكية والأنيقة، وعبور الشوارع الضبابية بسبب العواصف الثلجية والنسمات الشديدة بحثا عن مقهى من عصر كلاسيكي. هذه المرة يمكنني الجلوس مع شقراء دافئة، سأخون ذوقي البدوي ولن أفكر في بلدي التي تقع وراء "البلايك".

في الجدار الخلفي سأعلّق صورة سارتر وهو يُمسك غليونا ويحدّق في اتجاه لا يشير لأي شيء. سأملأ أنا أيضا غليوني وأغرس أصابعي في

التبغ كي تصبغ بالسواد مثل عمال المناجم. أصبغها بالسواد لأتذكر جذوري وأنفخ الدخان وأصنع منه سحبا داكنة لأرضنا القاحلة التي لا تعرف طعم السماء!

-166-

في إنجلترا أحببتُ لندن رغم أنّني لا أجيد الإنجليزية،
أحببت ضبابها ومثقفيها الذين اختفوا فيه بعيدا عن كل من يلاحقهم.
شجعتُ تشلسي، لأنّني أتذكّر رأسية دروغبا في مرمى بايرن ميونخ جيّدا، وأحبّ لامبارد وبيتر تشيك.
شجعتُ فخر لندن، وتضامنت مع جمهور ليفربول لأنّني كنتُ أتمنّى أن تُقصف مدينة مانشستر بدل العراق.
أحببت مبانيها، وشكل حافلاتها ونظامها المختلف، أحببتُ حروفها اللاتينية القديمة، ومع ذلك لا شيء يربطني بها غير كرة القدم!

-167-

بخصوص النادي الافريقي،
العظماء بقدر عظمتهم سيسقطون فجأة،
بعض الأنبياء لم يؤمن بهم أحد، وبعض الصالحين لا نعرفهم، وبعض القديسين ماتوا في أروقة لم يسجّلها التاريخ.
عمر انتهى مطعونا، وعثمان عُبث بجثته وهو في سن الثمانين، وعلي غدر في غفلته عن شيعته.

بن بلّه وجد نفسه خارج اللعبة، وجيفارا قُتل على يد من قاتل لأجلهم. الحلّاج قطّعت أطرافه، وسور الصين العظيم استطاع المغول أن يُسقطوه.
ماركس توقف عقله عن التفكير، وكُتُب أعظم فلاسفة المسلمين تُباع ببضع دراهم على قارعة الطريق، والامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس تقلّص حجمها،
وكذلك النادي الافريقي!

-168-

لستُ فيلسوفا أكتب الحكمة للنّاس في نصوصي،
كل ما أفعله هو أنْ أتحدّث عن نفسي والأشياء التي تخصّني. تخيّلتُ أنّ كتابة البحوث العلمية ستكون ببساطة النصوص التي أنشرها هنا، لذلك كنتُ أرفض إنجاز البحوث التي توكل إليّ.
درّستُ العربية عند كثير من الأساتذة المشهود لهم بالعلم والمعرفة، ودرستها في حلقات المساجد، ولم أفلح في استيعاب علومها. لذلك كنت أهرب من تقديم البحوث ومن قراءة النصوص في الجامعة لأنّني ألحّنُ ولا أجيد إعراب الكلمات.
درست الفلسفة فلم أفهم ما يريده الفلاسفة، ودرست التصوف الفلسفي فاشتهيت أن أضرب رأسي على الحائط في كل مرة، درستُ علم العروض فأحببت قصيدة النثر. كتبتُ رسائل الحب للمقربين ولم أفلح في رسالة واحدة تخصّني، واعتنقت جميع المذاهب وأحببت

حريّتي. أحببت البدينات فامتلأت حياتي بالرشيقات، وأحببت سواد الشعر فغزاني الشيب مبكرا. وعشقت أرض قبيلتي فأجبتُ كل من يسألني من أين أنت؟ بأنّني من العالم!

-169-

عن نفسي،

لا أفهم في الموسيقى وليست لديّ فرقة مفضّلة. أحب الموسيقى الكلاسيكية لأنّها تذكّرني بالعصور الوسطى وتطربُ نفسي لكل ما هو تراث.

الكون انطلق من الموسيقى بانفجار عظيم، والكتب المقدسة كُتبت بأصوات موسيقية، والآلهة عُبدت بالموسيقى، يهوه عُبد بالمزامير، عيسى بالترانيم، والله بالذكر والألحان والتجويد.

في عيد الغفران أو رأس السنة ينفخ اليهود في البوق، والكنيسة تدق أجراسها عند الصلوات، والمسلمون يرفعون الأذان، وكل هذا موسيقى. في الأفراح تدقّ الطبول، وفي الحزن مرثيات. في الملاعب أصوات الجماهير وفي المحيطات أصوات الأمواج والحيتان وفي الحانات قرع الكؤوس.

نادية، الرعد، المطر، البكاء، القبلات، الحيوانات، الأشجار، الحصاد، الكرة، الكلام، الشعر، الكتب، المكالمات، الأحضان، الولادة، الموت، الجنّة، النّار، الحشر، الثورة... كل الكون موسيقى إلا قلبي!

-170-

الديمقراطية لعبة برجوازية قديمة كتبها أرباب العمل بدماء عمالهم على نقودهم الورقية. لذلك كتب مارس عن استبداد البروليتاريا، وحكم لينين بالحديد والنار، وقتلت الماوية آلاف الآلاف، ونصب ستالين المشانق للحالمين بالديمقراطية على شاربه المشهور. وسجنت الأنظمة القومية دعاة الدين والليبرالية، وأقام صدّام قاعة الخلد.
هذه اللعبة صدّقها أحفاد روزا لوكسمبروغ فانضمّوا للمنظمات الحقوقية والدفاع عن الأقليات، وتبنّوا النسوية والقضايا الجندرية والمثلية والأمازيغية ولوثوا كل شيء باسم الحرية. كتب عصمت سيف الدولة "عن العروبة والإسلام" و"النظام النيابية ومشكلة الديمقراطية" فهلّل أتباعه وصفّقوا لديمقراطية بيرنار ليفي وهتفوا باستبداد القوميات.
في مقابل كل هذا لم أصدّق يوما الصور الكرتونية، أحببتُ المستبدّين وعلّقتُ صورهم على جدار غرفتي، ورفضت تلوين سبابتي باسم الديمقراطية والوطنية!

-171-

قيس سعيد أحببناه ليس لشخصه، ولكن لأنّه بسيط يشرب السجائر ويحتسي الاكسبراس من المقاهي الشعبية.

فجأة، ظهر بثوب السياسي بعدما ما كان وجوده منحصر في القناة الوطنية تعليقا على بعض المشكلات الدستورية. أحببناه لأنّه قال خيانة عظمى ولم يشتر حملته بالصدقات على الفقراء والمساكين ولم يتحزّب. أسعدنا كثيرا حينما وضع حدّا للمهزلة الحزبية، وتوهمنا نحن الجماهريّون أن الاتحاد الاشتراكي العربي سيعود بعد ما فكر في الاقتراع على الأفراد، وتنامت أحلام الاشتراكيين لأننا ظننّاه المخلّص الذي سيفكّ حبالنا المعقودة بالغرب، وسنلتفت للعالم من الشرق وسنعيد جسورنا مع محبوبتنا السمراء وهي تلفظ لهجتها الاسبانية الجميلة غرب المحيط الأطلسي! ولذلك أحببناه وارتفع سقف أحلامنا بعد ما أصابنا اليأس.

فتحت التلفاز للأبد، وتابعت كل الإذاعات ولاحقت الصحف الورقية والالكترونية، وتجسست على حسابات الجيران حتى لا يفوتني قيس سعيد وهو يخطب عن آلياته السياسية الجديدة أوعن الخيارات الاقتصادية البديلة، أو على الأقل عن القضية الفلسطينية في أضعف حالاته.

تغيّر النواب، وصدر دستور جديد، وماتت أحزاب، وولدت أخرى، وتعالت الأصوات، واعتزلت جماعاتٌ السياسة، تغير القانون الانتخابي، ترشح الجدد، انتهت الدورة الأولى، فقدنا الزيت، وجدناه مجددا، انتهى كأس العالم قطر، انتهت الدورة الثانية، جاءت الثلوج، ذابت، وقيس سعيّد لم يخطب لليوم خطابا واحدا!

-172-

استعنتُ بالسحر والشعوذة،
لأكتب عن الأوبئة وحضارة المايا، وهيكل سليمان المحطّم. المسيح خسر معركته مع الرأسمالية مبكرا، فابتدعت المسيحية الرهبنة، ومحمد رسول العرب فهم اللعبة مبكرا لأن ناموسه منع عليه الربا وتراكم الثروة، واحتاج الأمر نصف قرن ليقع هدم كل هذا وتعود الخيبة لمحمد ويصطف لجانب المسيح.
البروتستانتية أنقذت كتبة العهد القديم، ونحن توسطنا العالم، وامتلكنا النيل ومرت من أراضنا دجلة والفرات، نسينا التشاد وحطمنا السودان، ولم نعتبر لموريتانيا، وتركنا الصحراء الغربية دون حل، واتفاقيات الأنّهار الدولية بلا تخطيط فبنت أثيوبيا سد النهضة. فجّرنا أنهار الذهب الأسود، تركنا سواحلنا لعبث المهاجرين، حوّلنا متاحفنا للكهنوت، أهدينا مخطوطاتنا لملوك ما وراء البحار، صنعنا سفينة للمحيطات بخرائطها وبوصلتها وأهديناها لكولومبس، وتركنا حقولنا للقحط. عقرنا جمالنا لنستورد البقر، وتخلّصنا من قوانا المنتجة على الحدود، ورمينا معجزة محمد عرض الحائط، وفي الأخير عدنا لمصارف اليهود نقترض بعض الدولارات لعلنا نستمر في الحياة!

-173-

البعض يسألني عن القاف المثلّثة،
ذلك الشيء الوحيد الذي ورثته عن جدّي. ورثتُ قافه المثلّثة التي تتوسط اسمه وكنت فخورا بها كثيرا لثقلها. جدّي ذلك الرجل الفقير الذي قضى عمره بين الكتاتيب والزوايا يعلّم القرآن ويتلّقى تعليما دينيا بسيط. لم تسعفه الظروف ليلتحق بالجامع الأعظم فالتحقت أنا من بعده بجامعة الزيتونة لأكمل مشواره الذي بدأه. والحقيقة أن القاف المثلّثة تلك تُبطن كلّ التفاصيل التي ورثتها عنه، اسمه، لقبه، نسبه، صفاته، ملامحه، طباعه، صندوقه الخشبي، وبعض كتبه التي تجاوزت القرن من الزمن، وأخيرا ورثت تخصصه العلمي.
هي ذات القاف المثلّثة التي شهدت كل مراحل الصعلكة، من الممكن أن تكون أيضا صفة لكاتب دون مسيرة، أو لنصوص من الفقاقيع.
ومع ذلك كفيلة أن تُعبّر بحجمها على رماد محرقة صاحبها!

-174-

يا إلهي،
ما الذي تفعله المطر بأهل الصحراء؟
إن كنت نبيّا فحوّل الصحراء إلى وديان واجعل المياه تشقّ بطون الرمال فسيؤمن بك بدو الصحراء دون ردّة. ألم تعلم أنّ الذي يصدُق

دعاؤه في طلب الغيث يجعلونه وليّا وقطبا صوفيا فما بالك لوكنتَ نبيّا وقلت معجزتي الماء؟

إن كنتِ امرأة فاجعلي عطرك برائحة المطر وهي ترتدُّ من الرمال، سيتغنّى بك البدو في أشعارهم ويتسابقون للظفر بك! إن كنت سياسيا فاجعل اهتمامك بالمياه والآبار وهمومك وآمالك بالجفاف وسيبايعونك دون تردّد!

المطر غاية البدوي، وآماله، وصفاء مزاجه وأحواله، وارتواء روحه وأرضه، بمفعولها تصبح نخلته عروسا، وتنتشرُ ماشيته بلا خوف، وتنتعش أيامه، وتتسارع نبضاته. وكلما فتح كتابا مقدّسا بحث عن الغيث!

-175-

في حياتي أحببتُ الكثير من الفتيات، ولا وفاء يربطني بهنّ غير الذكرى. لستُ راهبا أو قديسا حتى أعتزل النساء، ولست معقّدا كي لا يعتريني شعور طبيعي.

أحببت الكثيرات وشاركتهنّ لحظات دافئة وذكريات جميلة. وانتهى ذلك سريعا، لم أحمل يوما الهدايا، ولم أركض وراء باعة الورود، لأنّني فقير ولا أملك المال، ولست غبيا لأنفق المال الذي ترسله لي العائلة على الفتيات.

طبيعتي لا تلائمها المسؤوليات والعلاقات، ما دفعني لمرافقة الكثيرات دون قيد، وأحسنتُ الصعلكة دون كذب أو مجاملة أو وعود زائفة.

الآن كل ما يعنيني من النساء جمال أجسادهنّ، وأنا حريص على مرافقة الجميلات. الفلسفة في الكتب، والفن على قارعة الطريق، والثقافة ما كسبته من قيم البدو، والحبّ حبيس سوسن معالج ونادية بطلة رواية القاف المثلّثة بأكملها.

أحب الأنثى في عيد الحب وغير عيد الحب. أما التعفّف عن عالمهنّ وأجسادهنّ وادعاء الوفاء وملاحم العشق وكمال بطولته فتلك مهنة الأنبياء وحدهم!

-176-

عبر أسلافنا الصحراء الكبرى وامتدت جذورهم الاثنية العرقية والدينية إلى جنوب خط الاستواء، نشروا عروبتهم وإسلامهم والتحموا دينيا ودمويا هناك منذ مئات السنين.

لم يدرك ساستنا إفريقيا، وتعلّقت آمال نخبنا المثقفة بشمال المتوسط وافتخروا ببشرتهم البيضاء وعيونهم الزرقاء.

سمحت مصر للسودان أن تنفصل، وغفلت عن علاقاتها المصيرية مع أثيوبيا فبنت الأخيرة سد النهضة، وباتت مصر بين ليلة وضحاها لعنة النيل!

تلاشت مسارات نهر الكونغو التاريخية وجزء كبير من ثروته المائية نبيعها للريح دون مقابل، سقطت ليبيا وانقسمت السوداء وتجزأت مسارات النيل أكثر فأكثر! انطفأت بحيرة التشاد وتبخرت أحلام ليبيا

مع النهر الصناعي وحلم ربط الكونغو بالنيل، وبقي الاتحاد الافريقي حبرا على ورق.
تفطنت أوروبا الفقيرة لخيرات إفريقيا فانقضت عليها، وحكمتها وعلّقت آمال حكامنا بأنظمته الربوية، وأوقعتنا في وحل اقتصاداتها الرأسمالية وشعارات العولمة والحداثة.
انفجرت افريقيا ديمغرافيا، ولحق شباب شمال افريقيا بشمال المتوسط بحثا عن ثرواتهم، وزحف شباب دول النصف الجنوبي للقارة السمراء نحو دول شمال خط الاستواء، وجميعنا يقع جرّه لساحة المعركة الخطأ من طرف العدو ذاته!

-177-

نحن سكان الصحراء ورجال البدو، لا تعنينا أخبار البحار ولا تثير اهتمامنا حركة الأسماك ولا تخيفنا القروش. لا نعرف عوالم البحار ولا نجيد السباحة وأول شيء نفقد ثقته هو البحر.
الكتب الرسمية حدثتنا عن موقعنا الاستراتيجي وعلّقت آمالنا بالبحر والسواحل وتركت الثروات الحقيقية في الصحراء والجبال للمستبدين والمستدمرين.
سمكة القرش لا تهمنّا، فليس لدينا حبيبات لنشاركهنّ السباحة وسواحل قلوبنا أكلها الجفاف والعطش منذ مئات السنين ولا نحتاج للسمرة لأننا ولدنا معها.

من سيركب البحر كان من الأولى أن يمنعه الموت من ملاحقة ثرواته فما بالك بما دون ذلك من الأسماك.

عن نفسي أحب المياه، وألونه المختلفة. حبيبتي هي الأخرى صنعتها من المياه في لحظة طيش، وأفكاري كتبتها على الماء، وفيه نفثت كل أسراري.

ولكنني نسيت، نسيت أن البحر أول من يخون، وأن الماء أكثر وهما من السراب، وأن كل ما تخبّئه في جوف البحر يمكن أن تتلقفه الشواطئ في أي لحظة!

-178-

نحن الفقراء،

الذين كنّا نكتب أول حرف من أسماء حبيباتنا وأسماء الفتيات اللاتي نشتهي تقبيل ثغورهنّ على جدران القاعات وأسوار المدارس والمعاهد، وكان أساتذتنا يسبوننا بأقذر العبارات وينعتوننا بالفوضويين.

لم يكن بوسعنا غير هذا الفعل لتصل رسائلنا، ولم يكن أهلنا من الأثرياء حتى يقع استدعاؤنا لأعياد الميلاد والسهرات العائلية فنغتنم الفرص لنقول لبناتهم الجميلات بأننا نحبهن وربما نواعدهن في ممرات القصور التي يسكنونها.

نحن الفقراء،

الذين لا نملك المال لنشارككم القصص والصور بشكل يومي وفي أماكن مختلفة من العالم القبيح، فقط علينا أن نجفف العرق وأن نتبادل أخبار الطقس وأن ننصت لرجال الدين الأغبياء وهم يحدثوننا عن حر جهنّم.

نحن الفوضويون،

الذين حفظنا هذا الوصف، وكبرنا معه حتى اكتشفنا كومونة باريس وتتبعنا قصص الأناركيين وثوراتهم، وتتبعنا حكايات صعاليك العرب، وقلّدنا حركات المتمردين، والسجناء، وقرأنا دواوين الشعر، وقصص القتال، والاغتيالات، واستأنفنا أحلام الاشتراكيين الضائعة، وكبرنا.

نحن الفوضويون،

الذين اكتشفوا أن الحب لعبة الأثرياء، وتعلمنا كيف نمارس حقدنا الطبقي، وعدنا مثقّلين إلى الجدران نزيل كل الحروف التي كتبناها من أجل الجميلات لنضع مكانها نجمة حمراء محاطة بدائرة فوضوية. وكلما جفّت بلّلناها بعرقنا المتناثر!

-179-

بعض الأخطاء ترافقك للأبد وتدفع ثمنها إلى ما لا نهاية، لا يُوجد خطأ ارتكبته أفظع من دخولي جامعة الزيتونة، ولا أظنني يوما أعدل عن هذا الرأي مهما خضت من تجارب فيها. أخذت الإجازة ومن بعدها الماجستير وأمضيت فيها ست سنوات من عمري وما زلت ومع ذلك أنا أعترف أنها أكبر خطأ ارتكبته رغم كل المساوئ التي في.

لا يقتصر الأمر على انعدام الحظوظ في سوق الشغل وإنما ذلك نصيب جل الاختصاصات خصوصا في هكذا ظروف، بل السبب الرئيس هو أنك ستجد نفسك محاطا بجمع غفير من الأغبياء والحمقى وتجار الدين ومنظري الظلام، وبدروس جاهزة عن تاريخ جامعة مشوّه نُفخ في صورتها كثيرا، وبحكايات وهمية عن مقاومة رجالاتها. ستجد نفسك محاطا بكم لا بأس به من المستكرشين وبرجوازيين يملكون من الدنيا ما يجعلهم في قعر جهنّم وهم يكذبون على الناس باسم الدين ويطلّون عليكم في الشاشات وتصدقون أقوالهم. جلّهم دينه الدينار وهمّه منصبه في الجامعة داخلها وخارجها، وزبدة علاقته بأهله خصومات عن الميراث والنصيب، ومع طلبته مصالح متبادلة وأموال تقبض من الإشراف التي لا تتجاوز حدود الورق.

شخص مثلي مذهبه الوحيد في هذه الحياة هو الصعلكة، لا يُمكن بأي حال أن يطبّع مع هذه الأجواء العفنة. لا يمكنني الالتزام بصورة تدين نمطية ولا الالتزام بالحواشي والكتب الصفراء ولست آلة تكرر ما قيل ويقال، ولست قالبا جاهز ليؤمن بما يؤمن به الغالبية من الزيتونيين.

اتبعت الأمر مغرما لحظة طيش، لم أتحدث يوما باسم الجامعة التي تخرجت فيها، ولا كذبت على النّاس في المنابر، ولا جلستُ للدروس المسجدية ولن أفعل. لا يعنني ترقيع الصلاة ولست مستعدا لأحدث

الناس عن الضروري من تعاليم دينهم. لم أدرس علوم الشريعة ولم أفتح الكتب الصفراء ولست معنيا بكل هذا.
أنا بلقاسم بن محمد صاحب القاف المثلثة، اتبعت الأشياء التي أحبها خطأ وقادتني نفسي لأقذر مما كنتُ أتوقع ومع ذلك مُجبر على مواصلة المسير لأنّ لا بديل لي غير هذا بعد كل هذه السنوات.
كل ما أريد قوله هو: أنّ هرولتنا وراء ما نُحب في بعض الأحيان خُسران.

-180-

لسنا بائسين،
كل ما في الأمر أنّنا ننظر للأشياء بواقعيّة. ولا شيء مثير للشفقة أكثر من منشورات حالمة تتصدّرها عبارات من قبيل "يوم ما" و"سنكون ما نريد" وبين هذه العبارات ومضمون المنشور هوة لا يمكن رتقها!
مثلا أن تجد صورة لامرأة تستقل سيارة فاخرة بقيمة مئات الآلاف من الدنانير وبدلة بدخل موظف لسنة كاملة وبحلي قد يعادل ثمن تلك السيارة وتوهم نفسها أنها قد تصبح مثلها يوما ما وهي طالبة تدرس في جامعة عمومية خارج التصنيف وتقطن مبيتا جامعيا عمره تجاوز نصف قرن وتظن أنها قد تصبح مثلها بعمل بسيط وبدخل حلال!
أوقد يُخيّل لإحداهنّ أنها ملكة زمانها وتستطيع أن تستقل بمنزل لوحدها وبحياة طبيعية بمعزل عن الرجل والزواج وأن هذا الأخير ليس من همها وأحلامها! تنسى واقعها المرير وتهرب بأحلام الروايات

والأفلام والمسلسلات وتريد أن تنسف وظيفتها الطبيعية في الحياة وتخرق نظاما طبيعيا تتأسس منذ آلاف السنين وتحلم بنظام حياة وهمي صنعته الليبرالية لحظة طفرة وشذوذ!
كل ما في الأمر أننا واقعيون، نبصر بعين الواقع وندرك موضع أقدامنا وندفع ضريبة المبدأ الذي جعل لحياتنا قيمة حتى وإن ظللنا نعيش شيئا من العبث والعدم!

-181-

أنا رجل لا أقول الشعر ولا أفهمه. ولا أدقق النصوص ولا أفتي الناس. ولا أعطي رأيي في أي شيء، ولست تحت الطلب! كل ما في الأمر أنّني أهذي بأشياء تخصني وبأفكار ترافق قلقي الوجودي.
النصوص التي كنت أكتبها كانت سببا في العبث الذي أعيشه. ومنشوراتي ليست على مقاس أحد حتى أنصت لنصائحه وقوانينه الخاصة في النشر. عليه أن يفعل ذلك على جداره لا أن يقدم نصائحه الفاشلة وهو نكرة في الواقع والافتراضي. عادة ما تتنوع مقاسات نصوصي وأحب الأحجام الكبير التي تناسب البدينات.
البدينات ظل الله في الأرض وأردافهن دليل على كروية هذا العالم. هذا العالم الذي لا أطمئن فيه للمتدينين ولم أعد أحبذ طلبات الصداقة التي تأتيني من حساباتهم المتدينة كثيرا، فأنا شاب صعلوك ولا ألتزم بحكايات الكتب المقدسة.

لا أعانق السماء، ولا أحلم بالجنّة والنار، وأحب واقعيّتي جيّدا. كل أشيائي أرضية، وهذا الحساب لصاحب القاف المثلثة حساب قديم جدا، ما زال يستعمل الشبكة الأرضية حدّ هذه اللحظة!

-182-

هذه النصوص كبلدتي الصغيرة لا تحتمل الخطأ أو الصواب ولا تخضع للقواعد العلمية!

مياهنا من دموع الأرامل ورمالنا رواسب محيطات قديمة كانت شاهدة على طوفان أحد الأنبياء. نسيت اسمه لأتذكر أخر حلم رأيته لحظة حب، فذاكرتي ممتلئة وساعي البريد يخبرني بمراجعة نفسي فلن تأت الرسائل ما لم أستجب لطلبه.

أنا لا أفهم كيف يهجرني الكلام وقد كنت أكتبه على الجدران المتسخة وأوراق الصبايا اللاتي يجلسن لجانبي أثناء الدرس.

أنا شابّ من حي مريض لا يملك أعواد كبريت ومع ذلك يشتعل بسرعة جنونية. هادئ ولا تفوح منه رائحة العرق وليس له علاقة بالنقابات العمالية.

أنا بلقاسم بن محمد، لا أحب حكايات سندباد، ولا أتطلع لأكون قمرا في حياة الآخرين ولا أبحث عن من يشبهني، كل ما في الأمر أن ذاكرتي ممتلئة وتشبه رائحة أعواد الكبريت!

-183-

لا شيء قد يتغير،

قريبا جدا ستتجمد الدنيا ويصبح جريد النخيل موقدا لتدفئة أيادي العمال قبيل انطلاق جنيهم. ستعم الفوضى وتكثر الشاحنات التي تنقل العمال وتُستغل النساء بأبخص الأثمان ويقدم إلينا الجميع طلبا للرزق تارة وطمعا في فرص السرقة والحيلة تارة، ويتصارع أصحاب المال والإنتاج حول الأسعار وتُتاجر النقابات والمؤسسات بأحلام المنتجين.

رؤوس الأموال سيضرب بعضهم رؤوس بعض، أحدهم سيسرق آخرا ليكون الرابح من الموسم في مقابل سقوط المهزوم من السوق. الشباب سيجني بعض العشرات من الدنانير التي ستختفي سريعا بمجرد حلول شهر ديسمبر. وستحمل الشاحنات كل ما نملك إلى أماكن بعيدة لا تغيب عنها الشمس.

أما نحن فلا نعرف غير شمس الشتاء، وأموال الخريف. لا يهم أي إقليم نتبع لأننا لا نستفيد من أي نظام أو ترتيب إداري جديد. خارج أي تخطيط وعلى هامش أي استراتيجية.

نحن المتضررون من كل شيء دائما، نرفع لافتة على كل أملاكنا كُتب فيها "للبيع"، "مضطر للمال" كمحاولة للنجاة من الموت!

-184-

أميست غريبا عن كل النصوص، ولا أعرف من أين تكون البداية!
غادرت الخواطر والبوح منذ مدة ربما لشعور انتابني تجاهها بأنّها مجرد عوارض صغر! ورغم ذلك لم أكتب نصا كما يفعل أهل الأدب واللغة.
أنا لست إلا أحد ضحايا المناهج الفاشلة، حصص العربية والفرنسية والإنجليزية كانت مملة لأبعد الحدود، لذلك لم نكن نحبها وفشلنا في اتقان اللغة. بعد ذلك فشلنا في التفكير، والتعبير، والاستنتاج، والتلخيص، وتخرجنا قوالب مفرغة من كل شيء.
واليوم، ككثير من أقراني أجلس على هامش الحضارات، الثقافات، الفلسفات، الحب، الجنس، الموسيقى، الجمال. أجلس على هامش أشيائي الشخصية وأفعالي وأقوالي، أجلس على هامش كل شيء، وأشجع المهمشين دون تفكير!



-1-

هذا الوباء لا طعم له ولا رائحة، صار العشاق يتبادلون النظرات عن بعد، وأغلقت المقاهي والحانات، ولم يعد هناك مكان للقاء، انتهت القبلات وصاروا يتحدثون عن آخر قبلة بينهم وكيف كان الأمر جميلا وشهيّا.

نادية علمتْ بما يحصل عن طريق المذياع واستمعت لنغمات الأكورديون الحزينة، وأنصتت لكثير من النصوص التي تصف حزن أوروبا، وقرب انتقال ذلك السواد للقارة السمراء، لم يعد شبح الشيوعية هو الذي ينتاب أوروبا، إنه شبح كورونا الذي لا يفرّق بين البرجوازية والبروليتاريا، ولا بين ماركس وآدم سميث،

منذ تلك اللحظات لم تهدأ نادية، توسوس لأبي في كل مرة ليتصل ويسأل عن العودة، وهل حجزتُ تذكرتي أم لا؟ ناديه تخاف أن تنتقل إليّ العدوى وأُصاب وأنا بعيد عنها، تطلب مني أن أعود لحضنها والهروب من العاصمة إلى الصحراء.

مباريات كرة القدم قريبة من التوقف والاضمحلال، تعلمُ أن هذا الأمر سيكون جدا متعب بالنسبة لي، كما أنها تخاف على بدينتي أن تنتقل إليها العدوى لأنّها لا تتركني لوحدي أبدا، تريدني أن أعود إليها هناك حيث يوجد عجائز المرازيق والعذارى اللواتي لا يعرفن للوباء اسما ولا معنى!

-2-

مرحبا،

أنا بلقاسم بن محمد، لا أعلم إن كنت مواطنا أم لا؟ أذكرُني صغيرا في سنّ المراهقة تمتحِننا آنستي إيمان في مادة التربية المدنية بسؤال شفاهي: «هل أنت مواطن؟»، ورغم ذلك لا أعلم الإجابة عن هذا السؤال إلى الآن.

شخص بسيط يفرض عليّ صابر الجلوس على الكرسي كلّما قلتُ له التقط لي صورة جميلة. أجلسُ مجبرا لأنّني لم أعتد الجلوس من قبل، فأنا ابن رجل قضى عمره عاملا بسيطا لا يعرف المقاعد، ولا الكراسي، ولا المناصب، ولا أي شيء يتعلّق بفعل الجلوس والهدوء، لذلك أفضّل الوقوف دائما.

كبرتُ مع بعض رفاقي في رحاب المسجد، كنّا نقضّي فيه الساعات الطوال، نحفظ القرآن، ونراجعه، ونتبادل الحديث. نتسلّلُ أسواره خلسة كلّما ما مُنعنا من ذلك. تعلمْنا فيه واحتضنّا الكثير من الأطفال الصغار بحب كبير نعلمهم ونحفّظهم أيضا. وقد وجدتُ نفسي أعلّم من هم أكبر مني سنّا وقد كنت تلميذهم في المدارس. واليوم أنا مع من يدعو لمنع الجماعة والجمعات حفظا للأنفس.

عقلي صار لا يهدأ، وكبر حجمه ولم أعد أحتمله، لا طاقة لي بذلك بعد الآن. لا أعلم كيف لي أن أخبر ناديه مثلا أنّني مريض بمرض عقلي أو نفسي وقد يكون سببا في هلاكي!

أنا الآن وحيدٌ أهذي بعد منتصف الليل، وأكتبُ مقدمات طويلة جدا لأقول في آخرها لنادية أنّني أنا ابنك شخص مريض. قريبا سينتهي بي الأمر للجنون وهي تغطّ في نوم عميق وخصلات من شعرها الأبيض يشتد بياضهنّ يوما بعد يوم، وقد لاحظتُ ذلك في أول يوم أعود فيه للبيت بعد شهر من الغياب!

-3-

قد يطلبكُ منك البعض أن تكتبُ وأن لا تتوقّف عن ذلك، سريعا ما يختفي هؤلاء وتجد قائمة أصدقائك التي وصلت للخمسة آلاف غير مثمرة. وأنت بين الجدران التي تحيط بك الآن تفكر في الكتابة عليها وعلى كل شيء يسمح لك بالكتابة عليه، تفكّر ماذا لوكنت مصابا بالفيروس وترسل للعالم بعض النصائح وأنت في عزلتك، تختار الكلمات التي سترسلها لكل أولئك الذين تحبّهم، ربما ستنسج على طريقة كافكا: من كافكا إلى ميلينا،

نحن لا نلتقي أبدا رغم أننا نعيش نفس الشيء وتجمعنا نفس المشاعر، جميعنا الآن في بيوتهم وفي غرفهم يقتلهم القلق، يجمعنا هذا العالم الافتراضي.

يعجبني شعب الفايكينج، يُقضّون كامل حياتهم في القتال والبحث عن الثراء والحياة، وكلما استارحوا أو ثملوا إلا وكانت جلساتهم حديثا عن طريقة موتهم كيف ستكون، وكيف سيستقبلهم أودين في قاعته

الكبرى، يولدون ويقضّون كامل أوقاتهم في الحديث عن الموت وكيفيته.
أنا في الحقيقة يفتنني هذا الأمر، يفتنني التفكير في طريقة موتي وكيف ستكون النهاية. أعلم أنكم تفرّون من النصوص، تزيدكم قلقا فوق قلقكم ومللا فوق مللكم. أمثالي لا يملكون أي شيء، بعض حروف يرتّبونها ويثبتون بها وجودهم على شكل خاطرة، المهم أن لا يأتي أحدكم ويقول "كتابتك رائعة"، وهو شبح يمرُّ على اسمي في أجزاء من الثانية.
لأنّ هؤلاء سيمرّون على خبر موتنا في أجزاء من الثانية أيضا!

-4-

مرحبا،
أنا بلقاسم بن محمد، يمكنكم أن تحفظوا اسمي وصورتي بسهولة، شخص متطوّع بحروفي من قديم الزمان لكل أولئك العابرين، ولكل من يقرؤني وتسكنه كلماتي، منذ زمن نصوصي أعرضها مجانا دون أي مقابل، فقط أردتُ تذكيركم في هذه المحنة أنّني متطوّع منذ زمن بعيد، في هذه اللحظة، يوجد شاعر عريان مثلي يشتاق لمقهى لونيفار فقد غادره البوح والشعر والقصائد، تقتله جلسة البيت أمام كل العهر والشذوذ على المباشر، يخاف أن يسجّل بعضا من عمقه، فيجد تسجيله قد ركله السطحيّون وراء خصر راقصة،

في هذه اللحظة أيضا، فتاة تهددها الحكومة بأنّ سريرها سيكون لأحد المرضى وملابسها التي امتزجت بعرق أبيها ستكون عرضة للشارع، تخاف وتخجل أن تكون بعضا من ملابسها الداخلية التي يحبّها حبيبها ستكون عرضة للعموم، ستنتثر مواد تجميلها ولن تجد المال لتعوّض كل هذا. في هذه اللحظة أديب يبحث عن عنوان لروايته التي ستنشر لاحقا، وخبراء يفكّرون كيف سيكون العالم الجديد. في هذه اللحظة ربما سنسقط في الدرجة وسنصبح شعوبا من العالم الرابع أو الخامس. في هذه اللحظة ناديه تغطّ في نوم عميق، وأنا أشتهي شجارا في إحدى المحاضرات مع أحد الأساتذة، حقا في هذه اللحظة أريد أن أمارس صعلكتي بكل رصانة!

-5-

نحن الفقراء، "عنمشوا حنّة"، يقتلنا الجهل والتزاحم على ملأ بطوننا، نتحدث بسرعة شديدة فإذا قال لنا الأغنياء اصمتوا نكون قد قلنا كل شيء وأفرغنا ما في قلوبنا، نتخيّل أن الله مُعلِّق مصدحه في السماء الدنيا وهو فوق السماء السابعة يستمع لنا عن طريق أبواق ضخمة. نتوهّم أيضا أنه رجل طاعن في السنّ لا شغل له غير الاستماع لأقوالنا وحركاتنا والتلفّظ بعبارة كُنْ.
نجلس على حافة الشوارع نستنشق هواء سيارات الأغنياء ونعرض صورنا للملائكة التي تطوف أثناء حظر الجوالان أو في الأوقات

المتأخرة من الليل، كلما مرّتْ رأتنا وتعرّفتْ علينا، عندها ستصبح لدينا معارف يمكن أن تساعدنا يوم القيامة!

-6-

الكثير لمّا علم أن المرض في حيّنا، يراسلني ويسألني عن نادية ويوصيني بشأنها "رد بالك على ناديه"

أردتُ أن أخبركم أن عدد المصابين قد تزايد، ونادية بخير، والمرضى عموما هم كذلك بخير، يقاومون المرض ويخبروننا أنّ الغيمة ستزول حقا وقريبا ونحن سعداء لذلك.

أنا سعيد كلّما سألني أحدهم أو أوصاني عن نادية، سعيد لأنّني جعلتُ منها محلّ إعجاب وحب من قبل الكثيرين. كلّما التُقِطتْ لي صورة سيئة ومضحكة في المنزل إلا وقالت لهم أنشروها على الفايسبوك ليكتشف الجميع أمره ويهجرونه.

تتوهّم نادية أنّني محلّ اهتمام الكثيرين بسبب النصوص التي أكتبها، وتريد أن تتفرّد بهذا الأمر، تريد أن تكون هي لوحدها محل اهتمام، والبطلة الأولى في هذه الصفحة، تريد أن تتفوّق عن صاحبها أيضا،

آه حقا نسيت، كلّما مددت لها الهاتف لترى صورة ما إلا وبالغت في النظر لعلها تلتقط اسما من أسمائكم، هي الآن تجاوزتني، وتلاحقكم أنتم لتخبركم بالحقيقة!

-7-

حسنا لنقل الحقيقة،

أنا عن نفسي أريد أن أغمض عيناي وأجد أن هذا الكابوس قد انتهى، مرّ الوباء ومعه رمضان أيضا فأنا لا أحبه، كثير من الأساتذة يتوهّمون أن طلبتهم يحبّونهم ويحبّون محاضراتهم، في الحقيقة كثير منكم لا نحبّه ونحضر حصصكم عن مضض والتزاما بالحضور فقط، وبضع الطلبة الذين يعبّرون لكم عن ذلك هم في نهاية الأمر يلهثون وراء مصالحهم الضيّقة، أقسم لكم أنّني أصارحكم بهذا الأمر وأنتم تعلمونه جيّدا وتعلمون أنّني لا أنافق ولا أجامل أبدا.

التعليم عن بعد هذه أضحوكة، بالنسبة لي لا علاقة تربطني بجلّ الحصص غير الحضور، أنا حقا لا أهتم وجلّ الطلبة لا تهتم لما تقولونه ولنصائحكم ولجيلكم الذي تحصل على الدكتوراة وهو جالس على ضوء شمعة ولا لنضالاتكم ضد بورقيبة ولا بن علي وكل الخراريف التي اعتدنا تكرارها، حقا هي لا تعنينا.

كل ما يهمّنا الآن هو أن يظفر أحدنا بحساب "نتفليكس" وأن تتوفر له تغطية قويّة للأنترنت، أن تعود لنا المقاهي ومباريات كرة القدم، أن يتوفر لنا المال وأن نعود للمبيتات ولأجواء الصحب والرفاق هناك، أما عن الفتيات، الكثير من المال ومواد التجميل والملابس الجديدة اللاتي يحاولن لفت الانتباه بها، ستمتلئ بهن شوارع العاصمة وأنهجها قريبا ونعود نحن الشبّان نتلذذ الحب ونقبض على قلوبنا كلما رأينا جميلة

منهنّ. لولا هذه التفاصيل لقتلتنا الجامعات ولقتلتنا حصصكم المُملة ومحاضراتكم التي لا علاقة لها بالواقع. هذا الوباء أنقذنا من الجامعات وروتينها القاتل، لكنّه يحرمنا أجواء المبيتات والمقاهي والتسكّع في العاصمة، أنا حقا لا أشتاقكم ولا أشتاق لمحاضراتكم ولا لبينات الإدارة ولا لمواعظكم الدينية ولا لصراعاتكم وأحزابكم وخرابكم،

أنا فقط أشتاق للتفاصيل ولبدينة أمام عيني، وللصحب والرفاق،

أنقذنا الوباء منكم ولسنا مغفّلين لنقع في فخ أسميتموه بالتعليم عن بعد!

-8-

في بلدتي،

لا توجد مقاهي مختلطة ولا فضاءات لشرب الشاي، هنا الفتيات يسعدن بعرس ما وبزيارة للأقارب، ويقضين جل أوقاتهن في إزاحة الرمال التي تأتي بها الرياح من كل صوب وحدب،

هنا لا شيء جديد في هذا الحجر، فقط تسعد الأمهات لأن الرجال ملتزمون بالبيوت ليلا، والأخوات يسعدن بتواجد الإخوة معهنّ،

كذلك نادية سعيدة بوجود أبي في البيت وبوجودي أيضا، تريد أن تقضي معنا وقتا أكثر أمام شاشات التلفاز.

كنتُ لا أقابلها إلا عند وجبة العشاء وبعدها مباشرة أغادر البيت مسرعا، هذه المرة تضاعف وقت اللقاء، فرصتها أيضا في متابعتي

تضاعفت، تُنصت لنغمات المسنجر وللرسائل وتهتم إذا احمرت الشاشة ربما فقاقيع وقلوب متناثرة، تحاول أن تقرأ ما يوجد خلسة، وكلما فشلت في ذلك تمنّتْ أن يطول هذا الحجر وغادرتنا مسرعة للنوم!

-9-

هذا الحجر ارتفعت فيه طلبات نادية!

أنا شخص فقير، أستمد طول نصوصي من طول أحلامكم القصيرة جدا جدا، وأستمد خيالها من خيال نادية.

مؤخرا ومع الحجر اتسع خيال نادية لدرجة أنه لم يعد ينسجم مع طول أحلامكم، صار أكثر شساعة، وأنا لا حل لي غير أن ينتهي هذا الحجر أو أنكم تتفضّلون على شخص مسكين مثلي فتزيدون من طول أحلامكم قليلا،

بعد طلبها المتمثل في شراء هاتف ذكي، حدثتها عن الخليج، فأخذها خيالها الشاسع ورسمت صورتي وأنا ببدلة فاخرة وربطة عنق أنيقة أدرّسُ في إحدى الدول هناك، ثم اشترطت شرطا هو أن تتواجد معي وتخوض التجربة لجانبي،

نادية تشبهكم تماما، أعلم أنها لو تواجدت هنا وتمكنت من حساب فايسبوكي في يوم من الأيام ستكون من أولئك الذين ينشرون كل صباح منشورات "صباح الخير والورد" و" قف على ناصية الحلم وقاتل" ولن يكون بيني وبين حظرها إلا ثوان معدودة!

-10-

لم يحفظ أحد دوز،

أدنى شيء اسمها فقد كان الجميع يخلطها بتوزر، الساسة، المثقفون، الأساتذة في الجامعة، نشرات الأخبار، مقاطع الإشهار، اللافتة التي في أسفل الشاشة، الطلاب في الكليات وفي كل مكان، جميعهم لم يحفظوا دوز.

من سيحفظها الآن؟ من يرتدي ربطة عنق وحذاء لمّاعا ويوقع لصالح رأس المال؟

الآن في هذه اللحظات وكأنها تلفنا عاصفة ما، تشعر وكأن أحاديثنا وصرختنا الواحدة التي ملأت مواقع التواصل الاجتماعي لا تتجاوزنا، صرخة واحدة ظلت تلتف حولنا كالعاصفة ولا ينصت إليها أحد غيرنا.

في هذه المواقف ستدرك أن لا أحد ينصت لصراخك غير أهلك، ولن تجد من يقف لجانبك غير أهلك. السلطة التي تعهدت لك بالحماية والرعاية يوم الانتخاب لن يكون لها أثر.

عائلتك وأهلك ومن هم حولك وحدهم سيضمونك أثناء العاصفة، سيلتف الجميع حول بعضهم البعض في موقف ضعف من غير حول ولا قوة يسأل كل منهم الآخر: "من قال أن الحاكم ظلّ الله في الأرض؟"

-11-

كنتُ أفكر في كتابة شيء ما عن نفسي كعادتي، والاتصال بنادية وإعلامها أنّني قد تسلمتُ شهادة الإجازة خصوصا في يوم كهذا.
لكن، كعادتي هذه الأيام عندما أدخل الفايسبوك أجد خبر رحيل شخص جديد. هذه المرة كان الموت قد عاد لحيّنا مجددا، لكنني لم أتعرف بعد عن من غادرنا.
مباشرة اتصلتُ بنادية، كان صوتها لا يكاد يتجاوز سماعة الهاتف، تتحدث وكأنها تحمل أثقالا لا حدّ لها، سألتها من مات؟ فأخبرتني أنه سامي وأن الأمر مفاجئ للجميع.
سامي، قيم في معهد دوز وابن الحي، رجل وفير الأدب والخلق، عادة ما يعترضك في الجامع وتلمح حركاته الهادئة وهو في اتجاه العمل أو قضاء شؤون الحياة. ترك وراءه أبناء كالورود، وزوجة، وعائلة، ترك كل الحي في الحقيقة وقد نال منه هذا الوباء.
صوت نادية في الهاتف كان يختزل حجم الحزن والسواد الذي يجتاحنا.
مباشرة هممتُ بإغلاق الهاتف ولم أخبرها بأي شيء رغم إصرارها على السؤال، اكتفيت بأنّني بخير وأنهيتُ الاتصال.

-12-

على عكس العادة، هذه المرة العودة للديار جدا حزينة. لأول مرة في حياتي أشهد نهاية رأس السنة دون مهرجان الصحراء، لا عرس، لا

احتفال، لا حركية، لا سياحة، لا وفود، لا عكاظية، ولا أي شيء من كل ما يحدث سنويا.
هذه المرة أعود للاشيء، أيام رتيبة وحزينة. أعود للديار وأنا لم أقابل من أحبهم بعد، لم أمر على ديارهم ولم يعترضنِ من يمر عليها. أعود دون رؤيتهم ولقياهم وقد جمعتني بهم العاصمة لأسابيع.
هذه المرة أعود دون أن ألمح بعضا من أهلي في الحي وقد تركتهم بصحة جيدة ويسيرون على أقدامهم كعادتهم، أعود وقد غيّبهم الثرى واختفت أثارهم بسبب الوباء.
هذه المرة أعود لنادية حزينا، دون أن أحمل إليها خبر من تسألني عنهم كعادتها. ربما إن سألتني سأجيبها بالحقيقة، سأقول لها: "لم ألتقيهم ولا أعلم كيف هو حالهم!". والأهم من كل هذا يشغلني سؤال وحيد: " هل أُقبّلُ نادية عند وصولي إليها وقد كان السفر فرصتي لذلك؟ أم أحضنها بالكلمات قياسا على قول الشاعر:
«عيدك مبارك بالخفا والجحدة *** والقلب من داخل يعيد وحده»
سنعود لتونس، ليس من أجل النادي الإفريقي، ولا من أجل قضاء بعض الحاجات، سنعود لتونس لنكمل ما تبقى من متطلبات الجامعة على مضض، وسيسعد الأساتذة لأنّهم سيجيبوننا عن أسئلتنا مباشرة، ولن نقلقهم على المسنجر والهواتف كما كنّا نفعل، وسنَسْخر كثيرا على من ترك طلابه دون أن يجيبهم.

كل من يقابلنا سيعبّر عن سعادته برؤيتنا مجددا بعد قدومنا من مناطقنا الموبوءة، وآخرون ستصيبهم خيبة أمل بعد نجاتنا من المرض بأعجوبة، تمنّوا أن لا نعود ونترك لهم المجال لوحدهم.

نادية توصيني بأن لا أعود للصياح داخل القسم، وتنهاني عن استعمال يدي أثناء الحديث، تقول لي ربما سينكرك أساتذتك ولن يحترموك، وتوصيني بخفض صوتي وعدم تغيير لهجتي.

سنعود للنافورة، ونصبُّ كبت الحجر الصحي على الإدارة.

ساعات ونعود لتونس وسيمقتنا حبيباتنا بسبب الحرّ، لماذا تلبس هذا؟ ولماذا لا تفعل كذا؟ ولماذا تتحدث مع هذا قبل أن تتحدث معي؟ وبعد ساعة من لقائكم بعد زمن من الغياب ستقول لك تتصرف معي وكأننا لم نفترق ساعة!

وبسرعة شديدة، سنلعن أنفسنا لأننا اخترنا تونس وجئنا للزيتونة على وجه التحديد!

-13-

أردتُ أن أخبركِ أنّني جدا بعيد،

أنا هنا في قبلي حيث من الصعب رؤيتنا، ننتشر جنوب جبال طباقة وعلى شط الجريد، وعلى الكثبان الرميلة، تحيط بنا الكثير من غابات النخيل، وتصعب رؤيتنا لذلك نحن مهمّشون. ربما لم يرنا أحد من قبل. هناك حيث نصبح سمرا وسودا، ومن ثم يجذبكم هذا الأمر إذا ما سافرنا إليكم وحدّثناكم بلهجتنا الجميلة.

أنا هنا من قبلي في اتجاه الغرب، الطريق طويلة إلينا إلى ما لا نهاية، عند العودة نُدرك هذا المعنى. أنا هنا حيث أنّ عدد المرضى شارف على الستين، أصواتنا صارت تتعالى!

أعلم أنها لا تصلكم، فقط الكثير من الفوضى دون أي جدوى، لذلك ارتأيتُ أن أكتب لكِ فالحروف يمكنها أن تقطع كل هذه المسافات أما الصوت فلا.

أنا شاب أسمر، أسكن جنوب جبال طباقة، هناك حيث أكتب إليكِ كلماتي فتلتهمينها وقد خُيّلَ إليكِ أننا ننتمي لتاريخكم وجغرافيتكم.

فقط قرأتُ عنكم بعض الكتب وها أنا أداعبكِ بها من حين لآخر!

-14-

لا أذكر آخر مرة رأيتكِ فيها، لكن بمقياس قلبي قد مرّ الكثير على ذلك. هذه المرة عيناك غزاها الحزن، أسعدني شعرك الذي ازداد طولا، ومحاولاتك لتجميعه إلى الخلف كانت حزينة هي أيضا. أعلم أنك تشتاقين لصالون الحلاقة وللصباحات التي كنت تستعدين فيها للخروج. أتصل بك وأنا في الحافلة وأجدك تضعين مواد التجميل وتستعدين للخروج بالكثير من السعادة كلّما كانت صحتك جيدّة. أردتُ أن أقول لك أنّني اشتقتُ لذلك أنا أيضا.

نادية في المنزل هي الأخرى، لم يتغيّر أي شيء بالنسبة لها، البيت وشؤونه التي لا تنتهي، لا تعرف أي نوع من صالونات الحلاقة، شعرها

يقل وبياضه يزداد، الحَجْرُ لم يغيّر فيها أي شيء. مواد التجميل لا تعرفها إلا إذا كان ثمّة عرس في عائلتنا الممتدة. وبين الحين والآخر تسألني عنكِ. مؤخرا سألتني إن كنتُ أرسلت لكِ كل الصور التي التقطتها عند خروجنا للصحراء أم لا؟

أما عنّي فلا أعلم إن كنت ستهتمين لأمري، بالنسبة لي في هذا الحجر لم يتغير أي شيء تقريبا، ازددتُ سوءا كما تعرفينني. صرتُ أكثر كراهية وأدركتُ أنّ الوحدة هي نهاية أمثالي لا محالة، أنا أعترف بكل هذا.

مزاجي ازداد سوء هو الآخر، وصار الأمر لا يطاق، حقيقة أنا لم أعد أحتمل أمره. لم تعد لي أي مساحة تذكر، فقط جسدي هو الذي بات يشكّل حقيقة وجودي الآن وهو الوحيد الذي يدفعني للاستمرار والكتابة.

أنا حقا حزين مثل عينيك تماما، ووحيد، وحيد مثل ذلك النبي الذي سيأتي يوم القيامة ولم يؤمن بدعوته أحد من الناس!

-15-

اليوم تنهي نادية الأسبوع بعدما كان تحليلها للكوفيد-19 إيجابي. كانت شرسة كعادتها لم تهدأ أبدا. سبقها أبي وأنهى الحجر ولم يتبق لها الكثير.

خيّرتُ المشاهدة بدل أن أكتب إليكم نصوصا لا تنفع. لست أريد أن أقلقكم بتفاصيلي أولا، وحتى لا أُحمّلكم واجب السؤال الذي لا

أحبه ثانيا. فأنا شخص كثير التذمر من كثرة الرسائل ولا أطمئن للمكالمات.

المهم، يدها كانت مبسوطة في كل التفاصيل، في الأكل والثياب والزوايا، في كل الأركان، حتى جهاز الراديو أصيب بالفيروس لكنّه لم يخذلها كلما فتحته. هو أيضا كان شرسا مثلها ولم يهدأ.

نادية تجهل أصل هذا الوباء، ولا كيف يُخطط لقتل شعوب العالم الثالث، لا تعلم شيئا عن الحروب الفيروسية، ولا عن مخابرات الإمبريالية. ليس لها أي فكرة عن الحروب التي تخاض، ولا الأسباب التي تدفع لذلك، ولا تعرف لماذا أعلق صور جيفارا على جدار غرفتي. لم تقرأ هذا في الكتب ولم تستمع إليه في الراديو، حتى وإن اعترضها مكتوبا على جدران الحي لن تفهمه ولن تفقه منه أي شيء.

فقط هي بفطرتها امرأة لا تُهزم، حتى الإمبريالية لما جاءتها للمنزل اليوم انتصرت عليها بكل بساطة!

-16-

هذه البرتوكولات الصحية لا تُعجبني،

لا يمكنني أن أضع لثام الوجه، فأنا أكتبُ نيابة عن كل الذين كُمِّمَت أفواههم، وأسناني جميلة، وذقني يظل بارزا من الأسفل ولا شيء يعجبني في كل هذا. لا أحد يمكن أن يقطع صوتي، ولا أن يمحو حروفي التي أملأ بها فراغ شاشاتكم على الهاتف أو الحاسوب.

نحن المرضى الذين لم يضعونا في مراكز علاج، بل فتحتْ لنا أمهاتنا أبواب المنازل، وقذفونا في وجه هذا العالم. خُلِقنا وحيدين بأمراض غريبة، وكلما أردنا أن نرافق أناسا عاديين وصفونا بأننا مرضى، ولا يمكن لنا أن نستمر في هذه الحياة وعلى هذا الشكل.

استطعتُ حساب كل شيء، وعدَّ أيامي المتبقية، لا أعلم لماذا لم يُكْتب تاريخ وفاتي تحت تاريخ ميلادي على المضمون؟ ربما حذفته أمّي من البداية.

أنا عن نفسي أدرك كل هذا، وأتفهمه أيضا. أعلم أنّني وحيد في نهاية الأمر، ومريض لا أحد يمكن أن يحتملني في أشد لحظات مرضي.

هكذا أنا ببعض الغرامات المتبقية من عقلي أكتب لأثبت لكم أنّه لولا المرض لكنّا أناسا عاديين مثلكم!

-17-

لطالما كان الموت موضوعا فاتنا بالنسبة لي أجعله محل سؤال عند كل المناسبات: «دور من القادم؟ ومن سيكون غائبا السنة القادمة في هكذا مناسبة؟»

كنتُ أحللُ بعقل المعتزلة إذا ما تعلق الموضوع بالأشباح والجان والمس، وكانت ناديه تحاول فهم ذلك. لكن هذه المرة تحلّت بقوة أكبر من أبي لتهاتفني وصوتها لا أكاد أميّزه وسط الدموع وكأنّ بداخلها يسألني: «ماذا ستقول الآن في شبح حقيقي ينال من أقرب الناس منا دون أن نشعر؟»

لا أعلم بماذا سأجيبها، كيف سأشرح لها حقيقة هذا الشبح؟ وكيف أنه يغري الناس القريبين منا، ويستطع أن يجذبهم إليه على غفلة ما. ماذا نفعل إن كان هو أكثر الأشياء إقناعا؟ لا أحد يمكن أن يناظره ولا يوجد ندّ حقيقي له.

فقط أريد أن أقول لنادية ولو الدي الذي لم يستطع أن يهاتفني إلا بضع كلمات: «الموت شبح حقيقي، له وجود، فاتن المظهر، يقنع الناس الذين نحبهم بألذ الأشياء عندهم، ويقنعهم لمرافقته إلى الأبد دون العودة إلينا، هذه هي الحقيقة والنهاية!»

-18-

أنا،

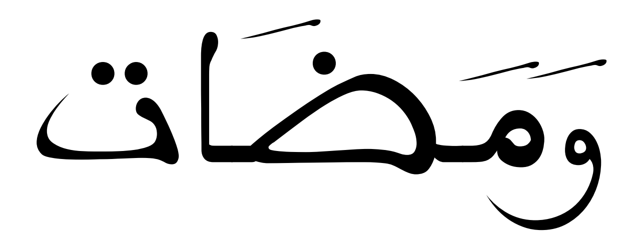
من أولئك الذين لا يملكون قائمة أغانٍ مفضلة في هواتفهم، كلما اشتهوا سماع أغنية سارعوا مباشرة إلى اليوتيوب. أحيانا أفتح الساوندكلاود لأشعر أنّني مثقف وعميق.

لا أهتم للسماعات، ولا لرنّة الهاتف، فهو دائما في حالة صمت. لا أطرح على نفسي الكثير من الأسئلة، مثلا لا أفكر في الأشياء التي قمت بها السنة الماضية أو التي عليّ تحقيقها السنة القادمة. لا تثيرني هكذا أسئلة. الكثير منها يطرحها البعض وأنا لم أطرحها على نفسي من قبل.

لا شيء مختلف، سيتواصل بعض الأحباب في حياتكم، ستتخاصمون مع البعض الآخر وستتكرر كل أحاسيسكم ومشاعركم، أسماؤكم لن

تتغير، ألقابكم، طبائعكم، كلها ستكون كما هي. الوباء أيضا لن يعترف بتغير الأرقام ولن يهتم، الموت لن يقدّر أي كان، سيتشكل في أشكال أكثر سوء من المرات السابقة، الحب سيؤذيكم كثيرا، المزيد من الكتب ستُنشر، المزيد من مواعيد الزواج ستعلن، والكثير الكثير من الأشياء الجديدة.

لا شيء سيتوقف، كلنا سنرتاد الجامعات ونحلم بالهجرة، سيقتلنا المزيد من الفقر ونقص المال ولا شيء جديد غير أن الصفر سينقلب للرقم واحد والحقيقة واحدة!


وَمَضَات

-1-

نصف الأشياءِ

قلبي

والنصف الآخر

أجري

وراء عمركِ الضائع

-2-

قلبكِ

غيمة تبتلع حبوب منع الحمل،

ليظل قلبي

أرض عطشى!

-3-

تركت قلمي مي

تحوله إلى ريشة عزف،

كي تقفز بها على أوتار قلبي

كلما أرادت أن تسمع صوتي!

-4-

لا تخافوا،

فالصراط هو

شعرات أمي البيض!

-5-

أرادت أن أحدثها

فلّما حدثتها،

لم تعرف أيّ منّا الحقيقة

أنا أم ظلّي؟

-6-

بعدما قَعَرُوا شجرة الياسمين،

كُلُّ الطيور حطّت على قلبي

إلا أنتِ اخترتِ السماء والنجوم!

-7-

كُلُّ الأشياء التي أُعلّقها على قلبي،

تُسقطها

بدينة بخطوة واحدة!

-8-

كلّما،

قيل لي أحبك

تحوّلتُ إلى كومة ثلج!

-9-

كبقرات يوسف السبع،

النّحيفات يأكلن البدينات

غيرة!

-10-

البدينة،

هي السنة التي يُغاث فيها النّاس وفيها يعصرون!

-11-

في القديم

تأمّلوا بين البدينة والنحيفة

ثمّ قالوا

"المليان ميقربعش"!

-12-

لمن يستغرب ازدياد بياض شعري:

ببساطة

الشيب الذي يغزوا رأسي

فجأة

يريد أن

يسبق عُمْـر ناديـــه،

-13-

كلّ الذين

حاولوا صعود قلبي المائل،

انزلقوا فجأة!

-14-

كلّما

ظفرتُ ببـدينة

علّقتُ على قلبي

نجمة أبطال!

-15-

ماذا يفعلُ الفقهاء بفتواهم

أمام بدينة

لو كانوا بقلب مثل قلبي!

-16-

حتّى الطبيبة

لمّا

فتحتُ لها قلبي المثقوب لتفحصه

تعلّقت به

ثم كتبت في آخر الوصفة

أحبكَ كما أنت!

-17-

لم أتعمّد قتلها

جمعة

فصِمْتُ شهرين متتابعين،

وحين أنهيتُ كفّارتي

جاءت

لتقول لي: أحبـكَ!

-18-

للذكر مثل حظ الأنثيين،
ما رأيك؟
نظرة لَـكِ
ونظرتان لي!

-19-

في غفلة مني
دائما
ما أُضيّعُ قلبي
في استراحة ما
عندما أكون على سفر

-20-

منذ أن اخترتُ الصعلكة،
كل ما أفعله لستُ أنا فاعله
بل ظلّي
فأنا لا دخل لي ولا أتحمّل المسؤولية
أمام المعجبين
وأمام الله أيضا!

-21-

لا تخافوا،

فالصراط هو

شعراتُ ناديه البِيض!

-22-

عيدُ الحبّ

وردة بــدينة

خدُّكِ المُحْمَر

-23-

في ابتسامة عيد الحبّ

رطل يزنُ

خدٌّ بدينتي

-24-

ليوم واحد

تشتهي بضاعتها

بائعــة الورد

-25-

غراب

يُدير مهرجان الألوان

الحاكم العربيّ

-26-

يقتله

الانتظار والوحدة

عمود الكهرباء!

-27-

- حدثني عن ما تراه الآن؟

- أراني صحيفة صفراء منذ سبعينات القرن الماضي ملقاة على الرصيف تستمع لوقع أحذية المارة ولا أحد يهتم لها!

-28-

زرّ كاتم صوت التلفاز

أثناء مكالمة هاتفية،

حياةُ أصمّ

-29-

ينحني للعدوّ
كلّما ارتفع نحو هرم السلطة،
عمود الكهرباء

-30-

فأرٌ يلعبُ
إثر غروبِ القطّ،
نسائمُ الصيف الباردة

-31-

حجر صحيّ -
الفقير والشارع
معا في العراء

-32-

مرحبا أيها العالم،
رأيت العيد يقرأ الفاتحة على بيت أحدهم
توهّم أنه قبر،
مسكين بسبب الحجر

لم يفرق بين المقبرة والحي!

-33-

أنا ورقة طُبِعت على وجه الخطأ
شوّهني أولئك الذين أهديتهم قلبي!

-34-

أعرفُ
فراشة من كثرة ما استخدمها الشعراء في قصائدهم لم تعد صالحة للاستعمال!

-35-

أعرفُ
امرأة كي تحتج على الله لماذا لم يخلقها رجلا؟ صارت نسويّة!

-36-

أعرفُ
امرأة نامت على السلام الملكي، فنفاها الملك في الصباح الباكر!

-37-

أعرفُ
شاعرا ماتت حبيبته ولاحقه المجتمع تزوج، تزوج، أنقذه الرب فتحوّل قسيسا!

-38-

في بلدتي أعرفُ
رجلا يجلس في المقهى على خجل مع زوجته، يتصبب عرقا ويختلط طعم القهوة بالعرق على شفاهه. تلمحه الزوجة وتتساءل في نفسها "يا الله! هل أنا هي الفراشة التي لم تعد صالحة للاستعمال؟"

-39-

منذُ أخبرتْهُ أنّها إباضيّة
وهــو يرفع راية الاستسلام
قلبْه

-40-

منذُ أخبرتْهُ أنّها إباضيّة
وهــو يربي حمام السلام
هذا الوطن

-41-

رأسي ثقيل،
وكأنها بدينة تقيم فيه حفل شواء!

-42-

قاطعتني فراشة

ما حكم النقاب؟ فألواني كثيرة!

-43-

المرأة المنقّبة،

في الأصل فراشة بألوان كثيرة؛

لكنها احترقت!

-44-

أوصاني أبي أن لا أنتمي للأحزاب والجماعات،

فانتميتُ لنفسي.

-45-

لماذا تلاحقني من وراء الغيوم أيها القمر؟ ما زلت أريد السير في العتمة!

-46-

سرب الحمام

الذي يشُقُّ شمس الغروب،

نمشٌ على وجهٍ مُحْمر

-47-

العقل الأول

تأمّل ذاته،

ففاض بدانة.

-48-

أولئك الذين أهديتهم قلبي،

داسوا عليه

لحظة تخطّيه!

-49-

عندما تعلق الأمر بك، قلت "ففروا إلى الله"

لكن،

هذه الطريق السريعة التي نسلكها بالحافلة لا تكفينا للفرار إليك يا الله!

-50-

باختصار،

كل الأشياء التي راهنتُ عليها،

خسرتها واحدة تلو الأخرى!

-51-

كل ما شممت عطركِ

فتحتُ العين وجعلتُ الطاء باء

فوجدتُني عندكِ

-52-

دائما

ما أكتبُ كلماتي على مقاس كبير

حتى يتسنّى للبدينات ارتداؤها!

-53-

لا تدوسيه،

إنه قلبي يحبو متأثرا بجروحه!

-54-

المريض،

لا يحتاج لحقن التبنيج، تكفيه عيناك!

-55-

00:00

أربعة أصفار كوُعود الحبّ أيها الحمقى!

-56-

00:00
أربعة أصفار، كخلاصة تجاربكم مع الحب أيها الحمقى.

-57-

00:00
أربع أصفار
كسيرتكم الذاتية.

-58-

نحن لا نتغيّر، نحن نجد الأنسب في كل مرة!

-59-

وحيدا أغفو
فلتسعني عقاربها
الساعة الحائطية!

-60-

من غير خدوش
سيكون هذا الوطن
لو كان بملمسك!

-61-

يزداد طولا

طريقٌ

أنت عنوان نهايته!

-62-

يحدث أن يولد ميّت،

الوطن!

-63-

يحدث أيضا أن ترى وطنا

بالأبيض والأسود!

-64-

ثم ماذا؟

ثم أنّني كفقاعة، جميلة وخفيفة، سريعا ما تنفقع ولا تترك أثرا،

هكذا أنا في حياة كل الذين عرفتهم!

-65-

لتعبر عن تمردها تجاه رجولتي

مشت حافية القدمين

الفتاة التي أحبتّني

-66-

على الشرفة تمردت هي الأخرى

العصافير

التي لم تعد تلتزم الصمت

-67-

تغرق في الدموع

أحلامي

وهي تلمحني من بعيد

-68-

شديد المرارة

وهي تتصبب عرقا

خيبات الأمل

-69-

لنتّفق أولا

أنا المُتكلِّم

وأنتِ الكلمات!

-70-

شظايا حرب

الدموع

التي تتناثر من عينيك

-71-

على حافة جدران المعابد والمساجد

تنام

الأساطير والمعتقدات القديمة

-72-

على حافة قلب أنثى

أطلال

من قصص حب مبتورة

-73-

الدخاخين المنبعثة

من المقاهي

حرائق آدمية

-74-

الآن

المشهد ضبابي

لا وجود لخيط أبيض من أسود

يفصل بين الحياة والموت

-75-

بعض الذئاب التي غرست فينا أنيابها،

من سوء حظها

غرستها في أماكن صلبة لا تلين!

-76-

من عشرة مثلا،

واحد صديق،

والتسعة الباقية ضيق!

-77-

لا تدس،

إنها أقدام نادية تُزهر في كل مكان!

-78-

المنفى
إلى ثغرك
وطن!

-79-

إنه من غير العدل أن نعيش جحيمين،
الأول هنا
والثاني في الآخرة!

-80-

كثقب أسود
تبتلع كل شيء أمامها
غمازاتها

-81-

لا شيء وردي في حياتكم
غير
أحلامكم

-82-

أعرف امرأة

لا تحتاج إلى وسادة

تفترش خدّها

-83-

ليست دقات قلبي

إنها خطواتك

المتثاقلة على الرصيف

-84-

أربعة وعشرون سنة

أطرق أبواب الجميلات

ونادية تفتح!

-85-

على مهلك،

الحب كالبدينات

يحتاج

إلى خطوات متثاقلة

-86-

الشعراء لهم فاطمة

وأنا لوحدي أغرّد

بنادية

-87-

تعالي نتبادل الأدوار

أنتِ المدينة المستضيفة

وأنا الضيف!

-88-

ضُميني إليكِ

فصلاة العاشقين

حضن

-89-

من شدة جمالكِ

ثلاثية الأبعاد هي،

كل صوركِ

-90-

لبضع ثواني
يكفّون عن الثرثرة الرجال
كلما مررتِ حذوهم

-91-

كلما سألوني
أيّ الدول أكبر مساحة؟
أجيبُ: عينيكِ

-92-

أعرف امرأة
كالموت
تأتي لمرة واحد في العمر!

-93-

كل الأماكن
التي لامستِها من جسدي
صارت تنبض

-94-

مثل روسيا
الأكثر بدانة
تحسم معارك قلبي!

-95-

لشدّة شوقه،
يقصر المسافر صلاته
كلما كان السفر إليكِ!

-96-

كل التضاريس على الخريطة صامتة
إلا تضاريسكِ
لا تهدأ!

-97-

ليست ربوة
إنها تضاريس بدينة
أعرفها

-98-

جميع من في مقهى الحي،

في انتظار خروجكِ من المنزل!

-99-

منذُ أن لمحتكِ

تركتُ الكتابة

-100-

مُثقل بكِ

لا تقوى الريح على حملي!

-101-

هذه ليست حياة،

إنها بضع نقود سقطت من جيب مثقوب!

-102-

ليست يدكِ

التي تداعبني

إنه قلبكِ

-103-

الحزن

يلتهمني فجأة

كما لو أنّني وجبة شهية للأكل!

-104-

خلافا للفلسفة المشائية،

لم يكن التفلسف ما يدفعني للمشي

بل

عطرك!

-105-

للأسف،

أماكننا ليست شاغرة حتى نملأها!

-106-

رفيق يظلّك،

والآخر يضلّك